مكتبة الضامري للنشر والتوزيع
ص.ب ٢ الرمز البريدي ١٢١ السيب / سلطنة عمان

التجربة السياسية عند الأباضية

تأليف الأستاذ الدكتور
فرحات بن علي الجعبيري

2793

التجربة السياسية عند الأباضية

التجربة السياسية عند الأباضية

تأليف الأستاذ الدكتور

فرحات بن علي الجعبيري

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع
ص.ب ٢ الرمز البريدي ١٢١ السيب / سلطنة عمان

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه
بأي شكل من الأشكال دون أخذ إذن خطي من الناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م

نشر وتوزيع

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

هاتف: ٠٠٩٦٨٩٦٤٤٦٦٩

t.k.aldhamri@gmail.com

ص ب: ٢ السيب - الرمز البريدي: ١٢١ سلطنة عمان

قال تعالى

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾

[التوبة ١١١]

تقديم
الأستاذ عبد المجيد البدوي

إنّ أوّل عهدي بالدراسات الإباضية الجادّة كان مع الأستاذ الباحث فرحات الجعبيري بمناسبة تدرّجه في سلّم المراتب الجامعيّة. فقد لفت نظري أمران يتعلّق الأوّل بجمهرة المفاهيم الّتي عندما يكتشفها القارئ الغمر الّذي يكتفي بظاهر معناها اللغوي يضل سواء السبيل ويناكب المعاني الأصيلة المؤصّلة لتلك المفاهيم. الأمر الثاني طرافة هذا المذهب الّذي لا تجد حديثا عنه في كتب المستشرفين والباحثين غير المختصّين في المجال إلاّ بصفة عرضيّة يغلب عليها الاختزال المخلّ والنظر التقريبي الّذي لا ينمّ عن تحقيق ونظر.

وقادني الفضول إلى مزيد النهل من منابع هذا الفكر الّتي وفّرها لي الأستاذ الباحث فرحات الجعبيري إضافة إلى الدّراسات الّتي أنجزها الرجل لأغراض علميّة ما مكّنني من الاطّلاع على فقه الإباضية بفضل محاضرة مطوّلة اختار لها عنوان: دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية". ومنذئذ طلبت المزيد فاطّلعت على رسائله الجامعيّة الّتي تتعلّق أوّلها بنظام العزابة والثانية بالبعد الحضاري للعقيدة الإباضية. وهاتان الرّسالتان نالتا أحسن الملاحظات وأرفعها. ويكون من فضل الخطاب أن نقول إنّ هاتين الرسالتين تتميّزان بمنهج صارم في البحث والتحرير ودقّة في التوثيق إلى جانب الطرافة في المبحث الّذي تنكّب فيه صاحبه النقل والسّرد

إلى التحليل والنقد. أمّا المؤلّف الّذي يحتفل فيه صاحبه بالإمام جابر بن زيد فدون هذه الأعمال صرامة وهذا أمر طبيعي لأنّه يتعلّق بالإمام المؤسّس بمعنى الأب الروحي للمذهب الإباضي. والمتمعّن في هذه الأعمال جميعها يستشفّ حماسة الرجل ومضاء عزيمته في النّظر والبحث رغبة في العلم أوّلا وخدمة للمذهب الّذي إليه ينتمي وكأنّه في كلّ هذا يدرك بأنّه ينجز عملا عظيما والأعمال الجليلة لا تكون إلاّ بالحماس حسب رأي أحد كبار الفلاسفة.

ثمّ فاجئني الأستاذ الجعبيري بأن طلب منّي أن أقدّم له كتابا بعنوان التجربة السياسيّة عند الإباضية. وحال انتهائي من قراءة النصّ بادرت بتسجيل أوّل انطباع حصل لي مفاده أنّ هذا العمل طريق سيّارة في أدغال معرفة متشابكة أفنان أشجارها وغصونها عصيّة على الاختراق إلاّ من قبل من كانت له رباطة جأش وإيمان بالقضيّة يعادلان أو تجاوزان ما عند صاحبنا. وإنّ هذا العمل مصباح مضيء في عتمة تاريخ متداخل الأدوار وأفكار يكتنفها الغموض الّذي أريد أن تكون عليه وهو ليس من جوهرها.

وهذا العمل الّذي نعتبره مؤلّفا لتاريخ الإباضية في غير إملال معرّفا بكلّ أفكارها ورجالها دون إسراف مضجر ولا اقتصاد مخلّ تعريفا يكتنفه الهدوء الّذي يشبه هدوء المقابر الّتي يثوي فيها رفات هؤلاء الرجال وصمت المصنّفات الّتي تحوى تلك الأفكار.

إنّ التجربة الإباضية في مضمار السياسية ثريّة بأحداثها وفاعليها ومؤسّساتها وأفكارها.

لقد قامت على البناء الهادئ بالتعليم والتوجيه ونهضت على مؤسّسات ومؤسّسات "مضادّة" تراقبها. فيد الإمام الّذي ينتخب لعلمه

وتقواه انتخابا ديمقراطيا لا ينظر فيه للأصل والنسب والحسب والعصبية وإن كان عبدا حبشيّا غير مطلقة إذ يخضع هذا الإمام لمراقبة المجالس ومحاسبتها.

وهذه المجالس الّتي تضمّ كلّ فئات المجتمع وطبقاته ورجاله ونسائه هي تعبيرة من تعبيرات الإدارة التشاركية للشأن العامّ. فلا وجود لأوتوقراطية أو لأوليغارشية تستبدّ بالحكم وتستأثر به للتغلّب والتحكّم في رقاب النّاس. وإدارة الدّولة تقوم على لامركزيّة فعليّة توكل فيها إدارة الأقاليم إلى ولاة يتعيّن أن تتوفّر فيهم شروط التقوى والعلم والتسامح والعدل.

والتصرّف في المال العامّ الّذي يحصل بالصدقات والزّكاة يخضع لرقابة صارمة حتّى لا تغلب الأطماع وتضيع مصالح المكلّفين نتيجة جشع أو طمع، أمّا القيم الّتي تحكم العلاقات مع الأدنين والأبعدين فتقوم على المحبّة والتسامح والتآخي.

وقامت هذه التجربة كذلك على الصراع الّذي يكون صامتا مكتوما مرّات وصاخبا مرّات أخرى صخبا تعبّر عنه مختلف الثورات الّتي انتقضت على الحكم هنا وهناك في القرن العاشر الميلادي.

وقد جاب المؤلّف أدوار تاريخ الإباضية فعرضها عرضا سريعا يشفي غليل العالم المنهوم ويثقّف الطالب الغمر المبتدئ، وعرّف بالأعلام تعريفا جانب الانتقاء واختار دقّة العلم وصرامته ونبذ الإيديولوجي ليعلن إيمانه بالمعرفة. فعرّف بقيام إمامات وسقوطها تعريف العارف بخفايا زوايا التاريخ ودهاليزه. كما قرّب كلّ المفاهيم ويسرّ عصيّها ووضّح ما قد يكون منها ملتبسا.

إنّ هذا المؤلّف مساهمة علميّة يسيرة المأخذ واضحة العبارة لم تداخلها الايدولوجيا لا من خلفها ولا من أمامها. إنّها تنير سبيل الباحث المتعجّل وتفتح آفاق الباحث المتمهّل وتكفي المثقّف المتطلّع إلى القليل الكافي مؤونة البحث وعناءه. والتجربة السياسيّة الإباضية بالمكوّنات الّتي ذكرنا دليل على ثراء التراثي العربي وحداثة بعض جوانبه الّتي ظلّ مسكوتا عنها لغلبة الأغلبيات ووجل الأقليات.

الأستاذ عبد المجيد البدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

دأب العديد من مؤرّخي الفكر السياسي من العرب وغيرهم على الجزم بأنّ العرب لم يتوصّلوا في تاريخهم الوسيط والحديث إلى صياغة فكر سياسي يرقى بمضامينه ومفاهيمه إلى مستوى ما هو مأثور في الفكر الإنساني. ويفسّرون ذلك بطبيعة الحكم الأوتقراطي أو الأقلّي الّذي تسهر على إداراته سلالات تتوارث التحكم في رقاب الناس بصلف لا يحوجها إلى رأي وفكر كما يعلّلون ذلك إلى غلبة الإلهياء على الانسياء في الرؤى والمتصوّرات الّتي تظلّ منحصرة في دائرة محدّدة تدبّجها مقولات تتأسّس على مجموعات من الأوامر والنواهي سمتها الديمومة والاستمراريّة تأنف التطوّر والتغيّر بتغيّر أدوار الزمان وأحوال المكان فهي مسطّرة في لوح محفوظ لا يأتيه الباطل من أمامه ولا من خلفه. وهذه الحقائق ساهمت في نظر هؤلاء المؤرّخين في تكلّس الفكر وتحنّط نظام الحكم المستند إليه.

وإذا وجدت في بعض عصور ازدهار الاسلام أو انحطاطه مصنّفات تنظر في الأحكام السلطانية أو في السياسة أو السياسة الشرعيّة فإنّما هي أعمال من تدبير سدنة السلطان أو أهل الحلّ والعقد من سراة القوم وأهل

النصح الّذين يتعيّن عليهم إسداء واجب النصيحة الّذي يستحيل في بعض الأحوال إلى واجب شرعي. وهذه الأعمال على وفرتها لا يتجاوز أفق النّظر فيها ما هو مسطّر في كتب الفقه والحديث. وهذه في نظرنا أمور طبيعيّة إذا نزّلناها في المحيط الثقافي والاجتماعي الّذي تندرج فيه باعتبار حداثة انتقال المجتمعات العربيّة من الترحال والبداوة إلى التحضّر وبناء العمران الّذي يقضي الاستقرار. وهذا الاستقرار ليس يدا سحريّة تحوّل المجتمعات والثقافات من وضع إلى آخر ومن طريقة في النظر إلى أخرى بسرعة لأنّ إنضاج الفكر واختماره لا يتطلّب عقودا بل عشرات القرون وما حصل في بلاد الإغريق شاهد على ذلك.

وإذ لا يسعنا المقام للتأريخ للفكر السياسي العربي فإنّنا نستطيع أن نقرّ بأنّ عملية تراكمية قد حصلت عبر التاريخ العربي الإسلامي وأفضت بتلاقحها وتفاعلها مع فكر الحضارات الأخرى إلى بلورة فكر سياسي عربي وإن ظلّ مشدودا في مرجعيّاته ومقولاته إلى المصادر الغربيّة القريبة والبعيدة تاريخيّا ولكن إلى حدّ.

وقد مرّ هذا الانتقال بمرحلة وسطى أسّس لها وأصّل لها مفكّرو القرن التاسع عشر الّذين ظلّوا بدورهم مشدودين إلى الموروث الحضاري الإسلامي الوسيط ما جعل بعض المؤرّخين ينعت مرحلة القرن التاسع عشر بالفقر المفهومي لأنّ المفكّرين في هذه المرحلة لم يستوعبوا المفاهيم المستحدثة استيعابا يمكّنهم من نحت المفاهيم المناسبة لذلك ظلّ حضور مفاهيم التراث الإسلامي قويّا فكان التلبيس وكانت الترجمات التقريبيّة معاني غائمة لا يفهمها حتّى الرّاسخون في العلم.

وهذا الحضور ليس شرّا كلّه إذ لم يؤدّ المراد بل هو دليل على أنّ

جهدا ما بذل في فترة ما للتعبير عن حاجة ما بأدوات فكريّة وأجهزة مفهومية صيغت للاستجابة لحاجات مجتمع في مرحلة من مراحل تاريخه. وهذا الجهد خلق عملية تراكم تضافرت مكوّناتها الجزئية لبلورة جهاز أكثر تلاؤما مع العصر ومقتضيات الأمصار والمذهب الإباضي باعتباره مذهبا متميّزا بنظامه وفكره وآلياته قد ساهم في هذا التراكم حتّى أنّه يمكننا أن نتحدّث عن حداثة القدم عندما نستحضر مخاضات التجربة السّياسية الإباضية الّتي هي تجربة إبداع وتفرّد وصراع لا من أجل البقاء بل من أجل بديل يبدو أصلح للعباد وأقرب إلى الله وتعاليمه وهو الّذي كرّم الإنسان وحمّله رسالة إعمار الأرض، والمذهب الإباضي مذهب أقلّ عددا لكنّه متميّز بتنظيمه الدّاخلي المحكم وبتنوّر أفكار أيمته ومريديه وأنفتهم الظلم وإبائهم الذلّ. وقولنا هذا لا ينطق عن هوى مريد ولا رغبة مؤمن ولا طمع عبد ضعيف. وبرهاننا على ذلك اهتمامنا المتواصل بدراسة هذه التجربة في كلّ مظاهرها وصيغها ومواطن قوّتها وضعفها فدرسنا دون كلل كلّ ما هو بهذا المذهب عليق. فبحثنا في دور الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية وعمقنا ذلك بدراسة أكاديميّة دقيقة جاست في مظان المذهب لتقف عند أبعاده الحضاريّة وأردفنا الكلّي والتأليفي بدراسة مونوغرافية مفردة "لظاهرة" تاريخيّة متفرّدة في تاريخ الإسلام وسيطا وحديثا ومعاصرا هي نظام العزّابة وفضائله ومزاياه حتّى أنّ السلط الجزائرية اليوم أقرّت بعض ما تقدّم العزّابة من خدمات من أجل استقرار المجتمع والحفاظ على أمنه. كما أنّ الرّمزيات لم يفتنا الاحتفـال بها فخصّصنا بحثا مفردا لإمام الإباضية جابر بن زيد بيّنا فيه خصاله عالما فقهيا وإنسانا أبيّا وقف في وجه أكثر رجال بني أميّة صلفا وتسلطا ونعني به القائل لأهل العراق "إنّي أرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإنّي لصاحبها" رفض الإمام جابر بن زيد

الورع الزّاهد في متاع الدّنيا القانع بالقليل منها أن يكون قاضيا للحجاج بن يوسف خوفا من أن تزلّ قدمه ويكون من الخاسرين في الدنيا بظلم النّاس إذعانا لأمر المتجبّرين وفي الآخرة إذ يكون فيها عذاب الظّالمين أليما.

وها نحن نواصل التعريف بإسهام الإباضية في ما سمّيناه التراكم الفكري التاريخي بالنظر في التجربة السياسية عند الإباضية. وبهذا تكون الحلقة قد أوشكت على الاكتمال فبعد الفقه والحضارة والاجتماع يأتي البحث في السياسة.

إذا أردنا أن نلخّص معالم هذه التجربة في عبارات قليلة فإنّنا نقول إنّها تجربة الصراع والنظام والعدل و"الديمقراطية" والتسامح والإبداع والبرجماتية والبراكسيّة والتقوى وإلجام الاستبداد بتقييد السلطة وحسن التصرّف والإدارة وذلك حيثما حلّت الإباضية في بلاد المشرق أو بلاد المغرب وبعبارة أكثر إيجازا إنّها **تجربة البناء والإصلاح وإثبات الذات**.

وإنّ هذا العمل التأليفي لا يمكن أن يستقيم إذا لم يصحّح بعض المفاهيم ويعدّل بعض المواقف والأباطيل وأهمّها اعتبار بعض المؤرّخين الإباضية فرقة من فرق الخوارج بما تتضمّن هذه التسمية من معان حافّة وأبعاد ذميّة. والحقيقة أنّ الإباضية أعرق في السنّية من أكثر الفرق الّتي تريد أن تحتكر لنفسها هذا الموقع وهذه الصفة. أمّا موقف حسن حسني عبد الوهّاب من أبي زيد مخلّد بن كيداد واعتباره نكاريّا يستحلّ الدماء فمشرب بكثير من المغالاة مجاف للحقيقة التاريخية إذ لا يمكن أن يحكم على طالب حقّ انطلاقا من مواقف حزبيّة تؤسّس على العداء بدل الموضوعيّة والإنصاف. وذكرنا لهذين الأمرين من حرصنا على أن يكون العمل قائما على الحقيقة التاريخيّة المجانبة لكلّ فئويّة أو عاطفة مذهبية وهو ما يساعد

على تجلية التجربة السياسيّة بكلّ صفاء لأنّنا إذا سلّمنا بالنّسب الخارجي لما تمكّنا من الحديث عن الطرافة والفرادة إنّ الإباضية سنيّة دون أن تكون من السنّة وإذا سلّمنا بتبنّي العنف من قبل أحد المريدين لما صحّ الحديث عن التّسامح والمسالمة باعتبارهما سمتين من سمات التجربة السياسية الإباضية.

إنّ الدولة هي الفاعل السياسي الأوّل في تنظيم حياة الناس وتدبير أمورهم وهذه الدولة لا تستطيع أن تنهض بمهامها إذا كانت مهملة بمعنى غير مرتّبة ترتيبا هرميّا توزّع فيه المسؤوليات والوظائف على أساس التكامل والتفاعل والتجربة الإباضية أبانت عن وعي بأهمية ترابط أركان الدّولة. ورأس الدّولة في التجربة السياسية الإباضية إمام "منتخب انتخابا ديمقراطيا" شوريّا على قاعدة الفضل والعلم والتقوى لا على أساس النعرات السلالية والقبليّة وإن كان عبدا حبشيّا. والتجربة السياسية الرّستمية شاهد على ذلك. وإنّ فرادة التجربة الإباضية في المضمار رفضها التوريث الّذي أبانت التجربة والتاريخ أنّه سبب اهتراء الدولة والتعجيل بانهيارها.

وإن حدث أن وقع التوريث فلا يكون ذلك بوصيّة من الإمام أو برغبة منه بل بانتخاب من أهل الحلّ والعقد وهو ما حدث مع عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم وابنه.

وتساعد الإمام مجموعة من المجالس تجمع كلّ شرائح المجتمع وفئاته حتّى لا تكون القرارات فردية مسقطة وهذا النوع من الحكم يسمّى اليوم بالحكم التشاركي إذ نجد مجالس لقادة الحركة أو الشيوخ حاملي الحكمة والعلم ومجالس العامّة الّتي تحضرها النّساء والمرأة نصف المجتمع وهنا نتأكّد من جديد فرادة التجربة السياسية الإباضية إذ لا إقصاء

لأيّ طرف من أطراف المجتمع. زد على ذلك مجالس الطلبة وفي هذا نظر استشرافي لأنّ الاهتمام بالطلبة وتكوينهم يضمن استمرارية الدولة وتجذيرها في الأعماق.

وهذه الدولة لا يكتب لها البقاء إذا لم تعتمد استراتيجية عمل تتمثّل عند الإباضية في مسالك الدين الّتي توزّع المهامّ وتعدّ البدائل حسب الأحوال والحاجة بمعنى حسب تمشّ برجماتي يوفّر لكلّ حال لبوسا ولكلّ حادث حديثا ولكلّ مشكلة حلاّ.

وهذه المسالك أربعة الظهور والدفاع والشراء والكتمان. ولكلّ مسلك رمزه. وقد فصّلنا القول في هذه المفاهيم حتّى نرفع كلّ الالتباسات ونقرّبها إلى الأذهان حتّى لا يقع الخلط مثلا بين الكتمان والتقيّة عند الشيعة وهو خلط شائع في الكثير من الدراسات. وهذه المسالك الّتي برهنت على نجاعتها عبر الزمن حتّى تحوّلت تدريجيّا إلى قواعد ثابتة في الدستور وهذا وجه آخر من أوجه طرافة التجربة السياسيّة الإباضية.

والفكر الإباضي ليس فكرا تجريديّا تهويميّا منقطعا عن الواقع ما يجعله ترفا فكريّا تشتغل به الخاصّة في مماحكاتها وحلقاتها ومجالسها بل هو فكر يحرص على التوافق التّام بين النظري والعملي وهذه العملية تسمّى في الفكر السياسي المعاصر بالبراكسيّة وليس هذا إسقاطا أو إضفاء لمفاهيم حديثة على معاملات وسلوكات تراثية بل هو توصيف دقيق لسلوك هيكلي واختيار منهجي في التعامل مع الأفكار والأفعال. وهكذا يمكن أن نتحدّث عن براكسيّة قبل الحرف. وتستشهد الإباضية في مضمار الترابط بين النظري والعملي أو بين القول والفعل بآيات بيّنات تؤكّد ضرورة ذلك.

وللسياسة مجريات ومسارات تحدّدها الظرفيات والحاجات وأحوال

السلم والحرب. والتجربة السياسيّة الإباضية فيها نتوءات ومنبسطات. فقد عرفت الإباضية صراعات ما جعلتها في بعض الأحيان لا تركن إلى السكينة إذ ظلّ أنصارها مطاردين حيثما كانوا في المشرق والمغرب من قبل الأمويين والعبّاسين وفاطميي افريقيّة. وعدّتهم في الدفاع عن النفس جيوش من المتطوّعين لأنّ الإباضية آثرت في أغلب أدوارها "الجيش الشعبي" على "النظامي" وذلك انطلاقا من فلسفة عامّة قوامها حسن التصرّف وحسن التدبير في الأموال المجمّعة بفضل الزكاة والصدقات لأنّ من اختار كفاف العيش والزهد في الدنيا منهاجا في الحياة لا يمكنه إلاّ أن يكون حريصا على أموال المكلّفين والفقراء وسائر الرعايا وهذه جميعها سياسة انتهجتها الإباضية الّتي يتحلّى أنصارها بالانضباط ظهورا وكتمانا وشراء ودفاعا. أمّا العلاقات مع الأدنين والأبعدين فتقوم على التسامح ونبذ العنف والتوادد متى كان إلى ذلك سبيلا لأنّ من خلقة القرآن لا يمكن إلاّ أن يكون على هديه سائرا ولتعاليمه مطبّقا.

والتقييد في التجربة السياسيّة الإباضية الّتي أسلفنا الذكر قاعدة لا استثناء. فالكلّ يخضع لرقابة الكلّ في تصريف الأموال وفي إدارة الحكم من قبل الإمامة درءا للفساد والاستبداد والاستئثار بالمال والسلطان.

واحتسابا لكلّ طارئ وتجنّبا لكلّ ما يمكن أن تجنح إليه النفس الأمّارة بالسوء حدّدت للإمامة شروط أهمّها العدل الّذي هو أساس العمران والتقوى لأنّها أحسن وازع يحضّ على الخير وأفضل رادع ينهى عن الإذاية والغلبة. كما أنّ الإمام ينبغي أن يكون سليم المدارك العقلية وهذه سنة دأبت عليها الشعوب الديمقراطية اليوم حتّى تتجنّب مخاطر الجنون المفاجئ الّذي قد يتملّك أولي الأمر فيفسدون ويعبثون في الأرض وقد

حدثت في التاريخ القديم والوسيط والحديث أمثلة من هذا القبيل أزهقت فيها أرواح بريئة. وقد كان الإباضيون متنبّهين إلى ذلك متيقّظين له. ومن مميّزات التجربة السياسيّة الإباضية تحلّيها بما يسمّيه ماكس فبير بالنظرة الخاطفة الّتي أبانت عنها مواقف الإباضية من عبد الله بن الزبير وموقف عبد الله ابن إباض في جامع البصرة بعد مقتل أبي بلال (٦١/٦٨٠) وقوله لأصحابه بعد أن سمع دويّ القرّاء وترنين المؤذنين وحنين المسبّحين "اعن هؤلاء أخرج معهم فرجع وكتم أمره".

وإذا قرّر فقهاء القانون والمفكّرون في المملكة المتّحدة في الدور الحديث بأن العمران لا يمكن أن يكتب له الاستقرار والدوام إلاّ إذا فصلت السلط التشريعية والتنفيذية والقضائية عن بعضها البعض ما أثار إعجاب المفكّر الفرنسي مونتسكيو في القرن الثامن عشر ونقل هذه الأفكار إلى بلده فرنسا فإنّ الإباضية قد انتبهت إلى خطر استقلال القضاء عن سائر السلط ضمانا لحقوق المكلّفين فكرّست ذلك ركنا من أركان سياسة الدولة واختيارا من اختياراتها في إدارة الشأن العام تكريسا لدولة الحقّ.

ولئن كانت الإباضية مذهبا أقليّا فإنّ ذلك لم يفرض عليها الاستكانة والقبول بكلّ ما يسطّر ويقرّر في الدوائر المتحكّمة إذ قامت ثورات انتفض أصحابها على الظلم والاستبداد وهي مسألة سنتولّى النظر فيها في مظان بحثنا هذا إلى جانب تفصيل المسائل والقضايا الّتي ألمعنا إليها في هذه المقدّمة وسندعّم حديثنا عن التجربة السياسية عند الإباضية بأمثلة منتقاة من تاريخ الإباضية في المشرق وخاصّة في اليمن وعمان وفي المغرب عند حديثنا عن الدولة الرّستمية خاصّة لأنّها تمثّل نموذج الحكم الديمقراطي الّذي ينبذ كلّ تمييز بين الأعراق والأجناس. ولبلوغ هذه المقاصد انتهجنا

في عملنا هذا المخطّط التالي الّذي ينعقد حول محاور أساسية:

•**المبحث الأوّل** : التجربة السياسة في المشرق

المحور الأوّل : نشأة الفرقة الإباضية وتصوّرها للإمامة.

ويتضمّن عرضا عن: نشأة الفرقة الإباضية وتعريفا مدققا بأعلامها.

المحور الثاني : أبو عبيدة ومسلكه في التنظيم السياسي للإباضيّة.

وفي هذا بيان عن:

I- تنظيم المجالس :

- مجالس الشيوخ
- مجالس الطلبة العاديين
- مجالس العامّة

II- مسالك الدين:

- الظهور
- الدفاع
- الكتمان
- الشراء

وفي هذا تدقيق مفصّل لهذه المسالك وتوضيح لمعانيها.

المحور الثّالث : إمامة طالب الحق باليمن والسعي إلى إمرة المؤمنين جميعا: ويستهلّ المحور بتمهيد يتضمّن بعض النصائح والمواقف والخطب

الّتي تثبت التوافق التام بن النظري والعملي في سياسة الإباضية وبعد ذلك نتولّى النّظر في الاجراءات الّتي اتّخذها طالب الحق وتحليل خطب أبي حمزة في إيجاز.

-الإجراءات العملية.

١. إجراء عسكري

٢. إجراء سياسي

٣. إجراء مالي

٤. إجراء اجتماعي

III-تحليل خطب أبي حمزة في الحجاز.

أبو حمزة ومنهج الحكم.

١) المنهج المرفوض.

أ- السياسة العامّة.

ب- السّياسة المالية.

٢) المنهج المقترح.

أ- السياسة العامّة

ب- السياسة المالية

خلاصة تتضمّن تعليقا تأليفيا على مضامين السياسات.

المحور الرابع : الإمامة بعمان

I- الإمامة الإباضية الأولى بعمان

١. التحديد الجغرافي: ويتضمّن تعريفا ببلاد عمان جغرافيا، وتاريخيّا قبل قيام الإمامة الإباضية الأولى.

٢. عمان والرسول عليه السلام.

٣. عمان زمن الخلفاء الراشدين.

٤. عمان والدولة الأموية (جدول).

٥. الإمامة الإباضية الأولى بعمان.

أ- إمامة شراء

ب- أبرز سمات هؤلاء الشراة

ج- الشراة ومورد الرزق.

د- من أين مصدر هذا الرزق؟

ه- التقسيم التنظيمي العملي للشراة.

و- الالتزام بالسنّة إلى المظهر الخارجي.

٦. الفوضى السياسية عند سقوط هذه الإمامة

٧. عمان والدولة العباسية (جدول).

٨. الإمامة الإباضية الثانية في عمان.

- مؤسّسات الإمامة
- الإمام
- الأحكام وإقامة الحدود.
- الفقهاء أهل الحلّ والعقد
- بيت المال
- القضاء
- الولاة

- الجيش
- سقوط الإمامة الثانية

٩. ما بعد الإمامة الإباضية الثانية ق٤/١٠

- **المبحث الثاني : التجربة السياسيّة في المغرب.**

المحور الأوّل : وصول الإباضية إلى المغرب ومحاولة الظهور

- رحلة ابن مغطير إلى البصرة.

١- الاستعداد للظهور.

- سلمة بن سعد وتنظم البعثات العلمية.

٢- الثورات العابرة

أ- ثورة عبد الله بن مسعود التجيبي ١٢٧/٧٤٥

ب-ثورة الحارث بت تليد الحضرمي ١٣١-١٣٢/٧٤٩-٧٥٠

٣- **إمامة الظهور.**

- إمامة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري ١٤٠-١٤٤/٧٥٨-٧٦٢

١- تولية أبي الخطاب وعدله.

٢- معركة تاورغا وانتهاء إمامته

٣- إمامة الدّفاع.

- إمامة أبي حاتم الملزوزي ١٤٥-١٥٥/٧٦٣-٧٧٢

المحور الثاني : إمامة الظهور: الإمامة الرّستمية.

الإمامة الرّستمية ١٦٠-٢٩٦/٧٧٧-٩٠٨

I- أئمّة الدّولة الرّستمية وقضيّة الوراثة.

II- تجربة الإمام عبد الرحمان ١٦٠ – ١٧١ /٧٧٧ – ٧٨٧

١- الحرص على إقامة العدل

٢- تعيين مجلس الشورى واختيار الامام عبد الوهّاب

III- تجربة الإمام عبد الوهّاب ١٧١- ٢٠٨ /٧٨٧-٨٢٣

١- فتنة النكّار

٢- الاستقرار السياسي

IV- تجربة الإمام أفلح وأوج الازدهار ٢٠٨ – ٢٥٨ /٨٢٣ – ٨٧١

V- انحطاط الدولة الرّستمية وسقوطها.

المحور الثالث : التنظير للإمامة.

I- تعريف الإمامة

١- معنى الإمامة

٢- حكم الإمامة

٣- أنواع الإمامة أو مسالك الدين: الظهور والشراء والدفاع والكتمان.

٤- شروط الإمامة : شرط القرشيّة؟

٥- جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

٦- اختيار الإمام

٧- خلع الإمام

II- مؤسّسات الإمامة.

١- العلماء والمجالس

أ- مجلس أهل الحلّ والعقد

ب- المجلس العام

٢- الوزارة

٣- الولاة

٤- القضاء

٥- بيت المال

٦- الجيش

٧- العلاقات الخارجية

الخاتمة

المبحث الأوّل

التجربة السّياسيّة في المشرق

تمهيد

نروم في هذا البحث أن نقف عند المحاور التّالية :

١ - نشأة الفرقة الإباضية وتصوّرها للإمامة.

٢ - أبو عبيدة ومسلكه في التّنظيم السّياسي للإباضيّة.

٣ - إمامة طالب الحقّ باليمن والسّعي إلى إمرة المؤمنين جميعا.

٤ - الإمامة في عمان.

وبهذا تتّضح معالم الإمامة عند الإباضية، لتنضاف إليها تجربتهم في المغرب فتتكامل النّظريّة بكلّ وضوح.

المحور الأوّل

نشأة الفرقة الإباضية
وتصوّرها للإمامة

نشأة الفرقة الإباضية

انقسم المسلمون إثر معركة صفّين (٣٧/٦٥٧)[١] إلى ثلاث كتل: كتلة علي بن أبي طالب (٣٥-٤٠/٦٥٦-٦٦٠)[٢]. وكتلة معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٦٠/٦٦١-٦٨٠)[٣]. وكتلة المحكّمة. وهي التي رفضت التّحكيم.

ونحن نعلم أنّ جلّ مصادر التّاريخ الإسلامي وكتب المقالات وغيرها لقّبت هذه الكتلة الأخيرة بالخوارج. غير أنّ مصادر من بقي من هؤلاء رفض هذا اللّقب رفضا باتّا واختار تسميّات أخرى: **المحكّمة، الحروريّة** نسبة إلى حروراء[٤]. **أهل النّهروان**[٥]، وهما القريتان اللّتان نزلت بهما هذه

---

(1)) صفّين: "بكسر الصّاد والفاء مشدّدة، موضع بقرب الرّقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي وفيه وقعت الحرب بين علي ومعاوية ". ر. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/٤١٤. وعن المعركة. ر.كوبرلي: الأطروحة ١/١١-١٢ وقد أحال على أهم المصادر والمراجع. CF. EI2, IV: 422-25.

(٢) **علي بن أبي طالب**: ولد سنة ٢٣ ق هـ/٦٠٠. وقتل ٤٠/٦٦١. ر.الزّركلي: الأعلام ٥/١٠٧-١٠٨.

(٣) **معاوية بن أبي سفيان** (٤٠-٦٠/٦٦١-٦٨٠) ولادته ٢٠ ق هـ/٥٩٧. ر. الزّركلي: الأعلام ٨/١٧٢-١٧٣.

(٤) **حروراء**: قيل هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل موضع على ميلين منها. ر.ياقوت الحموي، معجم البلدان ٢/٢٤٥.

(٥) **النّهروان**: " كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي. حدّها الأعلى متّصل ببغداد. وفيها عدّة بلاد متوسطيّة ". ر.ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥/٣٢٤-٣٢٧.

الكتلة عندما أدركت أنّ عليّا تنازل عن حقّه في الإمامة بقبوله التّحكيم[١].

وقد بايع هؤلاء المحكّمة عبد الله بن وهب الرّاسبي (٩ صفر ١٧/٣٨ جوان ٦٥٨)[٢] إماما لهـــم، وقد قتل في معركة النّهروان فتولّى أمرهم عروة بن أديّة (٦٧٨/٥٨)[٣] ثمّ تلاه أخوه أبو بلال مرادس بن حدير (٦١/

(١) ر. فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية. نشر جامعة السّلطان قابوس.عمان. مطبعة الألوان الحديثة.١٤٠٨/.٤٥-١٩٨٧،٤٨.

(٢) **عبد الله بن وهب الرّاسبي** (٩ صفر ١٧/٣٨ جوان ٦٥٨): هو عبد الله بن وهب بن راسب بن ميدعان بن مالك بن نصر من الأزد، وهي قبيلة نزلت البصرة. أدرك النّبي ﷺ، وشارك في فتوح العراق بقيادة سعد بن أبي وقّاص (٦٧٤/٥٥). كان من أنصار علي في حروبه. ثمّ أنكر التّحكيم. بايعه المحكّمة عندما ثبتت خدعة الحكمين في (٢٠ شعبان ٣١/٣٧ جانفي ٦٥٨). فطلب منهم علي الرّجوع إلى المناصرة إلاّ أنّهم استتابوه وطلبوا منه الدّخول في ما دخل فيه المسلمون. وجاء في رسالة المحكّمة إلى علي بن أبي طالب:"...إن كنت صادقا فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمام المسلمين عبد الله بن وهب الرّاسبي، فقد بايعناه بعد خلعنا إياك لاستحقاقك منّا أن نخلعك، ولا وسع إلاّ ذلك" سرحان الأزكوي: كشف الغمّة. ورقة ٢٨١. وقتله في معركة النّهروان هاني بن خطاب الأرحبي وزياد بن حفصة في ٩ صفر ١٧/٣٨ جوان ٦٥٨. ويعتبره الإباضية من أئمّتهم. ر.الدّرجيني: الطّبقات: ٢/٥-٦. والشّماخي: السّيّر: ١/١٦١. ر.عمّار الطّالبي: آراء الخوارج الكلاميّة ١/٨٨-٩٥، وقد توسّع في ترجمته. ويقول الزّركلي: "من أئمّة الإباضية كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة، وكان عجبا في العبارة. أدرك النّبي ﷺ": الأعلام ٤/٢٨٨.

(٣) **عروة بن أديّة** (٦٧٨/٥٨): هو عروة بن حدير التّميمي، وأديّة أمّه. أوّل من قال: لا حكم إلاّ لله، وسيفه أوّل ما سلّ من سيوف أباة التّحكيم. وذلك أنّه عاتب الأشعث فشهّر سيفه وضربه فأصاب عجز بغلته، وحضر حرب النّهروان فكان أحد النّاجين منها، وعاش إلى زمن معاوية، فجيء به إلى زياد بن أبيه، فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا، وسأله عن عثمان وعلي فأثنى على عثمان في ستّ سنين من خلافته وشهد عليه بالكفر في البقيّة (والكفر هنا كفر نعمة بمعنى المعصية)، وأثنى على علي إلى يوم التّحكيم ثمّ كفّره، فسأله ن نفسه فأغلظ له فأبقى عليه إلى أن كانت أيّام عبيد الله بن زياد فقتله عبيد الله. ر.الدّرجيني: الطبقات. ٢/٢٢-٣٤. ر.الشّماخي: السّير: ١/١٧٩. ر.الزّركلي: الأعلام ٥/١٦-١٧.

٦٨٠)[١] وبعد ذلك تحوّلت القيادة إلى عمران بن حطّان (٨٤/٧٠٣)[٢].

---

(١) **أبو بلال مرداس بن حدير**(٦١/٦٨٠): مرداس بن حدير بن عامر ابن عبيد بن كعب الرّبعي الحنظلي التّميمي، أبو بلال، ويقال مرداس ابن أديّة وهي أمّه، من عظماء الشّراة، وأحد الخطباء الأبطال العبّاد، شهد صفّين مع علي، وأنكر التّحكيم، وشهد النّهروان، وسجنه عبيد الله بن زياد في الكوفة، ونجا من السّجن فجمع نحو ثلاثين رجلا ونزل بهم في آسك (بالأهواز بين رامهرمز وأرّجان)، وأذاع في النّاس أنّه لم يخرج ليفسد في الأرض ولا يروّع أحدا، ولكن هربا من الظّلم، وأنّه لا يقاتل إلاّ من يقاتله، ولا يأخذ من الفيء إلاّ أعطيات أصحابه، فوجّه إليهم عبيد الله بن زياد جيشا كبيرا فهزموه، ووّجه إليه ثانيا يقوده عبّاد بن علقمة المازني فنشب قتال في يوم الجمعة إلى الظّهر، وتوادع الفريقان إلى ما بعد الصّلاة فلمّا كان مرداس وأصحابه في صلاتهم أحاط بهم عبّاد فقتلهم عن آخرهم وحمل رأس مرداس إلى ابن زياد. وهو أخو عروة بن حدير. ر.الدّرجيني: الطبقات. ٢/٢٢-٣٤. ر.الشّماخي: السّير: ١/١٧٩. ر.الزّركلي: الأعلام ٦/٨٦. ر.عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية. ط. عمان الأردن ١٩٧٨. ص٧٠. وشكّ في انتصار ٤٠ على ٢٠٠٠ ورجّح أن الحوار أقنع القائد الأموي أسلم ابن زرعة بصحّة وجهة نظر مرداس. لكن السؤال المطروح كيف قوبل هذا القائد من سادته الأمويين؟ وكذلك أحببنا لو علّق خليفات على الخيانة التي اعتمدها القائد الثّاني لاستئصال مرداس وجماعته. وتبقى القضيّة فعلا محلّ نظر.

(٢) **عمران بن حطّان** (٨٤/٧٠٣): " عمران بن حطّان السّدوسي الشّيباني الوائلي، أبو سمّاك. رأس القعدة، من الصّفريّة، وخطيبهم وشاعرهم. كان قبل ذلك من رجال العلم والحديث، من أهل البصرة. وأدرك جماعة من الصّحابة فروى عنهم وروى أصحاب الحديث عنه. ثمّ لحق الشّراة فطلبه الحجّاج فهرب إلى الشّام، فطلبه عبد الملك بن مروان، فرحل إلى عُمان، فكتب الحجّاج إلى أهلها بالقبض عليه، فلجأ إلى قوم من الأزد، فمات عندهم إباضيّا. وإنما عدّ من قعدة الصّفريّة لأنّه طال عمره وضعف عن الحرب فاقتصر على التّحريض والدّعوة بشعره وبيانه. وكان شاعرا مفلقا مكثرا. وهو القائل في قصيدة:

حتى متى لا نرى عدلا نعيش به ولا نرى لدعاة الحقّ أعوانا "

ر.الزّركلي: الأعلام ٥/٧٠. ط. ٦-٩٨٤. وفي شأنه يقول الدّرجيني: "هو النّهاية في الورع والصّلاح واطّراح الدّنيا كلّ الاطّراح لما خصّه الله عزّ وجلّ به من فنون العلم والنّزاهة والحلم وشهامة الجنان وفصاحة اللّسان"، وإن خطب أبلغ، أطنب أو أوجز، وإن نظم سحر بيانه وأعجز" الطبقات٢/٣٤.

وفي هذين العقدين ٤١-٦١ من القرن الأوّل للهجرة (٦٦١-٦٨٠) فشلت الحروريّة في نشاطها في الكوفة لغلبة التّشيّع عليها فركّزت نشاطها في البصرة فتصدّى لها زياد بن أبيه (٤٥-٥٣/٦٦٥-٦٧٣)[١] ثمّ ابنه عبد الله (٥٣-٦٥/٦٧٣-٦٨٦)[٢]، وعلى يد الأوّل كان سجن عروة وعلى يد الثّاني كان مقتل عروة ومرداس.

وإن كان هؤلاء يمثّلون الجانب المعتدل للحروريّة فقد ظهر طرف آخر عمد إلى العنف يقوده نافع بن الأزرق (٦٥/٦٨٥)[٣].

---

(١) **زياد بن أبيه** (١-٥٣/٦٢٢-٦٧٣): من أهل الطّائف. أسلم في عهد أبي بكر. ولاّه علي بن أبي طالب إمرة فارس، امتنع عن معاوية. ثمّ ألحقه معاوية بنسبه سنة ٤٤/٦٦٤ لمّا تبيّن أنّه أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكان عضده الأقوى. وولاّه البصرة والكوفة وسائر العراق. ولم يزل في ولايته إلى أن توفّي". ر.الزّركلي: الأعلام ٣/٨٩-٩٠.

(٢) **عبيد الله بن زياد بن أبيه** (٢٨-٦٧/٦٤٨-٦٨٦): " وآل فاتح من الشّجعان جبّار، خطيب. ولد بالبصرة وكان مع والده لمّا مات بالعراق فقصد الشّام، ولاّه عمّه معاوية خراسان سنة (٥٣/ ٦٧٣). فأقام بخراسان سنتين. ثمّ نقله معاوية إلى البصرة أميرا عليها (٥٥/٦٧٥) فقاتل الخوارج واشتدّ عليهم. وأقرّه يزيد على إمارته (٦٠/٦٧٩). وكان مقتل الحسين على يديه، وثب عليه أهل البصرة بعد موت يزيد (٦٥/٦٨٤) فاختفى في الشّام. وقتله إبراهيم بن الأشتر عندما تفرّق عنه أصحابه في خازر من أرض الموصل "ر.الزّركلي: الأعلام ٤/٣٤٧-٣٤٨.

(٣) **نافع بن الأزرق** (٦٥/٦٨٥): " نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري أبو راشد. رأس الأزارقة وإليه نسبتهم.

كان أمير قومه وفقيههم. من أهل البصرة. صحب في أوّل مرّة عبد الله بن عباس وله أسئلة رواها عنه... وكان هو وأصحابه من أنصار الثّورة على عثمان والوا عليّا إلى أن كانت قضيّة التّحكيم بين علي ومعاوية فاجتمعوا في حروراء وهي قرية من ضواحي الكوفة. ويقول الذّهبي" إنّه كان يذهب إلى سوق الأهواز ويعترض النّاس بما يحيّر العقل". ولمّا ولّي عبيد الله بن زياد إمارة البصرة (٥٥/٩٧٥) في عهد معاوية اشتدّ على الحروريّين وقتل زعيمهم أبا بلال ٦١/٦٨٠.

سار في نصرة عبدالله بن الزّبير على الأمويين لكن لمّا علم الحروريون موقفه من عثمان انفضّوا من حوله، وكان من المشاركين في اجتماع المحكّمة في البصرة (٦٤/٦٨٣).

وتروي المصادر الإباضية أن عبدالله بن إباض تخلّف مع آخرين بينما خرج نافع ومن وافقوه=

ورغم هذا الاختلاف الطّارئ التأم الجميع لمؤازرة عبدالله بن الزّبير[١] ضد الأمويين سنة ٦٣/٦٨٣ عسى أن يظفروا بإرجاع الإمامة إلى نصابها. لكن عندما تبيّن لهم تولّيه لعثمان (٢٣-٣٥/٦٤٣-٦٥٦)[٢] انفصلوا عنه، وكانت وقفة التّأمّل في مسجد البصرة سنة ٦٤/٦٨٤ إذ يقول البرّادي: «وذلك أنّ المسلمين بعد مقتل أبي بلال اجتمعوا بجامع البصرة وعزموا على الخروج، وفيهم عبدالله بن إباض ووجوه المسلمين، فلمّا جنّ عليهم اللّيل سمع عبدالله بن إباض دوّي القرّاء وترنين المؤذّنين وحنين المسبّحين فقال لأصحابه أعن هؤلاء أخرج معهم، فرجع وكتم أمره". (البرّادي: الجواهر: ١٥٥).

وفعلا إثر ذلك تبرّأ عبد الله بن إباض[٣] وعبد الله بن الصّفّار[٤] من

= واستمرّوا في مقاتلة الأمويين، وقتله المهلّب ابن أبي صفرة ولقي الأهوال في حربه، وقتل يوم "دولاب" على مقربة من الأهواز". ر.الزّركلي: الأعلام ٨/٣١٧.

(١) **عبد الله بن الزّبير** : (١-٧٣/٦٢٢-٦٩٢). الزركلي: الأعلام ٤/٨٦.

(٢) **عثمان بن عفان** : (٢٣-٣٥/٦٤٣-٦٥٦). ولادته ٤٧ ق هـ/٥٧٧. ر.الزّركلي: الأعلام ٤/٣١.

(٣) **عبد الله بن إباض التّميمي المرّي** (ت قبل ٨٦/٧٠٥):" إمام أهل التّحقيق والعمدة عند شغب أولي التّفريق (الشّماخي: السّير١/١٨٩). سكتت المصادر عن نشأته الأولى إلاّ أنها تشير إلى أنّه كان يعمل برأي الإمام جابر بن زيد. ونسب المذهب إليه لبروزه على الواجهة السّياسيّة خاصّة في مؤازرة عبد الله بن الزّبير، وخاصّة في اجتماع المحكّمة بالبصرة سنة (٦٤/٦٨٣)، وانفصاله عنهم على أساس عدم جواز تشريك من يقام الأذان في مساجدهم. وكذلك في مراسلاته لعبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦/٦٨٥-٧٠٥) وقد وضّح موقف الإباضية من الأحداث السّياسيّة بجرأة رغم ما فيها من إساءة للأمويين. ر.البرادي: الجواهر: ١٦٥-١٦٧. والرّاجح أنّه توفّي قبل ٨٦/٧٠٥. ر.الدّرجيني: الطبقات ٢/٢٠-٢١. ر.الشّماخي: السّير١/١٨٩. عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضية ٧٥-٨٥. ر.عمّار الطّالبي: آراء الخوارج الكلامية ١/١٩٣.

(٤) **عبد الله بن الصفار (نحو ٦٠/٦٨٠)**:" الصّريمي التّميمي رئيس الصّفريّة، من الخوارج نسبوا إليه – فيما يقال – على غير قياس، وفي صحّة رئاسته لهم خلاف طويل". الزركلي: الأعلام: ٤/٩٣

نافع ابن الأزرق، ثمّ تبرّأ أحدهما من الآخر عند ورود رسالة ابن الأزرق عليهما.

والمتأمّل في المصادر العامّة مثل البغدادي (١٠٣٧/٤٢٩) من جهة يتبيّن أنّها تذكر أنّ عمران بن حطّان رئيس القعدة من الصّفريّة. وفي المصادر الإباضية من جهة أخرى مثل طبقات الدّرجيني[١] يتبيّن أنّها تعتبره من أئمّتها، معنى ذلك أنّه بقي شيء من الوئام بينهما حتّى قرّر عمران بن

(١) أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني (أبو العباس) (توفي ما يقارب ٦٧٠ /١٢٧١): أشهر علماء درجين ببلاد الجريد، جنوب تونس، واحد من العلماء الخمسة في سلسلة نسبه، كلّهم علماء نحاريـر. تلقّى تعلّمه الأوّل بدرجين، ثمّ رحل إلى وارجلان سنة (١٢١٩/٦١٦)، وأخذ العلم عن الشيخ أبي سهل يحي ابن إبراهيم بن سليمان لأعوام، ثمّ عاد إلى موطنه درجين. فقيه ومؤرّخ وشاعر، وكان إماما قدوة. له قصائد كثيرة وشعر فائق، وله أجوبة بالشّعر، وألغاز في الفرائض. وقد ذكر في بعض قصائده أنّه أنشدها قبل البلوغ، وجمع بعض قصائده أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي في كتاب الفرائض والحساب. بالإضافة إلى فقهه وقوّة لغته وبلاغته وشعره، فهو مؤرّخ من المحقّقين، لم يكتف بنقل ما سبقه إليه غيره من كتّاب سير الإباضية، وإنّما أبدع منهجا جديدا في كتابة السيرة الإباضية، وهو منهج الطّبقات، إذ وضع في ذلك مؤلّفه المشهور: « طبقات المشايخ بالمغرب ». في جزأين، وجعل كلّ طبقة خمسين سنة، بدأ بالطبقة الثّانية (٥٠-١٠٠/٦٧٠-٧١٨)، ولم يتكلّف الكتابة في الطّبقة الأولى، لأنّها في اعتقاده أشهر من أن يضيف إليها شيئا، ولذلك جاء أبو القاسـم البرّادي بعده بقرنين تقريبا (١٤٠٧/٨١٠) ليكتـب: «الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات ». وهو من وراء كتابه هذا يهدف إلى تبيين أنّ هذا الدّين ورد إلينا بالتواتر، جيلا عن جيل، وطبقة عن طبقة. والحقيقة أنّ طبقات الدرجيني مجموعة من السّير والتّاريخ والفقه، وهو مفيد في تاريخ الإباضية بالمغرب، فيه معلومات قيّمة عن واحات وارجلان وأريغ بتقُّرت، ووادي سوف، وجربة، وجبل نفوسة... وغيرها. تعتبر طبقات الدرجيني أحد المصادر المهمّة لهذا المعجم، وكثيرا ما ألفينا عنده الجواب فيما يتعلّق بالتّواريخ خاصّة. أعلام عدد ٨١.

حطّان عدم الثّورة على الحجّاج بن يوسف (٤٠-٩٥ / ٦٦٠-٧١٤)[١] سنة ٧٥/٦٩٤ فأجاب أصحابه عندما قالوا له عند خروجه من السّجن: "إنّما أطلقك الله لما رأى لنا في رجوعك إلينا، فهلمّ إلى محاربة الحجّاج، فقال: هيهات، غلّ يدا مطلقها، واسترقّ رقبة معتقها، والله لا حاربته أبدا..."[٢].

وهنالك افترق الحروريّة القعدة إلى فرقتين الصّفريّة وكانت ترى الخروج والثّورة ولكنّها لا تكفّر من قعد كما يفعل الأزارقة، والإباضية التي آثرت الاستمرار في القعود حتى تحين الفرصة.

وهذا د. حسين عبيد غانم غبّاش[٣] يقول تعليقا على هذه المرحلة: " ومهما يكن من أمر فإنّ الحركة اكتسبت خلال هذه المرحلة الطّويلة من النّضال العقائدّي والسّياسي، السّرّي والعلنّي، كثيرا من النّضج والخبرة. ووصلت إلى صياغة الأسس العقديّة والفكريّة والتّنظيميّة لحركة مستقلّة عن كلّ الجماعات والتّيّارات الأخرى، من شيعة وسنّة، وهكذا ظهرت الإباضية كمذهب قائم بذاته، في الوقت نفسه الذي تشكّل فيه المذهبان الرئيسيان وإن لم يكن قبلهما "[٤].

---

(١) **الحجّاج بن يوسف الثقفي** : (٤٠-٩٥/٦٦٠-٧١٤). ر.الزّركلي: الأعلام ١٦٨/٢ ط ٦.

(٢) الدّرجيني: الطبقات ٣٨/٢.

(٣) د. حسين عبيد غباش: كاتب من الإمارات العربية المتحدة معاصر.

(٤) غبّاش: عمان. الدّيمقراطية الإسلاميّة. تقاليد الإمامة والتّاريخ السّياسي الحديث (١٥٠٠-١٩٧٠) ط. دار الجديد ١٩٧٧. ص٥٧. والبحث أطروحة دكتوراه دولة بالفرنسيّة نوقشت في جامعة نانتير باريس العاشرة بإشراف الأستاذ موريس روبان أستاذ العلوم السّياسيّة بنفس الجامعة وترجمها للعربيّة د. أنطوان حمصي.

ملاحظة: احتراز د. غباش "إن لم يكن قبلهما" في غير محلّه إذ هو متأكّد أن التّيّار الذي يؤرّخ له أسبق من التّيّارات الأخرى نشأة.

واضح إذا أنّ الفكر الإباضي عامّة والسّياسي منه خاصّة تبلور في هذه المرحلة الأولى من نشأتهم مع عبد الله بن وهب الرّاسبي وعروة بن أديّة وأبي بلال مرداس وعبد الله ابن إباض وينضاف إلى هؤلاء جابر بن زيد (٧١١/٩٣)[١] الذي كان يكتم أمره وعلى الرّغم من صغر سنّه صار الأب الرّوحي للحركة الإباضية وإمامها الأوّل.

وموقف هؤلاء جميعا من الإمامة هو موقف المحكّمة الأول، ونحن نعلم أنّ عروة أوّل من قال: "لا حكم إلاّ لله". وسيفه أوّل ما سلّ من سيوف أباة التّحكيم، ذلك أنّه أدرك أنّ التّحكيم خدعة وإن كان الإمام علي ردّ عليه بقوله "كلمة حقّ أريد بها باطل" وقد ردّ على ذلك إمام الإباضية الثّاني قائلا: "إذا كان علي يعرف أن شعارهم يعبّر عن الحقّ، فمن الذي أنبأه أنّ الباطل كان قصدهم"[٢].

وموقف هؤلاء تجلّى بصورة عمليّة، ذلك أنّهم بايعوا عبد الله بن

---

(١) **جابر بن زيد** (٧١٠/٩٣-٧١١): هو أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي الجوفي البصري العماني، والجوفي نسبة إلى ناحية من عمان، وأصله من فرق وهي بلدة من أعمال نزوى بالقرب منها. وكان من اليحمد من ولد عمرو بن اليحمد. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب أي سنة ٦٤١/٢١-٦٤٢. رحل في طلب العلم، وصاحب عبد الله بن عبّاس، وكان أشهر من صحبه وقرأ عليه، كما أخذ عن جمع غفير من الصّحابة. يقول: " أدركت سبعين رجلا من أهل بدر فحويت ما بين أظهرهم إلاّ البحر" يعني ابن عبّاس لغزارة علمه. لقد استقرّ في البصرة ونسب إليها. وهو أصل المذهب الإباضي، وهو أوّل من جمع الحديث في ديوان (مفقود) تروي المصادر أنّه وقر بعير.
وقد أخذ عنه العلم ناس كثير من بينهم الإمام الثّاني للإباضيّة، وهو أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التّميمي وعنه أخذ الرّبيع كتاب الجامع الصّحيح، وهو عمدة الإباضية في الحديث. ط. القاهرة بالمطبعة السّلفية ١٣٤٩هـ. البعد: ٥٠.

(٢) النّامي: الأطروحة ص ١٣.

وهب الرّاسبي إماما لهم ولم يكن لا قرشيا ولا من آل البيت، وإنّما انتخبوه لتقواه وصلاحه ذاك أنّه أدرك النّبي ﷺ، وشارك في فتوح العراق بقيادة سعد بن أبي وقّاص (٥٥/٦٧٤)[١].

من هذا الموقف العملّي ستنبثق نظريّة المحكّمة التي تقول بالانتخاب الحرّ للإمام مهما تكن طبقته وقبيلته "حتى ولو كان عبدا حبشيا" بشرط أن تتوفّر فيه شروط الإمامة وأساسها الدّرجة العالية في التّقوى، وبالتّالي ترفض القول بالتّعيين، والقول باحتكارها وراثيّة في قريش[٢].

وقد حافظ الإباضية في نظرية الإمامة على هذا الموقف القائم على رفض التّعيين والوراثة مستندين في ذلك إلى أنّ خلافة الشّيخين لم تتمّ بالتّعيين بل باستشارة أهل الحلّ والعقد. كما أنّه لم تعقد لهما الخلافة لأنّهما من قريش وإنّما لصلاحهما، فلا وراثة في قريش حينئذ.

كما أنّه يجب أن ننبّه إلى أنّ الإباضية باختيارهم القعود رفضوا ما عرفه الأزارقة من استعراض[٣] ودعوا إلى التّسامح الكامل مع جميع الفرق الإسلاميّة، فهم يتزاوجون معهم ويتوارثون، ويرفضون ما عرف عند الأزارقة - كما يروى - بالهجرة[٤]. وهكذا ظلّ مبدؤهم حيثما استقام لهم الحكم في المشرق أو المغرب.

---

(١) انظر ما سبق تعليق ٧.

(٢) انظر بحثنا: عوامل نشأة الفرق الإسلاميّة.دار الجّويني للنّشر. تونس ٢٠٠٠. العامل السّياسي ص٤٥. وانظر ما يلي فيما يخصّ القرشيّة. ص ٢٠٧.

(٣) **الاستعراض**: ينسبه المؤرّخون وكتّاب الفرق إلى الأزارقة، ويتمثّل – إن صحّ - في أنّهم يعترضون النّاس في مدنهم فيستأصلونهم قتلا على اعتبار أنّهم مشركون يحلّ دمهم.

(٤) **الهجرة**: مصطلح منسوب إلى الأزارقة يتمثّل – إن صحّ - في الانتساب إليهم وتبنّي مبادئهم والتّحرّك معهم، فيكون للمهاجر ما للأزارقة من حقوق وعليه من واجبات ما عليهم. على أن بقيّة الفرق تعتبر ألاّ هجرة بعد الفتح.

ثمّ إلى جانب تبنّي الشّورى والانتخاب الحرّ في الإمامة والتّسامح مع جميع المسلمين مرّ الإباضية بظروف متعدّدة ومتقلّبة دفعتهم إلى إقرار تنظيمات داخلية تبلورت شيئا فشيئا خلال الرّبع الأخير من القرن الأوّل والنّصف الأوّل من القرن الثّاني/٨ مع الإمام جابر أوّلا ومع الإمام أبي عبيدة[١] خاصّة.

(١) **أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريـــمة** (٧٦٢/١٤٥). تميمي بالولاء. أخذ العلم عن جابر بن زيد (٧١١/٩٣) وجعفر السّماك (٨/٢) وصُحار العبدي (٨/٢)، وإليه انتهت رئاسة الإباضية بعد موت جابر. وبإشارته أسّس الإباضية في كلّ من اليمن وعُمان وطرابلس الغرب دولا مستقلة، وتخرّج على يديه رجال من مختلف البلاد الإسلامية آنذاك عرفوا بحملة العلم، وعن طريقهم انتشر المذهب الإباضي وفقهه في مختلف البلاد الإسلاميّة. ر.الدّرجيني: الطبقات ٤٥/٢، الشّماخي: سير ١٩٦/١. ر. الجّعبيري: البعد ١٠٤ تعليق ٣٨. ر.مبارك الرّاشدي (معاصر). الإمام أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة وفقهه. (٤٥-١٤٥/٦٦٥-٧٦٢). دكتوراه مرحلة ثالثة نوقشت بكلية الشريعة وأصول الدّين بتونس. مطبعة الوفاء. المنصورة. ط١. ١٤١٣/١٩٩٣. (٦٩٨ صفحة).

المحور الثاني

أبو عبيدة ومسلكه في التّنظيم السّياسي للإباضيّة

أبو عبيدة ومسلكه في التّنظيم السّياسي للإباضيّة

يقول النّامي: "ويمكن القول إنّ الحركة الإباضية بقيادة أبي عبيدة مسلم كانت حركة دينية فكريّة، وإنّ نشاطاتها في البصرة كانت ثقافيّة بالدّرجة الأولى. وكان نهج أبي عبيدة أن يثقّف الأعضاء وأن يعلّمهم العقيدة الإباضية، وأن يكون له العدد الأكبر الممكن من مختلف أقاليم البلدان الإسلاميّة، لكي ينشئ إمامة عالميّة شاملة كلّ العالم الإسلامي"[١].

ولم يكن أبو عبيدة يتحرّك بمفرده، وإنّما انضمّ إليه شيوخ الإباضية كحاجب الطائي[٢] وغيره وقد استمروا في مسلك السّريّة الكاملة على طريقة عروة بن أديّة[٣]، وكانوا يستخدمون الملاجئ السّريّة لاجتماعات أعضاء الحركة حيث يذكرون الله ويناقشون أمور الدّعوة، وسرداب أبي عبيدة مشهور في سير الإباضية[٤].

---

(١) النّامي: الأطروحة ص١٠٠.

(٢) من شيوخ الإباضية زمن أبي عبيدة ينقل النّامي عن كتب السّيّر ذكرهم لـ: أبو مودود حاجب الطائي وضمام بن السائب. وأبو نوح صالح الدهان. وحيّان الأعرج.

(٣) يقول النّامي: و"الظّاهر أن فكرة المجالس السّريّة نشأت منذ أيام زياد بن أبي سفيان. إذ يروى أن عروة بن أديّة قبض عليه في "سرب" (نفق سري) كان يتعبّد فيه". النّامي: الأطروحة ص١٠٩. وعن عروة بن أديّة انظر ما سبق ص٣٠ تعليق ٨.

(٤) ر. النّامي: الأطروحة ص١٠٩.

وهنالك استقام نظام الحلقة أو ما عرف بمجالس الشّيوخ وقد استطاع النّامي بعد التّقصّي أن يثبت أنّها ثلاثة أنواع من المجالس.

I- تنظيم المجالس

١- مجالس الشّيوخ، أو قادة الحركة :

وفي هذه المجالس كان الشّيوخ يبحثون مخطّطات التّنظيم. ثمّ إنّ اجتماعات هذه المجالس كانت تحدث أثناء اللّيل عادة، ولم يكن يسمح للأعضاء الصّغار في السّن بحضور هذه الاجتماعات ما لم يكونوا موثوقين كلّ الثّقة. قال أبو سفيان محبوب بن الرّحيل: "بلغنا ذات ليلة أنّ في منزل حاجب مجلسا للذّكر، وكان المشايخ لا يحضرون معهم بالليل الفتيان، قال المليح فقلت لرجل من أهل عمان: انطلق بنا إلى منزل حاجب فلعلّهم يأذنون لنا، قال فسرنا حتى جئنا المنزل، فأذن لنا، فوجدنا عنده المختار بن عوف ورجلين أو ثلاثة من المشايخ، قال، فقال لي حاجب: يا مليح اذهب أنت وهذا العماني إلى بلج بن عقبة فأخبراه بمكاننا وقولا له يأتينا، قال فسرنا إليه فأعلمناه فجاء. قال المليح، فصلّينا العتمة ثمّ أخذنا في المذاكرة، قال: ربّما قام أحدهم قائما يتكلّم ما شاء الله ثمّ يجلس، فيقوم الآخر كذلك حتى أضاء الصّبح، قال المليح: فما رأيت أحدا بعد تلك الليلة، ولا رأيت قبلها متكلّما قائما في مجلس. قال: وكان شعيب بن عمرو من أفضل الفتيان يومئذ، وكانت أخته تحت حاجب، قال فجاءه تلك الليلة فأخذ به حاجب فقال: ردّوه، قالوا له: يا أبا مودود سبحان الله جاء من مكان بعيد في هذه السّاعة وتردّه؟ فقال: ردّوه، فردّوه، قال: وكان بين منزله ومنزل حاجب نحو ثلاثة أميال"[١].

---

(١) الشّماخي: السّير: ١/ ٢٠٤.

٢- مجالس العامّة :

والنّوع الثّاني من المجالس هو مجالس العامّة يأتون إليها لسماع خطابات الشّيوخ حول الموضوعات الدّينيّة بوجه عام. وليس لهذه المجالس أيّ برنامج خاصّ، إذ يتوقّف ذلك على الأشخاص المسؤولين عنها، وعلى قدرتهم وميولهم. "وإذا ما شوهد شخص وعلى وجهه أثر الخشوع، فذلك يعني أنّه قريب العهد بمجالس أبي سفيان قنبر، إذ إنّ مجالسه كانت ذكرا لله، وتلاوة القرآن، وتخويفا للنّاس من النّار وعقاب الله"[١]. وفي بعض الأحيان يطلب منظّم المجالس من المتكلّمين أن يؤكّدوا على موضوع معيّن للفت انتباه أعضاء معيّنين إليه[٢]، وفي هذه الفترة عقدت مجالس كثيرة في البصرة، ويذكر المؤرخون الإباضيون مجالس أبي الحرّ علي بن الحصين التي كانت تعقد أيام الاثنين والخميس[٣]، ومجالس أبي سفيان قنبر، ومجالس عبد الملك الطّويل[٤]. وفي هذه المجالس كانت للنّساء غرف خاصّة، كان يؤذن لهن بحضور هذا النّوع من المجالس[٥]. ثمّ إنّ بعض النّساء كنّ يقدّمن منازلهن لعقد مثل هذه المجالس[٦].

٣- مجالس الطّلبة العاديّين :

والنّوع الثّالث من المجالس هو تلك التي كانت تعقد للطّلبة العاديّين الذين كانوا يريدون دراسة العقيدة الإباضية، أو التدرّب على بثّ الدّعوة.

---

(١) ن.م: ١/٢٠٦.
(٢) ن.م: ١/٢٠٦.
(٣) ن.م: ١/٢١٥.
(٤) ن.م: ١/٢٢٢-٢٢٤.
(٥) ن.م: ١/٢٠٦.
(٦) ن.م: ١/٢٢٣-٢٢٤.

ويقال إنّ أبا عبيدة مسلم ابن أبي كريمة ألف تعليم طلاّبه في سرب سرّيّ، وكان يقف حارس على المدخل لتحذيرهم إذا شاهد غريبا يأتي، بتحريك سلسلة حديديّة كي يتوقّف أبو عبيدة عن خطبته ويواصل عمليّة صنع القفّاف، وهي العمليّة التي كان يتستّر بها، ومنها نال لقب القفّاف، أي صانع السّلال[١] ويؤذن فقط لأعضاء الحركة بالانضمام إلى هذه المجالس، إلاّ أنّهم كانوا يطردون منها إذا ما أبدوا أيّ انحراف[٢]. وخلال زمن جابر وأبي عبيدة كان الأفراد شديدي الحذر في نشاطاتهم، وفي بعض المناسبات كانوا يحضرون هذه الاجتماعات مرتدين ملابس نسائيّة، أو متخفّين كتجّار وعمّال بحيث لا ينتبه إليهم أحد من الخصوم[٣]. وفي عهد زياد وابنه، كانت المساكن التي تستخدم للمجالس تقتحم في مناسبات عديدة وكان الأفراد يعتقلون. على أنّ نشاطات الإباضيّين كانت برغم هذه المصاعب كلّها، تجري في هذه المجالس بالدّرجة الأولى[٤][٥].

ولا شكّ أنّه تبلور في هذه الرحلة -وهي مرحلة البناء- التّصوّر السّياسي الإباضي بمرونته التي عبّروا عنها **بالمسالك** إذ تبيّن لهم أنّ الإمامة يستحيل أن تكون دائما متكاملة عبر الزّمان وعبر المكان وخاصّة عندما ينتشر الظّلم وتعمّ الفتن.

---

(١) ن.م: ٢/٢٤٦.

(٢) انظر موقف أبي عبيدة من شعيب بن المعروف وأبي حمزة الكوفي اللّذين قالا بالقدر على غير التّصوّر الإباضي. فوضعا في البراءة. الدّرجيني: الطبقات ٢/٤٩-٥١. ر.الشّماخي: السّير ١/٢٣٦-٢/٢٨٢.

(٣) الشّماخي: السّيّر: ١/٢٢٣.

(٤) ن.م: ١/٢٢٣.

(٥) النّامي: الأطروحة ص١٢٠.

II- مسالك الدّين

وهذه المسالك أربعة: "الظّهور، والدّفاع، والشّراء والكتمان. فالظّهور كأبي بكر وعمر، **والدّفاع** كعبد الله بن وهب الرّاسبي، **والشّراء** كأبي بلال مرداس بن حدير، **والكتمان** كأبي الشعثاء جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ"[1].

---

(١) أبو حفص عمر بن جميع (حوالي ٦٤٥-٧٢٠/١٢٤٧-١٣٢٠) مقدّمة التّوحيد. وشروحها للعلاّمة بدر الدّين أبي العباس أحمد بن سعيد الشّماخي (٩٢٨/١٥٢١) وأبي سليمان داود بن إبراهيم التّلاتي (٩٦٧/١٥٥٩). صحّحها وعلّق عليها أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش الجزائري. مصوّرة عن الطّبعة الأصليّة. مسقط. سلطان عمان ١٩٨٩. ص٦٩-٧٤.

ونورد شرح الشّماخي لهذا المتن لما اشتمل عليه من توضيح لهذه الأسس السّياسيّة عند الإباضية:

١) **الظّهور**: وهو الأصل والمأمور به، وعليه توفّي ﷺ، لأنّ الحدود لا تتمّ إلاّ معه من قطع يد سارق أو محارب أو رجليهما، وجلد البكر ورجم المحصن للزّانيين، والجلد أيضا في الخمر وما أشبهها، وكذا سائر الأحكام من أخذ الصّدقة، وقتال المشرك أو الباغي أو المحارب، وأخذ الجزية من أهل الكتاب، وأخذ أموال المشركين غنيمة وقسمة، ذلك كما أمر الله تعالى، وغير ذلك من الأحكام كما فعل بعد الرّسول ﷺ أبو بكر وعمر وعبد الله بن يحيى الكندي والجلندي بن مسعود، والإمام الوارث بن كعب، الذي غرق في سيل، وغسّان بن عبد الله، وعبد الله بن حميد، والمهنّا بن جيفر، والصّلت بن مالك، واختلف في إمامة عزّان بن تميم، وكذا غيرهم من الأئمّة كالملك بن شاذان وابنه، وأئمّة المغرب كأبي الخطّاب المَعافري - بفتح الميم - والإمام عبد الرحمان بن رستم ومن بعده ذرّيته. وإنّما خصّصوا في العقائد بأبي بكر وعمر، لأنهما خليفتان على بلاد المسلمين كافّة، ولا طاعن عليهما سوى من لا يعدّ ولا يعتبر خلافه من الرّافضة، ومن عدل بعدهما فهو ناصر لطريقهما، وعمر بن عبد العزيز قد أعطى الخلافة حقّها عدلا وزهدا، ولكن ممّن توقّف فتوقّف فيه (وضّح المحقّق قضيّة التّوقّف هذه وأنهى ذلك بقوله: "والحقيقة أنّ عمر في الولاية كما يدلّ عليه قول أبي عبيدة رحمهم الله جميعا" ص ٧٢).

٢) **الدّفاع**: من الفروض الواجبة إذا عدم الظّهور، وهو اجتماع النّاس على إمام يقدّمونه عند مقاتلتهم العدّو الذي دهمهم، فإذا زال القتال زالت إمامته، وتجب عليه جميع الأحكام=

وفعلا لم تفتأ هذه المسالك أن تحوّلت مع الزّمن إلى قواعد ثابتة في الدّستور الإباضي.

وبهذا نتبيّن مدى مرونة هذا الدّستور، ذاك أنّه يعطي لكلّ ظرف ما يناسبه، فإن أنس الإباضية من أنفسهم قدرة حقيقيّة وكانوا نصف عدد مخالفيهم أعلنوا إمامة الظّهور، وقالوا إنّ **الظّهور** يأخذ من **الكتمان** ولا يكون العكس، ذلك أنّ مرحلة الظّهور هذه إن أحسّ قوّادها بشيء من الضّعف في إمكانهم أن يؤجّلوا تطبيق بعض الأحكام حتى لا يعرّضوا

= التي تقع حال كونه إماما، وتجب عليهم طاعته، كعبد الله بن وهب الرّاسبي إمام أهل التّحكيم الفرقة المحقّة بايعوه إذ غشيهم العدّو فاستشهد بالنّهروان ومن معه من المسلمين إلاّ يسيرا، وكأبي حاتم ومن كان مثلهما. والأقرب عندي أنّ أبا حاتم من الأوّلين، لأنه - رحمه الله - منذ بويع ما استكان للشّيطان ولا طلب الرّاحة للبقاء بل جرّد سيفه وأقام دين الله طاقته، فقاتل جنود الظّلم ميمنة وميسرة.

٣) **الشّراء**: مصدر مقصور ممدود من الأضداد استعير لما ينال من الثّواب على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٠٧]، أي يبيعها. ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ١١١]، وسمّوا شراة لأنّهم باعوا أنفسهم من الله بالجنّة، ويجب على البائع تسليم الشّيء المبيع للمشتري، ولذلك -رحمهم الله- حكموا على الشّراة بعدم المقام حتى يموتوا أو يظهر دين الله ويخمد الكفر والجور حتى ينقصوا عن ثلاثة رجال. وإمام الظّهور تجب عليه الأحكام إلى أن ينتقص عدد عن [أتباعه] الأربعين، وهو حد الشّراء للخروج لا ما دونه، وأكثر أصحابنا ماش على هذه الطريقة، كأبي بلال مرداس بن حدير وأمّه أديّة وأخوه عروة أوّل من قال: لا حكم إلاّ لله، وهما من أعبد النّاس وأزهدهما وأخوفهما من خالقهما، وأخبارهما مشهورة، وكذا قريب وزحّاف وغيرهما من الشّراة (قريب بن مرة الأزدي. وزحاف الطّائي هما من أشهر التّابعين علما وتقوى وورعا وجهادا في سبيل الله وهما من أصحاب أبي بلال والإمام أبي الشعثاء، تعليق المحقق ص٧٣).

٤) **الكتمان**: مصدر كتم يكتم كتما وكتمانا،... كجابر بن زيد من الأزدي، وأصله من عمان... ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفّي سنة ٩٦ بالبصرة (الصحيح ٩٣). كان من أعلم النّاس وله أخبار، وأبي عبيّدة...(اكتفى الشّماخي بضرب المثال عوض أن يوضّح)٢/٥٥٣.

المؤسّسة الأمّ إلى الخطر وهي الإمامة، أمّا **الكتمان** فلا يأخذ من الظّهور وإنّما يتدرّج بالإعداد له كما فعل مشائخ الإباضية مع أبي عبيدة انطلاقا من البصرة رغم اعتزال أبي عبيدة السّياسة ورجال السّياسة في زمانه.

أمّا **الشّراء** فيلجأ إليه في حالات استثنائية تعبيرا عن السّخط على النّظام الحاكم دون التّعرّض لأحد بالقتال إلاّ إن بدئوا به كما حصل لأبي بلال فحينئذ لا رجوع فإمّا النّصر وإمّا الموت.

بقي **الدّفاع** فذاك تفرضه مواقف الأطراف الأخرى المعايشة للإباضيّة، فإن شنّت هجوما وجب تعيين إمام دفاع لصدّ الهجوم تنتهي إمامته بانتهاء المعارك، إن إيجابا فإلى الظّهور وإن سلبا فإلى الكتمان.

وفعلا استطاع الإباضية زمن أبي عبيدة أن يدركوا درجة عالية من النّضج على جميع المستويات العقديّة والفقهيّة والعلميّة عامّة، ويهمنا هنا خاصّة المستوى السّياسي إذ انطلقت من هذه الحركة ثلاث إمامات في اليمن وعُمان وشمال إفريقيا، رغب الإباضية من ورائها أن يتحوّلوا إلى إمرة المؤمنين ولم يكن همّهم الملك، وإنّما هي رغبة في إحياء الإمامة الأولى إمامة أبي بكر وعمر فهل سمحت لهم أحوال العالم الإسلامي آنذاك في الثّلث الثّاني من القرن الثّاني أن يحققوا هذا المبتغى؟

المحور الثالث

إمامة طالب الحقّ باليمن والسّعي إلى إمـرة المؤمنيـن جميعا

تمـهيـد

لا نريد هنا أن نطيل في سرد الأحداث المتعلّقة بثورة عبد الله بن يحيى[1]، فذاك مبسوط في المصادر والمراجع، وإنّما نريد أن نقف عند بعض النّصائح والمواقف والخطب التي تثبت التّوافق التّام بين النّظري والعملي في سياسة الإباضية:

---

(١) **أبو يحيى عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود الكندي الجندي الحضرمي الملقب بطالب الحقّ** (١٣٠/٧٤٨): نشأ في اليمن حيث وصلت الدّعوة الإباضية سرّا. فالتحق بحلقة أبي عبيدة بالبصرة حيث كان يقع التّفكير في الثّورة على الدّولة الأموية. رجع إلى حضرموت موطنه الأصلي حيث ولي القضاء لإبراهيم بن جبلة عامل الأمويين هناك في انتظار وصول المدد من البصرة. وحال وصوله مع أبي حمزة الشّاري بويع طالب الحقّ إماما للظّهور فخيّر العامل الأموي بين الانضمام إليهم أو الخروج. فالتحق بصنعاء التي كان عليها القاسم بن عمر الثقفي. ثمّ استطاع طالب الحقّ بعد ذلك أن يعلن الإمامة بصنعاء بعد انتصاره على واليها من قبل الأمويين. ثمّ يمّم نحو الحجاز فضمّ إليه مكة والمدينة بعد حروب. هنالك وجّه إليه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية جيشا بقيادة عبد الملك بن محمد السّعدي استطاع أن يهزم أبا حمزة في الحجاز ثمّ طالب الحقّ في اليمن ١٣٠/٧٤٨ وبذلك انتهت إمامة الظّهور في اليمن لكنّ الكيان الإباضي استمّر بها إلى ق١٣/٧. ر. الشّماخي:١/٢١٣. مهدي طالب هاشم: الحركة الإباضية ٩٨-١٦٤. مبارك الراشدي: الإمام أبو عبيدة ٢٧٥-٢٩٣. ص ٦. ١٩٨٤. الزّركلي: الأعلام: ٤/١٤٤.

Radhi Daghfous: Le Yaman islamiques des origines jusqu'à l'avènement des dynasties autonomes. (1e 3e/VII-IX)I.M.P. STAG. Tunis. Publications de la Faculté des Sciences Humaines et Sociales Serie4: Histoire. Volume: XXVI. Université de Tunis1995 TI509p. T II513-1079. p610-669.

١) نصيحة الإمام أبي عبيدة لعبد الله بن يحيى تدعو **إلى الالتزام التّام بمسلك السّلف في السّلم والحرب**: "إلى عبد الله بن يحيى إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تعتدوا، واقتدوا بأسلافكم الصّالحين واستنّوا بسننهم، فقد علمتم أنّما أخرجهم على السّلطان لأعمالهم "[١].

٢) "قال: ودخل عبد الله بن يحيى صنعاء، فأخذ الضّحّاك بن زمل وإبراهيم بن جبلة بن مخرمة فحبسهما، وجمع الخزائن والأموال فأحرزهما، ثمّ أرسل إلى الضّحّاك وإبراهيم فأرسلهما وقال لهما: " **حبستكما خوفا عليكما من العامّة، وليس عليكما مكروه، فأقيما إن شئتما أو اشخصا، فخرجا** "[٢].

وبعد هاتين الملاحظتين فلنقف عند الإجراءات العلميّة التي اتخذها طالب الحقّ ثمّ لنحلّل خطب أبي حمزة في الحجاز.

I- الإجراءات العمليّة

لقد اتّخذ الإمام عبد الله بن يحيى بعد ذلك أربعة إجراءات عمليّة تثبت رسوخ الفكر السّياسي السّليم عند أهل الدّعوة:

١- **إجراء عسكريّ**: إن النّصر لا يعني الانتقام من المهزومين بل إنّه مسلك الإمام علي في معركة الجمل فلا إجهاز على مدبر ولا سلب للقتلى.

٢- **إجراء سياسيّ**: تمكين العامل على حضرموت والوالي على

---

(١) الرقيشي: مصباح الظّلام ورقة ٣٢ أ، نقلا عن مهدي طالب هاشم: الحركة الإباضية ١٠٤.
الأغاني: ١١٢/٢٣.
(٢) الأغاني: ١١٤/٢٣.

صنعاء من حرّيتهما بدون قيد أو شرط مع الاعتذار على ما أصابهما من سجن على أنّه سجن وقائي وليس انتقاما.

٣- **إجراء مالي**: "إنّ عبد الله بن مسعود وابن خيران وهما من الإباضية قد أتيا بالأموال التي أحرزها طالب الحقّ إلى المسجد فقسّمها (الإمام) على فقراء صنعاء بالسّويّة، ولم يسمح للإباضيّة أن يأخذوا منها شيئا".

هذا هو حكم المال المغتصب في الفقه الإسلامي، إنّه مال جهل أصحابه، مرجعه إلى الفقراء.

٤- **إجراء اجتماعي**: تخيير النّاس بين ثلاث اختيارات:

أ- إمّا اعتناق مسلك أهل الاستقامة: "على أن يجاهد معنا بنفسه فيكون له من الأجر ما لأفضلنا ومن قسم الفيء ما لبعضنا".

ب- القول بقول الإباضية دون الجهاد، مع الدّعوة إلى الإباضية بالقلب واللّسان، ولم تحدّد لهم حقوق معيّنة.

ج- ملازمة الحياد لمن يعارض مبادئ الإباضية، وفي هذه الحالة لن يصاب بسوء[1].

---

(١) وفي شأن هذه الإجراءات: الشّماخي: سيّر١/٢١٤. الرقيشي: مصباح الظّلام ٣٤ أ نقلا عن مهدي طالب هاشم ١١٥.

II- تحليل خطب أبي حمزة[1] في الحجاز

تمهيد :

إنّ المتأمل في ما أوردته كتب التّاريخ والطّبقات والأدب من خطب أبي حمزة يتبيّن أنّها تتداخل في بعضها البعض ولا يهمّنا في هذا البحث إلاّ أن نحللّ هذه الخطب لنبيّن بعدها الحضاري على أنّها مجموعة من الوثائق التّاريخيّة المتكاملة تعبّر عن عديد من مواقف الشّراة في العقيدة والسّياسة وما إلى ذلك.

مع العلم أنّ هذه الخطب كانت في فترة واحدة لأنّ إقامة أبي حمزة في الحجاز كانت زهاء ثلاثة أشهر سنة ١٣٠/٤٤٧. كما نلاحظ أنّ هذا العدد الذي وصل أقلّ بكثير ممّا ألقي من خطب، ذلك أنّ خطب الجمعة التي لم يكن أبو حمزة ليغفل عنها لا تقلّ عن اثنتي عشرة خطبة، عدا المواعظ الأخرى التي ألقيت في رحاب الحرمين الشّريفين طيلة هذه المدّة التي أحسن فيها أبو حمزة السّيرة في هذه الرّبوع المقدّسة.

---

(١) **أبو حمزة الشّاري** (١٣٠/٧٤٨): المختار بن عوف بن سليمان بن مالك الأزدي السليمي البصري. ثائر من الخطباء القادة، ولد بعمان. إباضي. أرسله أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وبلج بن عقبة نجدة لعبد الله بن يحيى (طالب الحقّ). وتوجه أبو حمزة من اليمن يريد الشّام لقتال مروان بن محمد وتبعه جميع أهلها (اليمن)، ومرّ بالمدينة فقاتله أهلها في قديد، فقاتلهم ودخلها عنوة ثمّ تابع زحفه نحو الشام، وقد ألقى خطبا بمكّة وأخرى بالمدينة ما تزال كتب الأدب تنوّه بقيمتهما البلاغيّة.

فوجّه مروان بن محمد إليهم جيشا بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطيّة السّعدي وانتهت المعركة بمقتل أبي حمزة ١٣٠/٧٤٨. ر.الدّرجيني: الطّبقات: ٢/٧٥-٧٧. وقد أورد الخطبتين ٢/٧٥-٧٩. ر. الشّماخي: السّير ١/٢١٣-٢١٦. ر. الزّركلي: الأعلام ٨/٧١.

ملاحظة: يعرفه الإباضية بأبي حمزة الشّاري أو الإباضي ولا يستعملون الخارجي.

* أبو حمزة ومنهج الحكم

إنّ هذه الخطب تنمّ عن وعي سياسي واضح، ذلك أنّ أبا حمزة تتبّع سيرة خلفاء بني أميّة واحدا واحدا متعرّضا لما تميّز به حكم هؤلاء من خصائص تثبت للعيان أنّهم استووا جميعا في الجور، وإن تفاوتوا في قدر هذا الطّغيان، كما أنّ البعض منهم تجاوز الآخرين في اللّهو والعبث، باستثناء عمر بن عبد العزيز.

وإن كان أبو حمزة **يرفض** هذا الخطّ الذي اتبعه الأمويون فإنّه يعرض **البديل** الذي ستسوس به الإمامة الإباضية البلاد والعباد، ومن خلال عرض هذه المقابلة بين المنهجين تتّضح معالم الفكر السّياسي عند الإباضية في نواتها الأولى.

١- المنهج المرفوض

أ- السّياسة العامّة

يتوجّه أبو حمزة إلى أهل المدينة سائلا إياهم عن الولاة - الخلفاء - فيجيبون: "والله ما فيهم الذي يعدل... وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله..." وقلنا لكم: "تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم وجاروا في الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله...".

كما يقول في موطن آخر: "أصابوا إمرة ضائعة... فملكوا الأمر وتسلّطوا فيه تسلّط ربوبيّة، بطشهم بطش الجبابرة، يحكمون بالهوى. ويعرفون "بأنّهم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله".

كما يلحّ على نبذهم لكتاب الله: "ثمّ مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى، قد نبذوه وراء ظهورهم...".

ولم يكتف الواحد منهم بالظّلم بل جعلوا الحكم وراثيّا لا يتجاوزهم إلى غيرهم من المسلمين كأنّ الأمر حكر على بني أميّة أو على بني مروان: "ولعبوا بدين الله لعبا واتّخذوا عباد الله عبيدا ويورّث ذلك الأكبر منهم الأصغر...".

فأبو حمزة لا يرفض حكم بني أمية لهوى في نفس، أو رغبة في ملك مماثل، أو أسوأ، وإنّما يرفض هذا الحكم لأنّه **حكم مغتصب** من مستحقيّه من المهاجرين والأنصار بالمكر والخديعة في البداية - إمرة ضائعة - ثمّ بالحديد والنّار في ما بعد، وكتب التّاريخ تذكر كيف أخذ معاوية البيعة ليزيد من خيرة الصّحابة بسلطان السّيف ولم يسلك فيه هؤلاء مسلكا من مسالك الخلفاء الرّاشدين المتمثّلة في **ولاية العهد لغير الوارث وفي مجلس الشّورى أو ترك الأمر للمسلمين**.

ويا ليت هذا الحكم المغتصب وجّه الوجهة الشّرعية، فأبو حمزة يلحّ على أنّها (خلافة) لم تحمل من حقيقة الخلافة إلاّ الاسم لأنّ الخلافة تستند إلى كتاب الله وسنّة رسوله، وبذلك تتميّز عن السّياسة الطّبيعية والسّياسة العقلية. بينما (خلافة) بني أميّة تقوم على الاستخفاف بكتاب الله، ما دام أحد ممثليها ينتقم من المصحف نفسه لأنّه ذكّره بخيبة كلّ جبّار عنيد، وتقوم على اللّعب بدين الله، وعلى الحكم بغير ما أنزل الله، وهم يعلمون أنّ الله يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤] ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة ٤٥] ﴿هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة ٤٧].

وبما أنّهم نبذوا القرآن الكريم وراء ظهورهم فإنّهم كانوا يحكمون بالهوى، ويبطشون بطش الجبابرة، فلا مقياس إلاّ مصلحة العرش وأصحاب العرش، ولا بقاء إلاّ لهؤلاء مهما كان الثّمن، وإن أدّى ذلك إلى

تذبيح الآلاف من النّفوس البريئة، وصلب كلّ مخالف، والتّلاعب برأسه إن لزم الأمر لتكون مخالفته ردعا لمن لا يريد أن يزدجر.

كما أنّ أبا حمزة يرفض هذا الحكم لأنّه **وراثي قيصري**، وهذه الوراثة ما أنزل الله بها من سلطان، لأنّ أمر المسلمين يجب أن يتولاّه من توفّرت فيه شروط الإمامة مهما كان لونه، ومهما كان جنسه، **ومعيار السّياسة الشّرعيّة في التّقوى**، وقد ألحّ أبو حمزة على هذا المعنى خاصّة في حديثه عن يزيد بن عبد الملك "غلام ضعيف سفيه... لم يبلغ أشدّه".

ثمّ إنّ أبا حمزة يثبت بالدّلالة الملموسة أمام الملإ **مظاهر الطّغيان والاستخفاف بكتاب الله**: "... رأينا الأرض قد أظلمت، ومعالم الجور قد ظهرت، وكثر الادّعاء في الدّين، وعمل بالهوى، وعطّلت الأحكام وقتل القائم بالقسط وعنّف القائل بالحقّ... ".

ولا ينبغي أن نغفل عن أنّ هذا الملأ من أنصار بني أميّة، ولو كانت له حجّة في الرّدّ على أبي حمزة ما ترك الفرصة تنفلت منه، ولتناقلت الأخبار مثل هذه الرّدود، ولكن كما ذكر أبو حمزة فإنّ هؤلاء أنفسهم يشتكون من قصر الخلافة، ولكن قهر الأمويين على ظلمهم ألطف من حكم أبي حمزة الذي يعتبرونه خارجيا مارقا، فمهما قال من حقّ لا يمكن أن يقبل.

وتكفي هنا شهادة الإمام مالك التي تناقلتها كتب الأدب وغفل عنها المؤرّخون لتبيّن قوّة حجّة أبي حمزة لأنّ خطبته " **شككّت المستبصرين وردّت المرتابين** ".

ولا أراني هنا مضطرا بأن أطيل الحديث عمّا جاء في المصادر ممّا

عرفته الأمّة من خنق لجميع أنواع الحرّيّات، فإمّا أن تكون أمويّا وإمّا فلا، وقد عرفنا عبد الملك بن مروان على رجاحة عقله بالنّسبة إلى قرابته، كيف يدوّي بها صريحة أنّ كلّ من يتطاول ليقول للخليفة أخطأت لا رادع له إلاّ السّيف، وصدق حجّاجه عندما يقول عن أهل العراق "**رؤوس قد أينعت وحان قطافها**"، نعم إن الرّؤوس عند هؤلاء النّاس ورود عبقة يتهادونها في ما بينهم، بل يتسابقون لقطعها وتبليغها إرضاء لحضرة (الخليفة).

بقي أن القاعدة لدى هؤلاء تتمثّل في أنّهم يأخذون المسيء بالمحسن والمحسن بالمسيء، وإذا ما ارتابوا في أحد فلا هوادة: "**يقتلون على الغضب ويأخذون بالظّنّ**".

كما أن المقاييس عندهم مقلوبة: "**يؤمّنون الخونة، ويقصون ذوي الأمانة**" فلا سلامة في ظلّ هذه الخلافة إلاّ بالبراعة في الخيانة، واجتناب كلّ ما يمتّ بصلة للأمانة. أمّا عن حدود الله فلا تسأل، فهذه حكر على من لا قرابة له ولا علاقة له بالقصر العالي، أمّا إن كنت من المقربين فافعل ما تشاء، "**ويعطّلون الحدود بالشّفاعات**" وكذلك إذا كنت الخليفة فاصنع ما شئت، وفي كلّ عند الشّعراء مفخرة وإن كان شرب الخمر وتعاطي الفحشاء جهارا.

وإن عطّل هؤلاء الحدود الشّرعيّة فإنّهم أقاموا مقامها - إن صح التّعبير - الحدود البشرية، أتعلمون أنّ من أجل متعة الخليفة "**تضرب الأبشار وتحلق الأشعار**"، وكذا كان الأمر من أجل بردتي مولانا أمير المؤمنين اليزيد بن عبد الملك، وكيف وهو ابن الأكرمين، فأين أنت يا عمر يا من تقدّم الدّرة للمظلوم وتقول: "اضرب ابن الأكرمين".

ولم يحتج أبو حمزة للحديث عن **الولاة والقضاة والعمّال** لأن هؤلاء

نسخة من سادتهم في دمشق، لأن الاختيار جزء من كيان المرء، ولا يمكن ليزيد إلاّ أن يختار من أمثال اليزيد والطّيور على أشكالها تقع.

ثمّ ليزيد أبو حمزة تدليلا على صدق ما يقول لأهل المدينة خاصّة والمسلمين عامّة حتى يزيح عنهم حجاب الغفلة الذي نسجته عوادي الزّمن منذ ما يقارب القرن، فقد آن له أن يسمع صوته، والنّاس في طغيانهم يعمهون، وقد ألفوا الظّلام وحسبوه نورا، وتعوّدوا الظّلم وصاروا يعتقدون ألاّ حياة بدون قهر لأنّ البشر مجبولون على الشّرّ. لكنّها كلمة الحقّ يجب أن تقال، وليكن ما يكون، إنّها تتمثّل فيما امتازت به الخطبة من تقصّ لآثار جميع الخلفاء الذين يركع أمامهم النّاس ساجدين، ويقبلون بين أيديهم ملبّين، ويدعون لهم في كل جمعة متضرّعين.

إنّهم جمعوا بين الماضي القاتم - لعناء - طرداء - وبين الحاضر العبق بالجور والفجور، وتكفي بعض العبارات للدّلالة على أن أصحابها محدودون لو كان للقرآن سلطان: "**وأحلّ الفرج الحرام**". "**يزيد الخمور**" "**فاسق في بطنه وفرجه**" "**مأبون في بطنه وفرجه**".

وصدق أبو حمزة عندما لم يغفل عن **تحميل الأمّة مسؤوليتها**، "**فيالها أمّة ما أضيعها وأضعفها**". "أصابوا (الأمويون)... قوما طغاما جهّالا، لا يقومون لله بحقّ، ولا يفرّقون بين الضّلالة والهدى، ويرون أنّ بني أمية أرباب لهم". "فحق لمن اتخذ غيره مربوبا أن يتّخذ عبدا". "واتّخذوا عباد الله عبيدا". فلذلك لم يتحرّك أحد عندما ضربت الأبشار وحلقت الأشعار بل كلّما قام قائم يجيب داعي الرّحمان تصدّوا له ودافعوا عن مستحلّي الأموال، والفروج، وشرّابي الخمور.

ويجد أبو حمزة أحسن مثال في عبودية أهل المدينة - ولا ينبغي أن

يخلط القارئ فإن كان سكّان المدينة بقداستها وروحانياتها وما نزل فيها من وحي والوحي منهم براء - لبني مروان هؤلاء الذين عرّف أبو حمزة بحقيقة أمرهم للتّعريف بما وصلت إليه الرّعية الأموية من خنوع وانحراف، وبعد عن نصرة الحقّ - لأنّ الحقّ ينصر مهما كان مأتاه - وإن كان أهل المدينة على هذه الحال رغم معايشتهم لروضة الرّسول عليه السّلام صباح مساء فحدّث عن البقيّة ولا حرج.

إنّ هؤلاء كانوا على عكس سلفهم من المهاجرين والأنصار، فبقدر ما ضرب صحابة رسول الله ﷺ أروع مثال للبشريّة جمعاء عقيدة وقولا وعملا، كان خلفهم على أسوأ حال عقيدة وقولا وعملا، إذ غفلوا عن دين الله، وتركوا القرآن الكريم وسنّة الرّسول عليه السّلام وراء ظهورهم، وأعرضوا عنهما تمام الإعراض، فقست القلوب وكانت تبعا للهوى، فخيّم عليها الجهل فكانت كالحجارة أو أشدّ قسوة، فعشق أصحابها الباطل وكرهوا الحقّ، إلى حدّ أنّهم صاروا يرون المنكر معروفا، والمعروف منكرا، وعندما دعاهم أبو حمزة إلى طاعة الرّحمان، دعوه إلى طاعة الشّيطان، وإلى اتّباع حكم آل مروان، فاتّضح أنّهم صاروا للظّلمة أعوانا، وللشّيطان خلاّنا، وصدّق عليهم إبليس ظنّه.

ولم يكن أبو حمزة ليرسل القول جزافا، وإنّما هي الحقيقة التي خبرها من زمان، وقد طفحت عديد من كتب التّاريخ بما فيه الكفاية من شهادات لما تردّى إليه الوضع في مدينة الرّسول عليه السّلام خاصّة والحجاز كافة، وما ذلك إلاّ بتدبير السّادة من آل مروان، لإبعاد أحفاد الصّحابة عن الميدان، عسى أن يدوم لهم السّلطان.

ولا نريد أن نمضي في التفصيل، وإنّما نكتفي بقول أبي حمزة: "يا

أهل المدينة إن أوّلكم خير أوّل وآخركم شرّ آخر. . ." "**عمي القلوب صمّ الآذان، اتّبعتم الهوى فأرداكم عن الهدى، وأسهاكم، فلا مواعظ القرآن تزجركم فتزدجروا، ولا تعظكم فتعتبروا، ولا توقظكم فتسيتقظوا، لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم. . . لو شقّت عنهم قبورهم فعرضت عليهم أعمالكم لعجبوا كيف صرف العذاب عنكم** ".

ولم يقف أمر هذه الغفلة عند العامّة بل نفذ إلى **الفقهاء والقرّاء**، وهنا يلتفت أبو حمزة إلى هؤلاء ويحمّلهم مسؤولية ما عليه الأمّة من غيّ وضلال، ذلك لأنّهم واكبوا السّلطان، واستطابوا عطاءه، وزيّنوا له أعماله: "**يا أهل المدينة. . . إنّكم أطعتم قرّاءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غير ذي عوج بتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، فأصبحتم عن الحقّ ناكبين، وأمواتا غير أحياء وما تشعرون** ". ولعل أبا حمزة يشير إلى ما شاع في الأوساط آنذاك من ظاهرتي **الجبر والإرجاء** ومنطلقهما السّياسة الأمويّة الهادفة إلى تمييع النّاس وإخضاعهم لسلطانهم.

ومن ذلك أنّ معاوية نفسه يوهم في خطبه أنّه لم يغتصب الحكم، وأنّه خازن من خزّان الله. فيقول مرّة: "لو لم يرني ربّي أهلا لهذا الأمر ما تركني وإيّاه، ولو كره الله تعالى ما نحن فيه لغيّره". ويقول أخرى: "إنّما أنا خازن من خزّان الله، أعطي من أعطاه وأمنع من منعه".

وبما أنّ معاوية ومن ورثّهم الحكم على هذا المستوى، لم يبق على الأمّة إلاّ الطّاعة، وإن هي انحرفت في سلوكها فلا ضرر عليها لأنّه لا تضرّ مع الإيمان معصية.

ب- السّياسة الماليّة

وإن أبدى أبو حمزة رفضه لظلم الرّاعي وخنوع الرّعيّة على الإطلاق فإنّه شنّع **بسياسة بني أمية المالية** أيّما تشنيع، ووزّع ذلك في جلّ مراحل الخطب فإن لم ينتبه المستمع مرّة فإنّه لا يمكن أن يغفل في بقيّة المرّات.

"سألناكم: هل يستحلّون المال الحرام...؟ فقلتم: نعم". "يا أهل المدينة مررت بكم في زمان الأحول هاشم بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم، فكتب بوضعها عنكم، فزاد الغني غنى والفقير فقرا...".

"أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القوي - على حبّه - للضّعيف فجاء التّاسع، وليس له منها ولا سهم واحد، فأخذ جميعها لنفسه مكابرا محاربا لربّه، وما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله؟". "معاوية اتّخذ مال الله دولا ". "يزيد الخمور، ويزيد الصّقور..."، **وما تحتاج إليه هذه المتع من أموال**. "ثمّ تداولها بنو مروان بعده... فأكلوا مال الله أكلا".

"يزيد بن عبد الملك... يشرب الحرام، ويأكل الحرام، ويلبس بردتين قد حيكتا له وقوّمتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقلّ، قد أخذت من غير حلّها، وصرفت في غير وجهها، بعد أن ضربت فيها الأبشار، وحلقت فيها الأشعار... ".

"يأخذون الصّدقة في غير وقتها وعلى غير فرضها، ويضعونها في غير موضعها...".

"أخذوا المال من غير حلّه فوضعوه في غير حقّه. . . واستأثروا بفيئنا

فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا في مهور النّساء وفروج الإماء. . ." هذه شهادة أهل المدينة في الولاة وفي من ولاّهم: "نأكل ماله (اليتيم) ونفجر بأمّه". هكذا شهد ابن عطيّة القائد الأموي عندما سألهم الشّراة عن مال اليتيم.

تلك هي السّياسة المالية للدّولة الأموية فإنها لم تكتف بجمع المال من موارد الزّكاة التي حدّدها الله تعالى في القرآن الكريم، ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة ٦٠] بل أضافوا سهما تاسعا، ولا تعجب إذا علمت أنّ هذا السّهم المضاف ابتلع الأسهم الأخرى كلّها وتجاوزها.

فكان هؤلاء الخلفاء يسلّطون جباتهم متعلّلين بالصّدقة، ولكن لا ينتظرون دوران الحول ولا يتوقّفون عند الحدّ المفروض.

ثمّ يتجاوزون ذلك إلى ضرب أنواع الفيء والخراج والضّرائب، تؤخذ من النّاس أرادوا أو لم يريدوا، كلّ ذلك لا ليسخّر في المصالح العامّة، وإنّما لينفق على من في القصور بما عرفوا به من بذخ ومعصية وفجور، وإلاّ فكيف يسمح لنفسه من يلقب بأمير المؤمنين بأن يترنّح بين المغنّين والمغنّيات على مرأى ومسمع من الأمّة جميعها غنيّها وفقيرها عالمها وجاهلها.

وكلّما قامت ثورة قالوا إنّها خروج عن الطّاعة، وتحوّلت الأموال إلى الإنفاق على الجيوش والسّلاح للحفاظ على هيبة (الخلافة)، وهل أبقى الخلفاء لهذه الخلافة هيبة؟ ويتألّب أصحاب المصالح المنتفعين فيحصدون الرّؤوس حصدا، ويرسلون ما طاب لهم منها إلى قصر الخلافة طمعا في

الوجاهة لما تدرّ على صاحبها من مال.

وبهذا ومثله نفهم أنّه حقّ لأبي حمزة وأصحابه أن يخطّطوا السّنين الطّوال ليصلوا إلى التّعبير عن رأيهم علانيّة في عسف الأمويين وظلمهم السّياسي والمالي، ورغم أنّ أهل المدينة بذلك معترفون، فإنّهم للأمويين موالون، وعنهم مدافعون، ولأبي حمزة وأصحابه محاربون. إنّهم بحقّ كما قال أبو حمزة: " **أهل الضّلالة والجهالة. سرّاع إلى الفتنة بطّاء عن السّنّة** ". ما داموا يقبلون الضّيم مع الاعتراف بأنّه قهر.

ولا يمكن أن نلوم أبا حمزة عن سكوته عمّا عرفته الحضارة من تطوّر زمن الأمويين ذاك أنّه يعتبر أنّ كلّ ذلك لا يصل إلى تبرير سياسة هؤلاء التعسّفيّة تلك التي نجد شواهد عليها عند غيره أيضا.

٢- المنهج المقترح

أ- السّياسة العامّة

إنّ أبا حمزة على يقين من أنّ النّاس لا يكتفون بالتّعبير عن الرّفض، وإنّما يطلبون البديل وهذا يستشفّ من عديد من التّلميحات وإن كان كما يقال بضدّها تتمايز الأشياء.

لقد حدّد أبو حمزة بوضوح أنّ العامل الأساسي للثّورة لم يكن الرّغبة في الملك، " **إنّا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا، ولا عبثا ولا لهوى، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه. . .** ".

فموقف أبي حمزة واضح تمام الوضوح، لأنّهم لو أرادوا الملك ما سلكوا مثل هذا المسلك، ولتقرّبوا مثلا إلى بني مروان، ونالوا مثل ما نال

غيرهم من اللّقم السائغة التي تسعد في الدّنيا وتسخط الله في الآخرة.

نعم إنّهم باعوا أنفسهم في سبيل الله لتصحيح مسار التّاريخ، ولإرجاع العدل إلى نصابه، وفعلا خيّروا أهل المدينة بين عدّة اختيارات أبرزها أن يتركوا سبيلهم في مسيرتهم نحو إزهاق الباطل في معدنه، وهنا **وعد أبو حمزة بمنهج الحكم المنتظر: "يا أهل المدينة، إنّا خارجون لحرب مروان، فإن نظهر نعدل في أحكامكم، ونحملكم على سنّة نبيّكم ونقسم بينكم"**.

تلك هي سياسة الفئة التي سمعت داعيا يدعو إلى طاعة الرّحمان وحكم القرآن فأجابت داعي الله ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف ٣٢] **عدل في الأحكام، وقسمة بالعدل**. وكيف لا تكون سياستها على هذا النّسق وقد كان عامل قيامها ما ذكر من **تلبية من يدعو إلى حكم القرآن؟**

لكن القرآن نصّ وكلّ يدّعيه، وإن كان ابن عطيّة صرّح بأنّهم يضعونه في الجوالق، والوليد فعل معه ما علمت، وما كان أبو حمزة من هذه الشّاكلة، ولقد بيّن بكل وضوح **أنّ الإمامة المثال لديهم تتمثّل في دولة الرّسول عليه السّلام وفي خلافة العمرين وفي ستّ من خلافة عثمان وفي خلافة الإمام علي قبل التّحكيم**.

فهذه الخلافة نعلم أنّ الخليفة فيها لم يجد إمرة ضائعة، وإنّما تمّت البيعة فيها عن طريق الاختيار بالنّسبة إلى أبي بكر لأنّ من اختاره الرّسول عليه الصّلاة والسّلام للصّلاة أولى بأن يختار للدّنيا، وعن طريق ولاية العهد بالنّسبة إلى عمر، وعمر ليس من رهط أبي بكر الأقربين، وعن طريق الشّورى بين ستّ لم يكن واحد منهم من قرابة عمر في شيء بالنّسبة إلى

عثمان، فالأساس في بيعة الخليفة «**إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم**».

* ولم يكن هذا مجرّد ادّعاء وإنّما هو واقع إذ قد تمّت بيعة عبد الله بن يحيى طالب الحقّ لما منّ به عليه المولى تعالى من تقوى، إذ لم يكن قرشيا، ولا من آل البيت، وإنّما كان مؤمنا بالله حنيفا، والنّاس جميعا يعلمون أنّ مصدر الشّورى لتحديد هذه الإمامة بيد مولى من الموالي وهو أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة مولى عروة بن أديّة التّميمي.

* وليس الإمام في مثل هذه الدّولة إلاّ واحدا من الرّعيّة لا يحتجب عنهم، كذا فعل الخلفاء الرّاشدون وكذا كان طالب الحقّ في اليمن، والكلّ يشهد أنّه أحسن السّيرة، وكذا يشهدون في قائده أبي حمزة، فلم يكن واحد منهما يعرف للحياة في القصور ولا بين القيان طعما، بل كان كأبسط واحد من الرّعيّة، يسعدان لأفراحها ويألمان لآلامها.

* **فالحاكميّة لله وحده في هذه الإمامة**، ولا ننسى أنّ شعار هذه الطّائفة من النّاس من يومها الأوّل **لا حكم إلاّ لله**، وليست كلمة حقّ أريد بها باطل كما قيل، وإنّما هي كلمة حقّ أريد بها حقّ، ولا منارة للحقّ إلاّ إذا خضع الحاكم والمحكوم لحكم الله المتجلّي في كتابه الكريم وفي سنّة نبيّه الشّريفة.

ولا أريد أن أمضي في تفصيل ما جاء في القرآن الكريم من كلّيات في ضبط علاقة العدل والإنصاف بين طرفي الأمّة، بين الرّاعي والرّعيّة، أي بين الإمامة والأمّة، لأنّ هذا مبسوط في كتب الأحكام ولا يخفى على أحد، إلاّ أنّ المهمّ في أنّ هذه المعاني التي أشار إليها أبو حمزة جاءت قبل أن يعرف النّاس التّنظير **بل هي عند الإباضية خاصّة أصل التّنظير**.

* ثمّ إن هذه السّياسة قائمة على أساس أرقى من "**إن نظهر نعدل في**

أحكامكم" وهو أساس "**أحسن إلى من أساء إليك**" وفعلا فقد أساء أهل صنعاء وعلى رأسهم الوالي وعامله في حضرموت لطالب الحقّ، فما كان منه إلاّ أن عفا عنهما، ومكّنهما من حرّيتهما المطلقة، ولكن كما يقال: "إن اللّئيم إذا أكرمته تمرّد".

* ولم يكن هذا النّوع من الإمامة ليتوجّه وجهة وراثيّة، وقد ذكرنا أن أبا حمزة ألحّ كلّ الإلحاح في تحوّل الخلافة بين الخلفاء الرّاشدين على **نفي عنصر القرابة والوراثة**، وحقيق لمثل من يؤمن بهذا المبدإ أن يثور على حكم توارثه الأمويون قرنا من الزّمن، جاثمين على صدور العباد، كأنّ البطون الأخرى عقمت عن ولادة الأئمّة.

أمّا عن العلاقة بين عناصر الأمّة فهي الأخوّة في الله وفي الله وحده "**فأقبلنا من قبائل شتّى قليلون مستضعفون في الأرض فآوانا الله وأيّدنا بنصره وأصبحنا - ولله الحمد - بنعمته إخوانا** ".

يا لها من أمّة، أليست صورة طبق الأصّل للأمّة التي اجتمعت حول الرّسول محمد عليه السّلام، وخلفائه البررة الكرام، لا تربط بين أفرادها لا الرّابطة العرقيّة البغيضة، ولا العلاقة المصلحيّة الآنية، وإنّما هي الأخوّة الصّادقة لإعلاء كلمة الله.

وإذا أردت أن تتعرّف على معدن أفرادها، فهم على عكس ما عرفت من قبل من أنصار بني مروان، الذين غلب عليهم الشّيطان، لأن هؤلاء اهتدوا بهدي الرّحمان، وانطلقوا في محاربة الطّغيان، ومهما أوتيت وأوتي غيري من بيان، فلن نصل إلى تعريف أصحاب أبي حمزة كما عرّفهم هو في خطبته التي سارت بها الرّكبان، وصارت أحسن رمز للبيان، على مرّ الزّمان.

لقد عيّره أهل الحجاز بحداثة أصحابه، فقلب الذّمّ إلى مدح، وشاهده في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ. نعم إن أصحابه **شباب ولكنّهم ليسوا كالشّباب**، إذ يعلم النّاس أن الشّباب شعبة من الجنون، إنّهم شباب في أجسامهم وأعمارهم لكنّ عقولهم قد اكتهلت واكتملت فهي في منتهى الرّصانة لا يعرف التّهوّر إليها سبيلا.

وقد كان لهذا **الاكتهال** أحسن الأثر في السّلوك، فإنّ كان أمثالهم من الشّباب يرتع، ويمرح، وينحرف، فإنّهم أعرضوا عن الباطل إعراضا، وولّوا وجوههم شطر الخير والصّلاح، فعميت أبصارهم عن كل منكر، أمّا أرجلهم فلم تعرف إلى الحرام طريقا.

ولم تكن هذه الاستقامة ناتجة عن الاكتهال فحسب، لأنّه كم من كهل انحرف، وكم من شيخ تصابى، وإنّما هو **التّعايش المتواصل مع القرآن الكريم**، لا يقرأونه فلا يتجاوز حناجرهم كما يدّعي خصومهم الغارقون في القراءة التي لا تتجاوز الشّفتين، وإنّما هم بكّاؤون عند قراءته على مسلك أبي بكر، يتضاعف هذا البكاء فيتحوّل إلى شهيق بين آيات الوعد وآيات الوعيد.

وماذا تظنّ أن يكون هذا الذي **يصل كلال اللّيل بكلال النّهار**، هذا الفارس في النّهار الرّاهب في اللّيل، - وقد علمنا أنّ مولى عروة يقول عنه إنّه لم يقدّم له طعاما في النّهار أبدا ولم يفرش له فراشا في اللّيل أبدا - هذا الذي أكلت الأرض جبهته وركبتيه من كثرة السّجود لله. إنّه المؤمن الحقّ الذي يلتزم بحدود الله فلا يتعدّاها بل لا يفكّر حتى في الاقتراب منها.

تلك هي حالهم أيّام السّلم تقوى وصلاح، وأخوّة ووئام، حتى تخال أنّهم لا يعرفون إلى ميدان الحرب سبيلا، ولكن أبا حمزة يفاجئك وهو

يتحوّل بك مع **هؤلاء في نصرة الحقّ، ومقاتلة الجحافل المناصرة للباطل**: إنّه إقدام منقطع النّظير، تتلقّى فيه الضربات بالنّحور، لا بالظّهور، لأنّهم الكرّار وليسوا بالفرّار. إنّه **الشّراء في سبيل الله** في أعلى مراتبه، فإمّا النّصر وإما الشّهادة ولا ثالث لهما.

إنّه لمشهد مثير يختم به أبو حمزة هذا التّعريف بأصحابه الذين تحوّلت خيرة أعضائهم إلى أفواه السّباع ومناقير الطّيور الكواسر.

إنّه التّرحّم على شهداء الحركة بما فيه من دفع للأصحاب حتى يبقوا على العهد، وردع للأعداء الذين كانوا سببا في أن تتحوّل هذه الأعضاء الخاشعة، والعيون الدّامعة، إلى أشلاء في أفواه السّباع الضّارية، ومناقير الكواسر الجارحة.

ب- السّياسة الماليّة

بقيت السّياسة الماليّة للإمامة التي يدعو إليها أبو حمزة الذي شنّع بموارد بني أميّة الحرام، وبنفقاتهم الحرام، إنّها تتلخص في سطور قلائل: "**إن نظهر... نقسم بينكم**" "**النّفر منّا على بعير واحد، وعليه زادهم، وأنفسهم، يتعاورون لحافا واحدا**". وهذا متى، بعد أن أظهرهم الله على اليمن، وآلت إليهم خزائن بني ثقيف ولاة اليمن الّذين جمعوا الأموال تجميعا، وقد علمنا ما فعلوا بهذه الأموال، طبّقوا فيها شرع الله إذ المال الذي جهل أصحابه الفقراء أولى به.

إنّها سياسة تقوم على التّقشف، أساسها رفض المال الحرام والاكتفاء بالحلال من الموارد التي حدّدتها الشّريعة، وهي ليست بالقليل عند

أصحاب الصّلاح، والنّاس جميعا على علم أنّ زكاة الأغنياء من المسلمين زمن عمر بن عبد العزيز كفت مؤونة الفقراء والمتزوّجين والمدينين.

خـــلاصـــة:

تلك هي إذن إمامة من أجابوا داعي الرّحمان، دستورها القرآن، والقائم على حظوظها واحد من عباد الرّحمان، تتمّ بيعته لتقواه، بقطع النّظر عن لونه وقبيلته وجنسه، لا حقّ له في أن يورّثها لأحد من ورثته، إذا تمّ له الأمر يعدل في الأحكام، ويحمل النّاس على الشّريعة السّمحة، ويعدل في القسم، يقول بأعلى صوته: "النّاس منّا ونحن منهم إلاّ مشركا عابد وثن، أو كافرا من أهل الكتاب، أو إماما جائرا"، وبهذا يصبح النّاس في إمامته إخوانا يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، يعيشون مع القرآن، وبالقرآن، وللقرآن ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح ٢٩]، لا تأخذهم في الله لومة لائم، شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، همّهم إمّا في تحقيق الإمامة العادلة، أو الفوز بالشّهادة.

واضح إذن أنّ رغبة هؤلاء لم تكن في إقامة ملك قيصري، وإنّما كان غرضهم الأساسي يتمثّل في تحقيق الإمامة العادلة اعتقادا منهم أنّ النّاس سيناصرونهم حال إدراكهم بسلامة منهجهم، لكنّ العكس هو الذي وقع، وشنّت عليهم الدّولة الأمويّة بقائدها ابن عطية هجوما معاكسا شرسا انتهى باستشهاد أبي حمزة ثمّ عبد الله بن يحيى.

ورغم المجازر الانتقامية التي أقامها ابن عطية لم تكن اليمن

لتستسلم، وقد رسخ فيها جانب العقيدة الإباضية بل ظلّت معقلا من معاقل الإباضية حتى القرن السابع/١٣[١].

وما أن عرف الإباضية بمركز الدّعوة فشل إمامة الظّهور في اليمن حتى ولّوا وجوههم شطر عُمان حيث بايعوا الجلندى بن مسعود[٢] إماما للظّهور (سنة ١٣٢/٧٤٩)، ثمّ شطر المغرب حيث بويع أبوالخطاب عبدالأعلى المعافري[٣]. إمام ظهور في طرابلس(١٤٠/٧٥٧)،

---

(١) اليماني (تاج الدين): تاريخ اليمن المسمّى. بهجة الزّمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي. دار الكلمة. صنعاء. ط٢. ١٤٠٥/١٩٨٥.

(٢) **الجلندى بن مسعود (١٣٤/٧٥١)** : يقول الشّماخي:" وكان الجلندى رحمه الله إماما فاضلا عادلا حليما تقيّا عالما عاملا بالكتاب المبين وسنّة النّبي الأمين محمّد عليه الصّلاة والسّلام " السّير ١/١٠٩.

...أخذ العلم عن الإمام أبي عبيدة ووجّهه إلى طالب الحقّ، واشترك في بيعته، ثمّ لمّا قتل طالب الحقّ رجع الجلندى إلى عمان فبايعوه إماما.

أقام بصحار إذ كان مقرّ الإمامة فيها. وتوفّي شهيدا بالقتل في المعركة التي دارت بينه وبين خازم بن خزيمة الذي أرسله السّفّاح إلى عمان ليدخلها تحت سلطانه ١٣٤/٧٥١.ر. مبارك الرّاشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التّميمي وفقهه ٤٥-١٤٥. مطابع الوفاء. المنصورة ١٤١٢/١٩٩٢ ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٣) **أبو الخطّاب عبد الأعلى بن السّمح المعافري اليمني** (١٤٠-١٤٤/٧٥٧-٧٦١): أحد حملة العلم (الإباضية) إلى المغرب من البصرة. التقى بعبد الرّحمان بن رستم، وعاصم السّدراتي، وأبي داود القبلي النّفزاوي، وإسماعيل بن درار الغدامسي بالبصرة وكلّهم من حملة العلم، حيث أخذوه عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مدة خمس سنوات (١٣٥-١٤٠/٧٥٢-٧٥٧). ومنها رجعوا إلى المغرب لنشر الإباضية. وكان شيخهم أبو عبيدة قد اقترح عليهم إن أنسوا من أنفسهم قوّة وأرادوا إعلان الإمامة، أن يعقدوها لأبي الخطّاب وكان ما أراد. انظر: أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الوارجلاني (٤٧١/١٠٧٨): كتاب السّيرة وأخبار الأئمّة. تحقيق عبد الرحمان أيوب. الدار التونسية للنشر. المطبعة العربية التونسية. بنغروس ١٤٠٥/١٩٨٥. ص٦١، الدّرجيني : طبقات١/٢١-٢٣. الشّماخي: سير٢/٢٤٥-٢٤٧... عن بحاز إبراهيم: الدّولة الرّستمية ١٦٠-٢٩٦/٧٧٧-٩٠٩. دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة مطبعة لافوميك. الجزائر ط١. ١٩٨٥. ص٦٥. ظلّ إماما إلى=

فإلى الوقوف مع هاتين التّجربتين السّياسيتين.

= سنة ١٤٤/٧٦١ إلى أن انهزم أمام جيوش العباسيين بعد أن سعى إلى إقامة العدل وإنقاذ القيروان من عبث ورفجومة وعيّن عليها عبد الرّحمان بن رستم واليا وقاضيا. نفس المصادر المذكورة والرّاشدي: الإمام أبو عبيدة: ٣١٠-٣١٧.

ملاحظة :

- بالنّسبة إلى أبي حمزة و خطبه اعتمدنا خاصّة المراجع التّالية:
  - الدّرجيني: الطّبقات: ٢/٧٥-٧٧
  - الشمّاخي: السّير: ٢/٢١٣-٢١٦
- أبا الفرج الأصفهاني (٣٥٦/٩٦٦): الأغاني، بيروت ١٣٨٠/١٩٦١، ج ٢٣، ص ١١١ -١٥٨.
- ابن عبد ربّه (٣٢٨/٩٣٩): العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين و ... ط، مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة ١٣٨١/١٩٦٢، ج ٤.
- الجاحظ (٢٥٥/٨٦٩) البيان والتّبيين، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة ط.٥، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، ١٤٠٥/١٩٨٥، ج ٢.

المحور الرابع

الإمامة بعمـــان

ب- لمحة تاريخية عن عمان قبل قيام الإمامة الإباضية الأولى

لا سبيل إلى الحديث عن التّجربة السياسيّة الإباضية في عمان دون وضعها في إطارها التّاريخي العام المتّصل بوجه من الوجوه بالمسار التّاريخي لسائر البلاد الإسلاميّة.

لذا رأينا أن نقف عند بعض ملامح تاريخ عمان باختصار غير مخلّ عن طريق جداول تجعل القارئ قادرا على استيعاب الأحداث بأكثر ما يكون من يسر مع تحليل ما يجب تحليله من الأحداث المرتبطة بقضيّتنا مباشرة وذلك حسب المسار التّالي:

١) عمان والرسول عليه السلام.

٢) عمان والخلفاء الراشدين.

٣) عمان والدولة الأموية (جدول).

٤) الإمامة الإباضية الأولى بعمان.

٥) الفوضى السياسيّة عند سقوط هذه الإمامة.

٦) عمان والدّولة العباسيّة (جدول).

٧) الإمامة الإباضية الثانية.

٨) ما بعد الإمامة الإباضية الثانية ق٤/١٠

٢- عمان والرّسول عليه السلام:

تتّفق المصادر على أنّ أهل عمان من الأزد الذين هاجروا من اليمن بقيادة مالك بن فهم[١] الذي حرّر عمان من الفرس، ومن ذلك الحين كانوا حريصين على استقلالهم.

وقد جاء الإسلام وأهل عمان وعديد من القبائل متمازجة (بنو معولة، بنو سامة بن لؤي، عبد القيس، قضاعة) إلاّ أن أصولها يمنيّة عدنانيّة.

والرّاجح أنّ أوّل من اتصل بالرّسول عليه السلام الصّحابي مازن بن غضوبة الطّائي[٢] في قصّة طويلة تذكرها كتب السّيرة انتهت باعتناقه الإسلام والدّعوة له في بلاد عمان سنة ٦٢٧/٦.

---

(١) **مالك بن فهم بن عتم بن دوس الأزدي**، (نهاية ق١م) يقال إنّه أوّل من نزل عمان من الأزد. ويذكر العوتبي (١٠/٤) أن مالكا دخل عمان بعسكر جمّ استطاع بفضله أن يجلي الفرس عن عمان (أنساب العرب). كما يذكر فيليبس Philips: Oman a History أنّ قبيلة الأزد التي كانت تسكن مأرب عبر وادي حضرموت، ونزلت سيحوت (في الشحر) بقيادة مالك بن فهم الذي انتقل بالبحر إلى (قلهات) (١٥ ميلا شمال غربي صور)، وقام بتحرير عمان من الفرس خلال معارك شرسة، وأصبح السيد الأوّل المستقل على كلّ عمان. عمان في التّاريخ ١٠٧-١٠٩.

(٢) **مازن بن غضوبة**: هو مازن بن غضوبة .... الطّائي كانت نشأته بمدينة سمائل الواقعة في داخلية عمان. تفصّل كتب السّيرة قصّة إسلامه وملخّصها أنّه سمع هاتفا يقول: "يا مازن اسمع تسر، ظهر خير وباطن شرّ، بعث نبيّ من مضر بدين الله الأكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حرّ سقر" وكان ذلك عندما قرب ذبيحة لصنم ولكنّه تفاءل خيرا وبينما هو كذلك إذ ورد عليه رجل من أهل الحجاز يريد ماء فسأله عمّا وراءه من الأخبار فقال له: ظهر رجل يقال له: (محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب... يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله). كان هذا الحدث دافعا لإسلامه حيث وفد على النّبيّ ﷺ وأعلن إسلامه وأنشد أبياتا مطلعها:

إليك رسول الله خبت مطيتي تجوب الفيافي من عمان إلى العرج

ثمّ دعا له الرّسول عليه السّلام ولأهل عمان دعاء فقضى سنة بعمان يدعو إلى الله ورسوله ثمّ رجع إلى الرّسول عليه السّلام منه "سيزيد الله أهل عمان إسلاما" عمان في التّاريخ: ١١٠-١١٤.

وقد استقرّ الإسلام بعمان بعد وصول مبعوث الرّسول عليه السّلام عمرو بن العاص[١] إلى ملكيها عبد وجيفر ابني الجلندى[٢] وكانت المراسلات[٣] والدّعوات[٤].

وقد انتقل الرّسول عليه السلام إلى الرّفيق الأعلى وعمرو بن العاص عامل عليها فماذا عن عمان مع الخلفاء الرّاشدين؟

٣- عمان زمن الخلفاء الرّاشدين:

نلخّص الأمر في الملاحظات التّالية:

أ) **الملاحظة ١**: ترفض المصادر العمانيّة ما تشيعه بعض النّصوص من أنّ منَ العمانيين من ارتدّ زمن أبي بكر[١].

الملاحظة ٢: تبعيّة مباشرة للمدينة مع أبي بكر وعمر[٢].

---

(١) **عمرو بن العاص** (٥٠ق -٤٣/ ٥٧٤-٦٦٤). ر.الزركلي: الأعلام: ٥/ ٧٩.

(٢) هما **عبد** و **جيفر** ابنا الجلندى بن المستكبر. وتشحّ المصادر الإسلامية عامّة وتلك التي تبحث في تاريخ عمان في الحديث عنهما على ما اطلعت عليه. وجلّ ما ترويه تلك المصادر أنّهما عاصرا النّبيّ ﷺ، وقد أسلما على يد عمرو بن العاص في العام السّابع أو الثّامن للهجرة /٦٢٨-٦٢٩. وأن جيفرا كان يكبر أخاه بالسنّ وأنّه كان المقدّم عليه في الملك. مصنّف مجهول: كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمّة تحقيق ودراسة أحمد عبيدلي دلمون للنّشر نيقوسبا قبرص ١٤٠٥/ ١٩٨٥ ص ٢٣٧ تعليق ٤.

(٣) **المراسلات**: عمان في التّاريخ: رسائل الرسول ﷺ إلى عمان ص ١١٤-١١٧.

(٤) الدعوات: عمان في التّاريخ ص ١١٣ و١١٨.

(١) أبو بكر (١٣/ ٦٣٥). ر. الزّركلي: الأعلام.

(٢) عمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ -٢٣/ ٥٤٨- ٦٤٤) ر الزّركلي: الأعلام ٥/ ٤٥.

إذ عيّن أبو بكر حذيفة بن محصن عاملا عليها وعيّن عمر بلالا الأنصاري خلفا له.

أمّا في عهد عثمان[١] فقد كانت تابعة لإدارة البصرة.

أما علي (٢٣ق هـ-٤٠/٦٠٠-٦٦١) فقد عيّن الحلو بن عوف الأزدي واليا عليها.

الملاحظة ٣ : تذكر المصادر مشاركة العمانيين الفعّالة في الفتوحات الإسلاميّة.

الملاحظة ٤ : لم يشارك أهل عمان في أحداث الفتنة.

الملاحظة ٥ : وقعت في هذه المرحلة هجرات أزديّة مكثّفة للبصرة سيكون لها دور فعّال فيما بعد بالنّسبة إلى الإباضية.

الملاحظة ٦ : خلف عبد وجيفر عند موتهما عباد بن عبد بن الجلندى[١] زمن عثمان وعلي.

---

(١) عثمان بن عفان (٤٧ ق هـ - ٣٥/ ٥٧٧-٦٥٦) ر الزّركلي: الأعلام: ٥/٢١٠.

(٢) **عباد بن عبد بن الجلندي** (١/٧): جاء في الكشف: "ثم خلف من بعدهما عباد بن عبد بن الجلندي في زمان عثمان بن عفان وعلي" ص ٢٤٢ ويذكر المحقق أنه ورد ذكره في الكامل لابن الأثير ٤/٢٠٤ وتاريخ ابن خلدون ٣/١٤٧، ١٦٦.

٤- **عمان والدّولة الأموية:** (من خلال كتاب عمان في التاريخ منشورات وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ط ٣، ٢٠١٠.)

الدولة الأموية	عمان خلال حكم الدولة الأموية
اندلاع الفتنة الكبرى وعزل علي بن أبي طالب ﷺ عن الخلافة وتحولها إلى معاوية بن أبي سفيان.	تعيش عمان في استقلالية تامة عن خلافة بني أمية ومنذ وقوع الفتنة الكبرى.
بعد سنة ٤١ /٦٦١ تنازل الحسن بن علي ﷺ عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان الذي حول مركز السلطة المركزية للدولة العربية من الكوفة إلى دمشق. وعين لاستتباب الأمن والاستقرار: - المغيرة بن شعبة الثقفي واليا على الكوفة - عبد الله بن عامر واليا على البصرة إلى حدود سنة ٤٥/٦٦٥ حيث خلفه زياد بن أبيه الثقفي.	- إدارة عمان ظلّت تحت سيطرة آل الجلندي الذين بقوا محافظين على استقلالهم الإداري. - انتقال مقر السلطة المركزية من الكوفة إلى دمشق جعل عمان أكثر استقلالا نظرا لبعدها الجغرافي. - لم يعين معاوية بن أبي سفيان أيّ وال على عمان ولم يتعرّض لها بسوء.
• بتولّى يزيد بن معاوية الحكم (٦٠ - ٦٤/٦٧٩-٦٨٣) بدأ الوضع السياسي يضطرب في الأقاليم. • نشطت المعارضة في الحجاز والعراق بعد تنازل معاوية بن يزيد عن الحكم سنة ٦٤ /٦٨٣- ٦٨٤ وترك سدّة الحكم شاغرة.	• عمان في تلك الفترة تحت حكم عباد ابن عبد بن الجلدي بمساعدة ابنيه سليمان وسعيد. • لم يبق الوضع في عمان بمعزل عن الأوضاع التي تعيشها الدولة العربية الإسلامية.

• فقدان السيطرة على السلطة المركزية وعلى الأقاليم الراجعة لها. • ظهر نجدة بن عامر الحنفي زعيم الخوارج وتمكّن من السيطرة على البحرين.	• بعد أن سيطر نجدة بن عامر الحنفي على البحرين تطلّع إلى مدّ نفوذه إلى عمان، فأرسل حملة عسكرية بقيادة عطيّة بن الأسود الحنفي وتمكن من مفاجأة عباد الجلندي بقواته والقضاء عليه والسيطرة على عمان. • رجع القائد الخارجي عطية الحنفي إلى البحرين وترك أبا القاسم نائبا عنه على عمان. جمّع آل الجلندي قواهم مع العمانيين وانقضوا على أبي القاسم وتمكّنوا من القضاء عليه وعلى قواته واسترجعوا عمان من سيطرة الخوارج.
تعيين الحجاج بن يوسف الثقفي اميرا على العراق والمشرق الإسلامي سنة ٧٥/٦٩٤ من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان. • توجّه الحجاج بن يوسف السياسي كان نحو مركزية الحكم وجعل إدارة جميع الأقاليم التابعة له مرتبطة بإدارته المركزية بصورة مباشرة.	تعيين الحجاج بن يوسف مثل نقطة تحول هامة في تاريخ العلاقات بين سلطة الدولة العربية المركزية وعمان. • أعلن آل الجلندي المقاومة ضدّ سياسة الحجاج بن يوسف. ١- كانت أولى الحملات العسكرية ضد عمان قبيل حركة عبد الرحمان بن محمد بن الأشعث (٨١ – ٨٣/ ٧٠٠ – ٧٠٢) وكانت بقيادة القاسم ابن شعوة المزني وكانت عن طريق البحر.

	• وقد لاقت هذه الحملة مقاومة شديدة من قبل العمانيين وقتل قائدها واندحرت قواتها. • بلغ الحجاج خبر الهزيمة فاتخذ ترتيبات صارمة لإنجاح حملاته العسكرية المستقبلية على عمان وهي: • تطويق وحجز قبائل الأزد الموجودة في البصرة لمنعها من إعانة قبائل الأزد في عمان. • ارسال حملتين عسكريتين وهما: ١- برية لم يعرف قائدها. ٢- بحرية بقيادة مجاعة بن شعوة المزني أخ القاسم الذي قتل في الحملة الأولى. • إعداد أربعين ألف مقاتل وتقسيمهم إلى قسمين على الحملتين المذكورتين. • المقاتلين من النّزاريين الذين لا يمتون للأزد بصلة. ٢- الحملة العسكرية البرية: وصلت إلى عمان قبل الحملة البحرية وكان سليمان بن الجلندي على استعداد مع قواته من أهل عمان ووقعت المجابهة عند منطقة الماء دون البلقعة وتقع الآن شرق فلج الشام من وادي بوشر قرب

	مسقط وكانت الهزيمة من نصيب الجيش الأموي. ٣- وصول القوة العسكرية الى عمان من جهة البحر وتحديدا في جلفار "رأس الخيمة" حاليا بقيادة مجاعة المزني وكان اللقاء بينه وبين قوات سعيد بن عباد الجلندي والتي كانت ضئيلة العدد مقارنة بالجيش الأموي. واحتد القتال في النهار حتى حلول الليل الذي استغلّه سعيد لينسحب نحو الجبل الأخضر مع ذراريه وذراري أخيه سليمان. - في المقابل عمد سليمان الجلندي إلى حرق أكثر من خمسين سفينة من سفن القوات الأموية وانسحبت البقية بمن فيها من المقاتلة نحو البحر ثم إلى جلفار بعد تمكّن سليمان من هزيمة قوات مجاعة قرب سمائل. - لما بلغ الحجاج أمر هزيمة مجاعة أمدّه بخمسة آلاف من القوات الجديدة من أهل الشام وبها تمكّن الجيش الأموي من السيطرة على المدن الساحلية ومحاصرة سعيد وسليمان الجلندي بالجبل الأخضر حيث تحولا منه إلى ساحل إفريقيا الشرقي في بلاد الزنج تاركين عمان تحت السلطان الأموي وولاية الخيار بن سبرة المجاشعي.

- وفاة عبد الملك بن مروان وولاية ابنه الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٦/٧٠٥- ٧١٥) - (٩٥/ ٧١٤) وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي. - تولية الوليد ليزيد بن أبي مسلم واليا على العراق.	- بعث يزيد بن أبي مسلم سيف بن الهاني الهمداني واليا على عمان.
- (٩٦-٩٩/٧١٥- ٧١٧) تولي سليمان بن عبد الملك الدولة الأموية.	بدأت مع عهد سليمان بن عبد الملك قبضة الأمويين تخف عن عمان وبدأت بوادر استعادة العمانيين لاستقلالهم الداخلي تدريجيا. -قام سليمان بجعل صالح بن عبد الرحمان بن قيس الليثي مشرفا على العمال الذين كانوا على عمان.
- جعل سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب الأزدي واليا على العراق وخراسان.	- ولّى يزيد بن المهلب أخاه زيادا على عمان الذي أحسن السيرة إلى أهلها الى أن مات سليمان بن عبد الملك.
- (٩٩-١٠١/٧١٧- ٧٢٠) ولاية عمر بن عبد العزيز على الدولة الأموية والذي ولّى عدي بن أرطأه الفزاري على العراق.	- ولّى عدي ولاة أساءوا السيرة إلى أهل عمان فاشتكوا الأمر إلى عمر بن عبد العزيز فولّى عليهم عمرو بن عبد الله الأنصاري الذي أحسن السيرة فيهم إلى حين وفاة عمر بن عبد العزيز. - وبوفاة عمر بن عبد العزيز خرج والي عمان عمرو بن عبد الله الأنصاري مسلما أمر البلاد الى زياد بن المهلب الذي قام بأمر البلاد إلى نهاية السلطان الأموي وقيام الدولة العباسية.

خلاصة العهد الأموي:

لقد ظلّت عمان تتمتّع باستقلالها الذاتي بقيادة آل الجلندى عباد مع ابنيه سليمان وسعيد[١] إلى أن انهزما أمام حملات الحجّاج[٢] العسكريّة.

ولم يكدّر صفـــو هـذه الاستقلاليّة سوى حملة عسكريّة من قبل نجدة بن عامر[٣] تلك الحملة التي دحرت بسرعة ثمّ خضعت عمان للدّولة الأمويّة في الثّلث الأخير من القرن الأوّل لتتدرّج بعد ذلك نحو الاستقلاليّة مرّة أخرى مع زياد ابن المهلّب طيلة الثّلث الأوّل من القرن الثّاني[٤] وقد مهّد هذا لقيام الإمامة الإباضية التي مارست تجربة سياسيّة متميّزة رغم قصر عمرها.

---

(١) **سليمان وسعيد بنا عباد بن الجلندي (٧/١)**: جاء في الكشف: "وصار الملك إلى معاوية ولم يكن لمعاوية في عمان سلطان، حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان، واستعمل الحجاج على أرض العراق، وكان ذلك في زمن سليمان وسعيد ابني عباد بن الجلندي وهما القيمان في عمان" ص ٢٤٢ ثم بين صاحب الكشف صمودهما أمام حملات الحجاج في البداية ثم انتصاره عليهما كشف: ٢٤٢-٢٤٥ يثبت بهذا أن حكم عمان كان وراثيا في آل الجلندي في هذه المرحلة من تاريخها. ويذكر محقق الكشف أنهما ورد ذكرهما في تاريخ خليفة خياط: ٢٠٧ والكامل لابن الأثير ٢٠٣/٤، ٣٨٥ وتاريخ ابن خلدون ١٤٧/٣.

(٢) **الحجاج بن يوسف** (٤٠-٩٥/ ٦٦٠-٧١٤): ر.الزركلي:الأعلام ١٦٨/٢

(٣) **نجدة بن عامر الحروري الحنفي** (٣٦ – ٦٩/ ٦٥٦- ٦٨٨).

(٤) **زياد بن المهلب** (١٠٢/٧٢٠): زياد بن الملهب بن أبي صفرة الأزدي العتكي. أحد الأشراف الشجعان، من بيت مجد ورئاسة. شهد مع أخيه يزيد حروبه في العراق حين خلع طاعة بني مروان وقتل بعد أخيه. الزركلي: الأعلام ٥٥/٣.

٥- الإمامة الإباضية الأولى بعمـان:

حريّ بمركز الدّعوة أن يحوّل وجهه شطر بلاد عمان بعد فشل الإمامة في اليمن ذاك أنّ أصول الكثير من الشّيوخ عمانية وإمام الجميع أزدي عماني، ولا شكّ أنّه بدأت تتّضح آثار نشاط حملة العلم هناك[١].

لقد ساعدت عوامل داخليّة وأخرى خارجيّة على أن تتّم البيعة **للجلندى بن مسعود** وهو أحد طلبة العلم عند أبي عبيدة وأحد المشاركين في إنجاح ثورة الإمام **عبد الله بن يحيى** في اليمن[٢].

لكن هذه الإمامة لم تعمّر إلاّ سنتين إذ بسرعة تمكّنت الدّولة العبّاسيّة النّاشئة من أن تجهز عليها[٣].

وقد أسعفت المصادر بوثيقة هامّة أثبتت الخطوط الأساسيّة لسياسة هذه الإمامة في إدارة شؤون البلاد وهي سيرة أحد حملة العلم إلى عمان

---

(١) أمّا بالنّسبة إلى الدّعوة الإباضية في عمان، فقد حفظ لنا العوتبي في كتابه الأنساب أسماء حملة العلم من تلاميـذ **أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة** ٧٦٢/١٤٥ " ومنهم **الرّبيع بن حبيب بن عمرو الفرهودي** (٧٩١/١٧٥)، وهو أحد العلماء الأربعة الذين حملوا العلم ونقلوه من البصرة إلى عمان، وكان يسكن في البصرة بمكان يسمّى الخريبة، **ومنصور الرباحي، وبشير بن المنذر النّزواني**(٨٠٢/١٨٧)، **ومحمد بن المعلاّ الكندي الفشحي** من الفشح من جبال كندة، **وراشد ابن عمرو الحديدي، والنّعمان بن حاضر بن حديد،** وأضاف إليهم الرّقيشي **هاشم بن غيلان السبحاني، والمنير بن النير الجعلاني.** هاشم: الحركة الإباضية ص٨٥. وقد خصّص مهدي طالب هاشم ملحقا ثالثا في بحثه أثبت فيه ثمانية من هؤلاء. أضاف فيه إليهم اثنين وهما: موسى بن أبي جابر الأزكوي (٧٩٧/١٨١) وأبو سفيان محبوب بن الرحيل القرشي (ق٨/٢). هاشم: ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) انظر ما سبق ص٥٥ تعليق ٤٦.

(٣) هاشم: الحركة الإباضية: ١٦٥-٢٢١. د. فاروق عمر فوزي. الإمامة في عمان ٣٤-٣٨. أهميّة هذين المرجعين تتمثّل في تحريّ الأخبار والإحالة على المصادر.

وهو **منير بن النّير الجعلاني** (٨٠٢/٢٨٠)[١] وقد أرسل بها إلى الإمام **غسّان بن عبد الله الفجحي**[٢].

إنّ هذه الوثيقة التي لم يعاصر مؤلّفها هذه الإمامة ولكنّه بلغته الأخبار عنها تبقى مهما يكن من أمر شهادة على ما تواتر من أخبار عن الإمام **الجلندى بن مسعود** وأصحابه.

ويمكن أن نلخّص ما يعنينا منها في بحثنا في النّقاط التّالية:

أ- إمامـــة شـــراء :

إنّنا لسنا إزاء إمامة ظهور وإنّما نحن مع مسلك من مسالك الدّين[٣] في الفكر السّياسي عند الإباضية وهو **الشّراء**، هذا الذي يمثّل له الفقهاء الإباضية والمؤرّخون بسيرة **أبي بلال مرداس بن أديّة**[٤] عندما خرج على ولاة البصرة من قبل الدّولة الأمويّة معلنا رفضه لهذا النّمط من الحكم دون التّعرض لأحد بقتال إلاّ دفاعا عن النّفس.

وليس هذا المسلك إلاّ مرحلة من مراحل الحكم له قواعده وأسسه ويتمثّل في أن يبيع الشّاري نفسه في سبيل الله وأن يبايع على التّفاني في ذلك إلى الاستشهاد فلا سبيل إلى الرّجوع إلى الحياة العاديّة التي يألفها

---

(١) **منير بن النير الجعلابني** (٨٠٢/٢٨٠): تذكر المصادر أنّه الأخير في مدرسة البصرة. وقد اشتهر بسيرته الّتي أرسلها إلى الإمام غسّان (ط مع السّير والجوابات ص ٢٣٣-٢٥٣) وتقول المحقّقة سيّدة إسماعيل كاشف: كان ممن لهم الفضل في ازدهار الحياة العلميّة في عمان في فجر الإسلام ص ٢٣٣.

(٢) الإمام **غسّان** انظر ما يلي ص ١٣١ تعليق ٣١.

(٣) انظر ما سبق ص٤٨ وما يليها.

(٤) انظر ما سبق ص٣٠ تعليق ٩.

المسلم، ولهذا تثبت الوثيقة صفات إيمانيّة هي أعلى درجات الورع أقرب ما يكون إلى الزّهد الكامل في الدّنيا والأخذ منها القليل الذي يسدّ الرّمق وكفى.

ب- أبرز سمات هؤلاء الشّراة :

يصحّ في شأنهم أنّ خُلقهم القرآن أينما كانوا في السّلّم الاجتماعي أئمّة أو قضاة أو قادة أو مؤدبين أو جبـاة أو أتباعا رجالا ونساء.

- ونكتفي بذكر ما توّجت به السّيرة من الإلحاح على خصالهم الحميدة: "هم أنوار في الأرض، غرباء في النّاس، يعرفون بسيماهم، وكيف لا يكون كذلك من باع الله نفسه ينتظر حتفها صباحا ومساء!! **ليس له** في شيء من الأمور ولا أحد من النّـاس دنت رحمه أو بعدت أو عظم خطره أو صغر أو ارتفع شأنه أو تواضع **وهوى** إلاّ ما وافق الحقّ، مع ما لا يحصى من أخلاقهم الحسنة الجميلة التي زيّنهم الله بها في الدّنيا، وترك عليهم الثّناء الحسن الجميل فيمن خلف بأعقابهم"[1].

- ثم إزاء خصالهم هذه ذكرت السّيرة ما أصاب البعض منهم من ضعف فطري في شأن الرغبة الحلال في النّساء لأن المبدأ المتّبع في الشّراء يقوم على الرّحلة المستمرة في سبيل الله والتّخلي عن الرّغبة حتّى فيما أحلّه الله من الشّهوات.

ومثل هذا الموقف احتاج من الإمامة أن تستشير مركز القيادة في البصرة هذا الذي سلك مسلكا مرنا مع هؤلاء ومكّنهم من حلّ قائم على زهد مطلق يتحمّله طرفا العقد الرّجل والمرأة.

---

(١) في شأن النّصوص المستشهد بها انظر الملحق.

وقد لجأ إلى ذلك من تاقت نفسه إلى الطرف الآخر مع الالتزام بالقليل من متاع الدنيا، وهذا ضرب من الذّوبان في خدمة الأمّة، وفعلا لم تقبل بهذا الحلّ إلاّ قليل من النّساء وتمسّك بقيّة الأتباع بالمسلك الأصلي دون أن يصيب الجماعة تصدّع.

وفي هذا دلالة واضحة على الثّقة المطلقة في قاعدة الأمّة ومركز قيادتها الرّوحي بالبصرة منبت الدّعوة ومرجعها، ومثل هذا الموقف كان أسّا من أسس التّنظير وإن لم يتكرّر فيما نعلم بنفس الشّكل في سير الإباضية فيما بعد.

ج- الشّراة ومورد الرّزق :

أثبتت السّيرة أن هؤلاء الشّراة يُمنحون من مركز الإمامة سبعة دراهم شهريّا وهو أقلّ القليل ومع ذلك منهم من يتقشّف مع هذا القليل ويبقي شيئا منه لا ليدّخر للشهر المقبل ولكن ليرجعه إلى فيء المسلمين، وهذا يذكّر بشهادة مولى أبي بلال الذي قال: "ما قدّمت له طعاما في النّهار وما فرشت له فراشا في الليل ".

د- من أين مصدر هذا الرزق؟

لقد توسّعت السّيرة في شأن الصدقات فألحّت على خصال جباتها وأمانتهم وإخلاصهم ومدى ورعهم من صدقات البحر لأنّ الإمامة إن لم تتمكّن من توفير الأمن لأهلها فلا حقّ لها أن تستلم منهم الأموال.

وعند تجميعها هذه الأموال لن تنفق إلاّ في مصارفها التي حدّدتها الشّريعة.

وقضية الصدقات أوّل قضيّة تعرّضت لها السّيرة بعد الإلماع ببعض خصال هؤلاء الشّراة.

"لم يأخذوا الصدقة بغير حقها، ولم يضعوها في غير موضعها".

كما حدّدت السّيرة أسماء هؤلاء الذين يجبونها، وكلّهم فقهاء الأمّة وقادتها فهم كما جاء في النصّ: «معروف فضلهم معروفون به، وقد أحكمت آراؤهم في قوّة الحقّ وإحكام أمور الدّين».

هـ- التّقسيم التّنظيمي العملي للشّراة :

يصعب أن يشمل هذا التّنظيم كامل أفراد الأمّة، وإنّما يغطّي ما يمكن أن يسمّى بحرّاس الدّعوة والمحتسبين على الأمّة، ولا ننسى أنّ هذه الإمامة التي لم تعمّر طويلا كانت في ظرف حرج داخليا وخارجيا، فالقبائل في الدّاخل في حاجة إلى متابعة حتى يلتئم أمرها، والدّولة العباسيّة تترصّد من الخارج.

فهذه الإمامة لم تكوّن جيشا بالمفهوم المتعارف عليه وإنّما ضبطت هيكلا تنظيميا يتماشى وروح الشّراء ويحفظ للأمّة كيانها ويصونها ممّا يداهمها من ضربات.

لم تسعف الرّوايات بعدد هؤلاء الشّراة جميعا وإنّما اكتفت بتحديد عدد كلّ مجموعة لتكون تحت إشراف قائد هو بين المائتين وأربعمائة، وهؤلاء ينقسمون بدورهم إلى عشرات، وعلى كلّ عشرة شراة مؤدّب.

وقد بيّنت السّيرة صفات القائد والمؤدّب ودورهما في توجيه جماعته.

« قائد من أهل الفضل والحجا ....».

« مؤدّب من أهل الفقه يعلّمهم الدّين ...».

« ... ليست الدّنيا من ذكرهم، ولا جمع المال من شأنهم، ولا الشّهوات من حاجاتهم. »

و- الالتـزام بالسنّـة حتّى بالنسبة إلى المظهـر الخـارجي :

بيّنت السّيرة التّنظيم الاجتماعي المحكم لهؤلاء الشّراة في شأن لباسهم، إنّه التحجّب الشرعيّ بالنّسبة إلى النّساء والالتزام بالورع بالنّسبة إلى الرّجال فلا إسدال للملابس، ولا إطالة للشعور، مع عدم التشبّه بالذمّيين.

هذه أبرز سمات الشّاري كما تجلّت في سيرة **منير بن النّير الجعلاني** في شأن **الجلندى بن مسعود** وأصحابه أوّل إمام بويع في عمان واعتبرت إمامته الإمامة الإباضية الأولى.

فإن صمدت هذه الإمامة أمام الزّوابع الدّاخلية واستطاعت طيلة سنتين من الزّمن أن تؤلّف بين القبائل وأن تقرّب بينها فهل استطاعت أن تصمد أمام الزّحف العبّاسي؟

*** سقـوط هـذه الإمامة :**

الحقيقة أنّ التزام هذه الإمامة بالدّفاع عن الحقّ إلى آخر لحظة مكّن منها عدوّها الذي ما يزال يترصّدها.

لقد استطاع هؤلاء الشّراة دحر القوّة **الصّفريّة** التي أرادت احتلال عمان والتي كانت تطاردها الدّولة العبّاسيّة أيضا. لكن **خازم بن خزيمة**[١] قائد الحملة العبّاسيّة أبى إلاّ أنّ يستلم من الجلندى وأصحابه الاعتراف بالدّولة العبّاسيّة فلم يكن منهم إلاّ أن دافعوا عن حياتهم فكادت الدّائرة تدور على الحملة العبّاسيّة لولا مكر قائدها وإحراقه دور أهل البلاد ممّا شتّت جهدهم وغلّب عدوّهم بعد استشهاد إمامهم **الجلندى** مع قائده **شبيب بن عطيّة**[٢] بعد استبسال منقطع النّظير.

٦- الفوضى السياسيّة: ١٣٤-١٧٧/٧٥١-٧٩٣ :

لا يمكن أن نتحدّث في هذه المرحلة عن تجربة سياسيّة عمانيّة ذلك أنّه بعد أن قتل الإمام الجلندى ١٣٤/٧٥١ "استولت الجبابرة[٣] على عمان، فأفسدوا فيها وكانوا أهل ظلم وجور[٤]".

ثمّ وقع وئام أسفر عن إقامة **الإمامة الثّانية** التي تعتبر أخصب تجربة

---

(١) **خازم بن خزيمة... التميمي** (٢٠٣/٨١٨) أصله من خراسان، وكان من قادة العباسيين الأوائل الذين بنيت الدولة على جهودهم، غضب عليه السفاح لقتله بعض أخواله في حروبه فوجهه إلى عمان لمحاربة من لجأ إليها من الخوارج، وكان ذا دراية وضبط في تثبيت سلطة الدولة وكان رغم مشاغله مولعا بعلم الحديث وروايته وإسناده ويميل إلى اللغة والأدب وتوفي ببغداد عام ٢٠٣/٨١٨ عبيدلي: كشف ٢٤٩ تعليق ١.

(٢) **شبيب بن عطية العماني والخراساني** أخو هلال بن عطية من علماء القرن الثاني/٨، وكان من مشاهير أصحاب الجلندي، وقبره بالغريبة من عمان، حاول جمع شمل الإباضية تحت رايته، وجبى القرى ولم يكن إماما منصوبا، وقد أثارت شخصيته الجدل حتى رفعت قضيته وما توجبه من براءة منه أو تولية إلى الربيع بن حبيب بالبصرة. وتفاصيل المسألة لدى السالمي في التّحفة. عبيدلي كشف ٢٤٩ تعليق ٢.

(٣) **الجبابرة**: مصطلح تستعمله المصادر العمانية للتعبير عن طغيان الحكام سواء كانوا إباضية أو غير إباضية وذلك ببعدهم عن مسلك الإمامة العادلة.

(٤) كشف: ٢٥١ نسكت عن هذه المرحلة لأنها لا تخدم بحثنا.

سياسيّة إباضية مكّنت من التّنظير للإمامة الإباضية بصورة واضحة فماذا عن هذه الإمامة؟

٧- **عمان والدولة العباسية:** (من خلال كتاب عمان في التاريخ منشورات وزارة الإعلام، مطابع النهضة، سلطنة عمان، ط ٣، ٢٠١٠.)

الدولة العباسية	عمان خلال حكم الدولة العباسية
١٣٢/٧٤٩: قيام الدولة العباسية على يد أبي العبّاس السفاح. ولّي أبو جعفر المنصور على أقاليم عمان واليمامة والبحرين.	اختار أبو جعفر المنصور جباح بن عبادة بن قيس الهنائي عاملا على عمان ثم عزله وعيّن ابنه محمد بن جناح. - سار محمد سيرة حسنة تجاه أهل عمان، كما تأثّر بالأفكار الإباضية ممّا دعاه إلى الاعتراف بنفوذهم ونتيجة لذلك عقد أهل عمان الإمامة للجلندي بن مسعود : أوّل إمام للإباضية في عمان، ممّا جعل عمان تخرج من السّلطان العبّاسي زمن خلافة أبي العباس السفاح. استقام الأمر للجلندي بن مسعود وعرفت عمان في عهده عدلا واستقلالا كبيرين.
سعي الدولة العبّاسية للاهتمام بمنطقة الخليج العربي لاعتبارات سياسية واقتصادية ودينية ولتحقيق فتوحات جديدة داخل آسيا والهند ولذلك لابدّ من أن تضمن طرق مواصلاتها العسكرية عبر الخليج العربي.	استقلال عمان أثار غضب العباسيين وبدأ الصدام.

أرسل أبو العباس جيشا حملته السفن بقيادة خازم بن خزيمة سنة ١٣٤/٧٥١-٧٥٢ لمقاتلة شيبان اليشكري ومن معه من الصفرية الّذين انسحبوا إلى عمان.	بانسحاب شيبان اليشكري إلى عمان نشبت معركة حاسمة بين الإمام الجلندي وشيبان انتهت بانتصار الإباضية ومقتل شيبان اليشكري والعديد من أتباعه. - هذا فتح الباب للّقاء بين خازم التميمي والجلندي بن مسعود الذي طلب منه إعلان الولاء للخليفة العباسي. - وبعد أن شاور الجلندي رفاقه اتفقوا على رفض طلب خازم، فوقع بينهما قتال في موقع يقال له "جلفار" (رأس الخيمة حاليا). - كانت القوّتان متكافئتين إلاّ أنّ العباسيين التجأوا إلى الحيلة المتمثلة في إشعال النّار، فانشغل أهل عمان بإطفائها ممّا أدّى إلى انهزامهم، وقتل إمامهم الجلندي الذي دامت إمامته سنتين وشهرا، كما قتل هلال بن عطية الخراساني والعديد من الإباضية وبذلك كان القضاء على الإمامة الإباضية الأولى في عمان. - وقد بلغ عدد القتلى في هذه المعركة قرابة عشرة آلاف قتيل، أخذ خازم رؤوس بعض البارزين منهم وأرسلها إلى الخليفة العباسي ثمّ تولّى الأمر لفترة يسيرة إلى أن طلبه أبو العباس إلى بغداد. - وفاة الجلندي تركت فراغا سياسيا كبيرا وظلّ إباضية عمان يناوئون العباسيين ويعارضون حكمهم كما دبّت الخلافات بين أبناء الجلندي فضلا عن وجود خلافات قبلية. - سيطرت الدولة العباسية على عمان خلال الأربعة والأربعين شهرا الّتي تلت قتل الجلندي وقد أطلق العمانيون على العمّال العباسيين اسم "الجبابرة" وهم محمد بن زائدة وراشد بن النظر الجلنديان.

	في سنة ٧٩٣/١٧٧ حلّ الوئام بين أهل عمان وعلماء الإباضية برئاسة موسى بن جابر الأزكوي، فأزالوا الملك من آل الجلندي وعقدوا الإمامة **لمحمد بن عفان** ولكنّه كان شديدا فعزل وانتخب مكانه **الإمام الوارث بن كعب الأزدي** الذي حكم بعدل ونزاهة. - ظلّت عمان تنعم باستقلالها لمدة أحد عشر عاما.
ولاية هارون الرشيد على الدولة العباسية: ١٧٠-١٩٣/٧٨٧-٨٠٩	سعى هارون الرشيد إلى توطيد سلطان الدولة العباسية على عمان فبعث عيسى ابن جعفر بن جعفر بن سليمان في ألف فارس وخمسة آلاف رجل، وقد كتب داود بن يزيد المهلبي إلى الوارث يعلمه بعيسى وعسكره فأخرج له الإمام فارس ابن محمد والتقى الجيشان بحتا، وانهزم القائد العباسي عيسى بن جعفر وسار إلى مراكبه فأسره أبو حميد بن فلج الحداني السلوتي ومعه عمرو بن عمر وسار به صحار بن حبس. وهناك قتلته جماعة دون علم الإمام. ولذلك قرّر هارون الرشيد إرسال جيش إلى عمان لكنه مات قبل تنفيذ خطّته.
	وفاة الوارث بن كعب سنة ١٩٢ /٨٠٧ ومبايعة غسان بن عبد الله اليحمدي دامت إمامته خمس عشرة سنة عرفت فيها عمان الخير والرخاء وقد عمد خلالها إلى قتل الخارجين على القانون والمفسدين كما قام بصنع قوّة عسكرية يؤمّن بها عمان.
	الإمام عبد الملك بن حميد : هو من بني علي بن سوده، بويع بالإمامة ٢٠٨/ ٨٢٣. خلال إمامته ظهرت فرقة القدرية بصحار وامتدت

	دعوتهم إلى توام فخشي العلاّمة هاشم بن غيلان – رحمه الله- من ذلك، فكتب إلى الإمام عبد الملك يخبره بخبر القدرية ويقدّم له سبل معالجة انتشارها. قامت إمامة عبد الملك بالعدل والحق إلى أن ضعفت صحّته ممّا أحدث قتالا في عسكر وهو ما اضطرّ العلاّمة موسى بن علي إلى تسيير أمر الدولة خوفا عليها من الانقسام. استمرت إمامة عبد الملك إلى حين وفاته سنة ٢٢٦ / ٨٤٠ وفي نفس السنة وبويع بالإمامة المهنا بن جيفر اليحمدي الأزدي.
	الإمام المهنا بن جيفر اليحمدي : عمد الإمام إلى تقوية الأسطول العسكري البرّي والبحري للدولة لتأمين استقرارها الخارجي. كما عمد إلى تأمين استقرار الدولة الداخلي بشدّته على المعارضين من بني الجلندي وسعيه للقضاء عليهم. -توفي المهنا : ٢٣٧/٨٥١
تداول في تلك الفترة ستة من خلفاء بني العباس وهم : - المتوكل: ٢٣٢-٢٤٧/٨٤٧-٨٦٢ - المنتصر: ٢٤٧-٢٤٨/٨٦٢-٨٦٢ - المستعين: ٢٤٨-٢٥٢/٨٦٢-٨٦٦	**الإمام الصلت بن مالك :** تولّى الإمامة بوفاة المهنأ بن جيفر ٢٣٧/٨٥١ -هاجم النصارى الأحباش بأسطولهم على سقطرى (وقد كانت سقطرى والمكلا وحضرموت والمهره كلها تحت النفوذ العماني) على غير علم الإمام وخربوا البلاد، واعتدوا على الأموال والأعراض وأطلقوا الأجراس وجعلوها نصرانية، فاستغاثت بالإمام امرأة مسلمة من أهل سقطرى في أبيات شعرية تطلب نجدته فبعث أسطولا من مائة سفينة حربية مع جنود أشاوس استعادوا الجزيرة.

- المعتز: ٢٥١-٢٥٦/ ٨٦٦-٨٦٩ - المهتدي: ٢٥٥-٢٥٦/٨٦٩-٨٧٠ - المعتضد: ٢٧٩-٢٨٩/٨٩٢-٩٠٢	- استمرت إمامته من سنة ٢٣٧ إلى ٢٧٢/ ٨٥١ - ٨٨٥ تاريخ اعتزاله الإمامة، وكانت وفاته ٢٧٥/ ٨٨٨. - عاصر الإمام الصلت ستة خلفاء من بني العباس وهم المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والمعتضد.
	باعتزال الإمام الصلت بايع موسى بن موسى بن علي راشد بن النظر اليحمدي واختلف العلماء من أهل الحلّ والعقد في شأنهما. - شقّ رأى بأنّ في ذلك خروجا على الإمام وهم من عرفوا بالرستاقية نسبة إلى الرستاق. - فريق رأى عكس ذلك وعرفوا بالنزوانية نسبة إلى نزوى. وكان أهل عمان ضحية لهذه الفرقة. ونتيجة لذلك تولّى الإمامة عدّة أئمة منهم عزّان بن تميم وقد عرفت في عهده عمان حربا أهلية طالت مدّتها واتسع مداها.
فترة خلافة المقتدر بالله: ٢٩٥-٣٢٠/٩٠٨-٩٣٢	ونتيجة للانقسامات الموجودة في صفوف العمانيين توجّه محمد بن نور والي البحرين إلى عمان في جيش قوامه ثمانية وعشرون ألف مقاتل. - استولى محمد بن نور على جلفار "رأس الخيمة" ونزوى وهزم أهل عمان وقتل إمامها عزان بن تميم وبعث برأسه إلى الخليفة ببغداد وارتكب محمد بن نور أفضع الجرائم في عمان. - أقام محمد بن نور في نزوى وعاث في البلاد فسادا.

	- أثار الأهيف بن حمام الهنائي أهل عمان الذين طاردوه وكادوا ينتصرون على قواته إلا أنّ أطوار المعركة سارت لصالحه فانهزم الأهيف وعاد ابن نور إلى حكم عمان. - انتقل ابن نور إلى البحرين وعيّن الخليفة المقتدر أحمد بن هلال واليا على عمان الذي أقام ببهلا وجعل على نزوى رجلا يقال له "بيحره" وعرف ابن هلال بإرساله للهدايا للخليفة العباسي طلبا لمرضاته.
فترة خلافة المعتضد: ٢٧٩-٢٨٩/٨٩٢-٩٠٢	تولّى في عهد المعتضد بنو سام حكم عمان ومن بينهم محمد بن القاسم، والذين استمرّ حكمهم أربعين سنة.
	ورغم زوال الإمامة الإباضية التي دامت أكثر من قرن فإنّ نفوذ الدولة العباسية لم يشمل كامل عمان (المنطقة الساحلية - وشمال عمان). - تعرض الإباضية للتصدّع بعد وفاة الحواري. - عقدوا الإمامة لمحمد بن يزيد الكندي الذي لم يتمكن من الصمود أمام الجيوش العباسية ففرّ من عمان. - بايع الإباضية "الحكم بن الملا" في نزوى الذي كان ضعيفا فسهلت سيطرة الخليفة العباسي عليه. وهو ما أدّى إلى هجرة العمانيين إلى مراكز قريبة مما أحدث تدهورا في الحالة الاقتصادية لعمان.
العصر العباسي: ٢٣٢ - ٦٥٦ / ٨٤٧ - ١٢٥٨ - خلافة المقتدر بالله: ٢٩٥-٣٢٠/٩٠٨-٩٣٢	**القرامطة وعمان:** لم يستطع الأئمة العمانيون السيطرة على الأوضاع في عمان وتوحيدها مما جعلها عرضة لهجمات القرامطة.

عرفت منطقة الخليج حركتا الزنج في البصرة والقرامطة في البحرين اللتين كانتا تشكّلان خطورة على الخلافة العباسية.	وتمكن القرامطة في ٣١٨/٩٣٠-٩٣١ من السيطرة على عمان التي ظلت رغم ذلك تتمتع بدرجة من الحرية والاستقلال الذاتي حتى أنهم انتخبوا إماما جديدا هو : محمد بن يزيد الكندي لمدة ثلاثين عاما. استمر نفوذ القرامطة بصورة متقطّعة حتى سنة ٣٧٥/ ٩٨٥. ونظرا لما ساد عمان من تداخل في الأحداث وتعدد في الحكام سميت تلك العصور بالعصور المظلمة.
	- **عمان في عهد بني بويه :** تغلب يوسف بن وجيه - الذي ينتسب إلى بني سامة بن لؤي - على السلطة في عمان. -سنة ٣٢٠/٩٣٠ قام العمانيون بتنصيب عبدالله بن محبوب بن الرحيل. تمكن ابن محبوب من التغلب على ابن وجيه وافتكاك مدن عمانية ماعدا المدن الساحلية التي ظلت تحت نفوذ ابن وجيه.
	باستشهاد الإمام سعيد بن عبد الله سنة ٣٢٨/٩٣٩ قدّم العمانيون راشد بن الوليد إماما (٣٢٨-٣٤٢/٩٣٩ -٩٥٣) الذي واصل الاستلاء على المناطق الداخلية.
	تميزت الأوضاع في عمان بالاضطراب من خلال محاولة معز الدولة احتلال عمان سنة ٣٥١/٩٦٢ فأرسل حملة بقيادة أبي محمد المهلبي وبوفاته لم يكتب لها النجاح والوصول إلى عمان. ثم أعاد المحاولة في ٣٥٤/٩٦٥ وكان قائدها كردك النقيب وفي هذه المرة طلب من نافع الدخول في

	طاعة معز الدولة الذي أعلن ولاءه للبويهيين بعد تردد وحينها ثار العمانيون على نافع وطردوه ونصبوا التوكاني ملكا عليهم. - بضغط من معز الدولة وكردك هرب التوكاني من عمان إلى الخارج. أدى كل هذا إلى توتر الأوضاع في عمان مما اضطرهم إلى طلب المساعدة من القرامطة في البحرين الذين أرسلوا قوة بقيادة علي بن أحمد الكاتب وقد استطاع السيطرة على البلاد.
	استنجد نافع أمير عمان السابق بمعز الدولة في العراق الذي عمد إلى قتال القرامطة في عمان بقيادة أبي الفرج محمد بن عباس فسانجس الذي تمكن من الاستيلاء على المدينة في ٣٥٥-٣٥٦/٩٦٥-٩٦٦. وتمكن من إخضاع عمان للحكم البويهي. بوفاة معز الدولة اضطربت الأوضاع في عمان تولى الأمر عمر بن نبهان الطائي. واندلعت ثورة بقيادة الزنج قتل فيها عمر بن نبهان عامل بني العباس على عمان، واختاروا رجلا اسمه "ابن الحلاج". أرسل عضد الدولة كرمان لمحاربة الزنج واستغلّ أهل عمان الأمر وانتخبوا حفص بن راشد إماما عليهم. وبوفاة حفص عادت عمان للنفوذ البويهي ولكن لم يستمر هذا طويلا فقد ضعف نفوذهم بسبب الخلافات في البيت البويهي بوفاة عضد الدولة. وبوصول شرف الدولة سعى لاستعادة النفوذ واستطاع النصر على القوى المضادة ولكن لم تكن

	سلطته نافذة فقد تمكّن إباضية عمان من القضاء نهائيا على القرامطة في عمان : ٣٧٥/٩٨٥، وتعقبوا أنصار الدولة العباسية إلى أن آل الأمر إليهم.
	قيام دولة بني مكرم في عمان : استطاع بنو مكرم وبمساعدة البويهيين في بغداد القضاء على أئمة عمان والسيطرة على أغلب المدن العمانية. تداول بنو مكرم السلطة في عمان إلى أن ظهرت الخلافات بين الأخوين أبي الجيش الذي قتل أخاه المهذب وسيطر على السلطة إلى أن مات، فصارت الكلمة في عمان إلى علي بن هطال الذي ملك عمان. لقد أساء هطال السيرة في عمان فقام بمصادرة أموال التجار ومارس النهب. - حاربه كالياجار بقيادة أبي منصور بمن مافنه وقضى عليه وأقرّ على عمان محمد بن مكرم سنة ٤٣١ /١٠٣٩ . ولكن بسبب الضعف الذي شهدته سلطة بني مكرم تمكن إباضية عمان من السيطرة على الأوضاع وإسقاط الدولة البويهية ٤٤٢/١٠٥٠.
	زوال النفوذ البويهي : عادت السلطة لإباضية عمان، حيث انتخبوا الإمام خليل بن شاذان في العقد الأوّل من القرن الخامس الهجري واستمر حكمه مدة كبيرة من النصف الأوّل من هذا القرن. وأقام إصلاحات كبيرة وأظهر العدل في البلاد. وظلت عمان تحت النفوذ الإباضي ولم تشر المصادر إلى تبعية البلاد للسلطان العباسي رغم محاولات العباسيين المستمرة لإخضاع عمان.

	وفي نفس الوقت بدأ الضعف والوهن ينتابان الدولة العباسية إلى أن قضى عليها المغول في عام ١٢٥٨/٦٥٦، وسارت بعيدا عن نفوذ العباسيين ودخلت حوالي منتصف القرن السادس للهجرة في عصر جديد هو عصر بني نبهان الذين حكموا عمان حوالي خمسة قرون.

٨- الإمامة الإباضية الثّانية في عمان (١٧٧-٢٨٠/٧٩٣-٨٩٣):

جاء في الكشف: "ثمّ منّ الله على أهل عمان بالألفة على الحقّ فخرجت عصابة من المسلمين فقاموا وأزالوا ملك تلك الجبابرة[١]" وقد تداول عليها الأئمّة الآتي ذكرهم:

---

(١) كشف: ٢٥٣ وتتفق المصادر أن البيعة تمت للإمام **محمد بن أبي عفان** برئاسة **موسى بن أبي جابر الأزكوري** من بني ضبّة من سامة بن لؤي من الطبقة الثانية من علماء عمان (١٨١/ ٧٩٧) وقد كان الأمر كالتّالي: اجتمع رؤساء القبائل في نزوى ممن لا يؤمنون على الدولة "فخاف الشيخ موسى ألا يكون للمسلمين بدء وأن تقع الفتنة، فقال قد ولينا **ابن أبي عفان** نزوى وقرى الجوف وأحسب أنّه قال: حتى تضع الحرب أوزارها. فقال الشيخ **أبو المنذر بشير بن المنذر**: قد كنّا نرجو ما نحب، فالآن قد رأينا ما نكره والحمد لله، فقال **موسى**: إنّا فعلنا ما نحب، وأعلمه إنما أراد أن يفرقهم لئلا تقع الفتنة. فلما خرج أولئك الرؤساء ومضى كلّ واحد منهم إلى البلد التي وليها كتب الشيخ بعزلهم وبعث ولاة للبلدان، فأحسب أنهم عزلوا قبل وصولهم، وبقي **محمد بن أبي عفان** في العسكر كشف: ٢٥٣-٢٥٤. نقلنا قصة التّولية بتفاصيلها لأنها تختلف عن بيعة بقية الأئمة وذلك لانعقادها في ظرف انتقالي حرج مما اضطر الشيخ **موسى بن علي** أن يركن إلى الحيلة فأوهم رؤساء القبائل أنه عين محمد بن أبي عفان على نزوى والجوف فقط وأبقاهم على مواطنهم ثم بعد ذلك أمر بعزلهم وعيّن ولاة آخرين بتعاون مع الإمام الجديد.
والجدير بالملاحظة أن **محمد بن أبي عفان** عزل بعد ذلك بحيلة أيضا عندما بدت منه أحداث لم تعجب أهل الحلّ والعقد " فعملوا له حيلة وأخرجوه من عسكر نزوى فلمّا خرج اجتمعوا فاختاروا إماما وعزلوا محمدا وكانت إقامته سنتين وشهرا ". كشف: ٢٥٤.

- **محمد بن أبي عفّان** ١٧٥-١٧٧/٧٩١-٧٩٣[١].
- **الوارث بن كعب الخروصي** ١٧٧-١٨٩/٧٩٣-٨٠٤[٢].
- **غسّان بن عبد الله الفجحي** ١٨٩-٢٠٨/٨٠٤-٨٢٤[٣].
- **عبد الملك بن حميد** ٢٠٨-٢٢٦/٨٢٤-٨٤١[٤].

---

(١) **محمد بن عبد الله بن أبي عفان** (١٧٥-١٧٧/٧٨٧-٧٨٧) : من اليحمد إلاّ أنه نشأ بالعراق فقدموا به إلى عمان، وهو أول الأئمة من اليحمد في عمان. وهناك اختلاف وجدل بين الإباضية بعمان حول توليته التي استمرت سنتين. عبيدلي: تعليق ٤ ص ٢٥٣.

(٢) **الإمام الوارث بن كعب الخروصي الشاري اليحمدي** لا تطيل المصادر العمانية الحديث عن سيرته قبل توليه الإمامة وغاية ما تذكر أنه كان أحد المشاركين في عزل **محمد بن أبي عفان**. ولما تمت له الإمامة "وطئ أثر السلف الصالح وسار بالحق وأظهر دعوة المسلمين وأعزّ الحقّ وأهله، وخمد الكفر ودفع الله الجبابرة". كشف: ٢٥٤-٢٥٥. وتذكر المصادر أنه استطاع أن ينتصر على حملات العباسيين. أما قصة وفاته فتتمثل في أنه مات غريقا وهو يعمل على إنقاذ المساجين من سيل الوادي الذي داهمهم. كشف: ٢٥٤-٢٥٦. تحفة: ١١٤-١٢١ عمان في التاريخ: ١٥٤.

(٣) **الإمام غسان بن عبد الله الفجحي اليحمدي الأزدي** بايعه المسلمون على ما بويع عليه الوارث بن كعب، فقام بالحقّ وعز الحقّ في أيامه، وظهرت دعوة المسلمين بعمان وكان في أيامه حمة العلماء (أي جملة العلماء). وكان مقامه بنزوى في بيت الإمامة في العقر، وفي زمانه سميت نزوى **بيضة الإسلام**.

- وكانت قبل ذلك تسمى **تخت ملك العرب**. تمكن من إخماد عديد من الفتن، كما تصدى لغزوات كفار الهند وهو من اتخذ الشذاة (سفن تكون أسطولا) لحماية السّواحل العمانية من هذه القرصنة الهندية. وكان كثير التردّد على صحار. كما اشتهر بإشرافه بنفسه على أمور الحسبة. وكانت وفاته إثر مرض ألم به سنة ٢٠٧/٨٢٣. ر.كشف الغمة ٢٥٧/٢٥٩. السّالمي: تحفة ١/١٢٢-١٢٣. نلاحظ بعض الاختلاف في شأن بعض التواريخ.

(٤) **الإمام عبد الملك بن حميد** من بني سودة بن علي بن عمرو بن عامر ماء السماء الأزدي. سار سيرة الحقّ والعدل واتبع أثر السّلف الصالح وصارت عمان يومئذ خير دار. ولي يوم الاثنين لثماني ليال بقين من شهر شوال سنة ثمان ومائتين/٢٧ فيفري ٨٢٤. فلم يزل مقيم العدل حتى كبر وضعف وزمن، فكانت تقع الأحداث في عسكره، فشاور المسلمون **موسى بن**=

- المهنّا بن جيفر الفجحي اليحمدي ٢٢٦-٢٣٧/٨٤١-٨٥٢[١]

- الصّلت بن مالك الخروصي ٢٣٧-٢٧٣/٨٥٢-٨٨٧[٢].

= علي في عزله فأشار عليهم أن يحضروا العسكر ويقيموا الدولة، فحضر موسى بن علي وأقام الدولة ومنع الباطل، وشدّ عسكر المسلمين وعبد الملك في بيته فلم يعزلوه ولم يزيلوه حتى مات وهو إمام لهم. وكانت ولايته ثماني عشرة سنة. كشف الغمّة: ٢٥٩-٢٦٠. وقد ظهرت في زمانه بعض الفتن تمكن من التصدي لها وإخمادها. وقد أورد السّالمي مجموعة من الرّسائل في نصح الإمام اتسمت بالصراحة والجرأة في قول الحقّ. السّالمي: تحفة: ١/١٣٤-١٤٩.

(١) **الإمام المهنّا بن جيفر الفجحي اليحمدي الأزدي**: عقد له يوم الجمعة في شهر رجب سنة ست وعشرين ومائتين (ماي ٨٤١) فوطئ أثر المسلمين، وسار بسيرتهم، وكان له ضبط وحزم ولا يتكلم أحد في مجلسه ولا يعين خصما على خصم ولا يقوم أحد من أعوانه مادام قاعدا ولا يدخل أحد ممّن تجري عليه النفقة من العسكر إلاّ بالسلاح. حازم في الحقّ. وقد اجتمعت له من القوة البرّية والبحريّة ما شاء الله. قيل إنه اجتمع له ثلاثمائة مركب مهيأة لحرب العدو، وكان عنده بنزوى سبعمائة ناقة وستمائة فرس تركب عند أوّل صارخ. وكثرت الرعايا في زمانه حتى بلغ سكّان سعال (وهي محلة بنزوى) أربعة عشر ألفا. وفي زمانه وقع الكلام بعمان في خلق القرآن. وقد مات والمسلمون عنه راضون وله موالون ومؤازرون، وإن ذكر أن هناك من طعن في إمامته. كشف الغمّة: ٢٦٠-٢٦٣. السّالمي: تحفة ١/١٥٠-١٦١.

(٢) **الصّلت بن مالك الخروصي الأزدي**: لقد جاءت أخباره مفصلة في النصّ. ر. كشف الغمّة ٢٦٤-٢٦٥. ر.السّالمي: تحفة: ١/١٦٤-٢١٥.

- عن هؤلاء الأئمّة: انظر: مهدي طالب هاشم: الحركة الإباضية: ص٢٢٣-٢٥٣. وجاء هذا في الفصل الخامس بعنوان الإمامة **الإباضية الثانية**: أولا عصر القوة والازدهار ١٧٧-٢٣٧/٧٩٣-٨٥١. وقد حلّل الأوضاع السّياسيّة الداخليّة والخارجيّة للإمامة مثبتا أنّها إمامة قائمة على الشورى كلّما انتهت حياة إمام نظر أهل الحلّ والعقد فيمن تتوفر فيه شروط الإمامة فيبايعونه دون أن تكون له صلة نسب مع الإمام السابق سوى أنّهم أزديون عمانيون كما بيّن مواطن القوة التي أدت إلى الازدهار. وبعض مواطن الضعف التي أدّت إلى مرحلة ثانية من مراحل هذه الإمامة تجلت فيها بدايات التدهور والسقوط. =

لا نروم في هذا العرض تتّبع سيرة هؤلاء الأئمّة واحدا واحدا فذاك مبسوط في مصادر ومراجع[١] متعدّدة ولكن سنرصد في سيرتهم جميعا ما يساعد على فهم التّجربة السياسيّة الإباضية في عمان في مستوى مؤسّسة الإمامة، وما يرتبط بها من أمور تولية الإمام وعزله أو خلعه، والتّنظيمات الدّاخلية، ونعني بها أعوان الإمام في أداء مهمّته في مركز الإمامة وفي أطراف البلاد، وفي قدرة هذه الإمامة على إخماد الفتن الداخليّة والهجومات الخارجيّة، وسنعتبر هذه الإمامات بمثابة الإمامة الواحدة فنختار أمثلتنا مع توثيقها من تجربة هذا أو ذاك مما يخدم الغرض على مستوى التّجربة العمليّة التي سينبثق منها التّنظير للإمامة مع ما سينضاف إليه من تجارب سابقة ولاحقة في مركز الإمامة الأوّل في البصرة وفي جناحيها الآخرين باليمن والمغرب.

= - راجع كذلك: أ.د. فاروق عمر فوزي أستاذ التّاريخ الإسلامي بجامعة آل البيت: الإمامة الإباضية في عمان: دراسة تاريخيّة لأحوال عمان في ظل الأئمة الإباضية في الحقبة من منتصف القرن الثاني هجري/الثامن الميلادي، حتى منتصف القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر ميلادي. المفرق الأردن. نشر جامعة آل البيت. ١٤١٧/١٩٩٧ ص ٣٩-٥٦. لزيادة التفصيل: ر. الحركة: ٢٥٥-٢٨٨. و. الإمامة: ٣٩-٥٦

(١) ر. مهدي طالب هاشم: الحركة ٢٥٥-٢٨٨ وفاروق عمر فوزي: الإمامة: ٣٩-٥٦ ويحيلان على جميع المصادر.

مؤسّســات الإمامة

- **الإمــام:**

لقد تمّت البيعة لجميع هؤلاء الأئمّة على نمط واحد[1] تمثّل في أن يجتمع أهل الحلّ والعقد برئاسة أعلم الجماعة وأفقههم إثر وفاة الإمام القائم وتوديعه إلى مثواه الأخير، فلا يخرجون من مشورتهم إلاّ بعد بيعة الإمام الجديد، ويتحرّون في ذلك ألاّ تربطه صلة دمويّة بالإمام السّابق حفاظا على مبدإ المحكّمة الأوّل في اجتناب التّوريث، ثمّ تتمّ البيعة العامّة إثر ذلك في المسجد الجامع، ويلقي الفقيه خطبة يذكّر[2] فيها بمبادئ العلاقة بين الإمام والرعيّة، وبهذا تنطلق الإمامة الجديدة على سنن الإمامة التي قبلها.

ونكتفي للتمثيل لذلك ببيعة الإمام الصّلت :

قال أبو المؤثر: " كنّا في المشورة لما مات المهنّا.. وكان المشهور فيهم يومئذ محمد بن علي القاضي، وسليمان بن الحكم، والوضاح بن عقبة، ومحمد بن محبوب، وزياد بن الوضاح... ومنهم أناس من أهل العلم والفضل، وإن لم يبلغوا مبلغهم من العلم... منهم من شهد البيعة ومنهم من غاب عنها، ولم يعلم منهم خلاف عليه... إلاّ أنّ محمد بن علي

---

(١) نستثني الإمام الأوّل محمد بن أبي عفان. انظر ما سبق ص ١٣٠ تعليق ٢٨.

(٢) كشف: ٣٠٧.

وبشير بن المنذر، ومحمد بن محبوب والمعلّى بن منير، وعبيد الله بن الحكم كانوا هم المقدّمين في البيعة للصّلت بن مالك رحمه الله، مع من حضرهم من المسلمين، فبايعوا الصّلت بن مالك رحمه الله وقدّموه، وسلّم النّاس لهم وسمعوا وأطاعوا...»[١].

قال أبو قحطان: « ثمّ ولّي الصّلت بن مالك، وكان يومئذ بقايا من أشياخ المسلمين وفقهائهم رحمة الله عليهم **وإمامهم يومئذ محمد بن محبوب** رحمه الله وغفر له، فبايعوه على ما بويع عليه أهل العدل قبله...»[٢].

هذا عن تولية الإمام أمّا عن **خلعه** فقد تمّ ذلك مرّة واحدة مع الإمام محمد بن أبي عفّان عندما أحسّ الفقهاء أهل الحلّ والعقد منه انحرافا عن المسلك الإيماني المتّفق عليه فسلكوا مسلك الاحتيال المشروع[٣].

جاء في كشف الغمّة ما يلي: "وبقي محمد بن أبي عفّان في العسكر، فظهرت منه للمسلمين أحداث لم تعجبهم. وبلغني إنّما الذي أنكروا عليه جفوته للمسلمين ورده للنّصائح والله أعلم، فلم يرضوا سيرته فعملوا له حيلة وأخرجوه من عسكر نزوى، فلمّا خرج اجتمعوا فاختاروا إماما وعزلوا محمدا وكانت إقامته سنتين وشهرا[٤] ".

---

(١) تحفة: ١٦٢/١ سنعتمد كتاب تحفة الأعيان بالنّسبة إلى هذه النّصوص لأنّه جاء جامعا لكلّ ما كتب قبله.

(٢) تحفة: ١٦٣/١.

(٣) انظر ما سبق ص ١٣٠ تعليق ٢٨.

(٤) كشف: ٢٥٤.

• الأحكـام وإقامـة الحـدود:

تذكر المصادر أنّه حالما يتولّى الإمام خطّته عليه أن يجري الأحكام ويقيم حدود الله ولو على أقرب النّاس إليه.

ومن ذلك ما جاء عن الإمام **غسّان**: «قيل إنّه لم يقطع بعمان يد سارق، إلاّ غسّان بن عبد الله، فإنّه قطع يد سارق واحدة، بعد أن وجب عليه القطع[١]».

ومن أحكامه «ويوجد أنّه كان في أيام الإمام غسّان، ناس جيء بهم، وكانوا قد استحقّوا القتل في رأي بعض المسلمين، فشاور الإمام القاضي **مسبّح بن عبد الله**، فلم ير قتلهم، فسجنهم الإمام، ثم ناظر المسلمون القاضي في قتلهم، حتى رجع إلى القول بالقتل، فقال الإمام: " لا أقبل ذلك منك إلاّ أن تقول به بين جماعة من المسلمين، لأنّك أفتيت بمنع قتلهم في جماعة من المسلمين". فلمّا اجتمع النّاس بالمسجد، قام القاضي واقفا وقال: "إنّي كنت أفتيت الإمام بمنع قتل هؤلاء، وإنّي قد رجعت عن ذلك، وأفتيته الآن بقتلهم". فأمر بهم الصّلت فضربت أعناقهم. وهذه سياسة من الإمام تقتضي تبرئة ساحته من التّهمة، وفيها تصلّب عظيم من القاضي. جزاهم الله خيرا عن الإسلام وأهله[٢]».

---

(١) تحفة: ١/١٢٦.

(٢) ن.م.: ١/١٣١.

- **الفقهـاء أهل الحـلّ والعقـد:**

واضح من خلال ما ذكر أنّ دور الفقهاء أهل الحلّ والعقد يتمثّل في اختيار من تتوفر فيه شروط الإمامة فيبايعونه، ثمّ يظلّون من مؤازريه والمحتسبين عليه في نفس الوقت وهذا يهيئهم لعزله إذا اقتضى الأمر.

ولا نغفل عن شاهد يثبت أنّهم قد يضطلعون بمهام الإمامة عند عجزه اجتنابا للفتنة كما حدث عندما تقدّمت سنّ الإمام **عبد الملك**.

جاء في الكشف: «فلم يزل (الإمام **عبد الملك**) مقيم العدل حتى كبر وضعف وزمن، فكانت تقع الأحداث في عسكره، فشاور المسلمون **موسى بن علي** في عزله فأشار عليهم أن يحضروا العسكر ويقوموا بالدّولة، فحضر **موسى بن علي** وأقام الدّولة ومنع البـاطل، وشدّ عسكر المسلمين، و**عبد الملك** في بيته، فلم يعزلوه ولم يزيلوه حتى مات وهو إمام لهم...[1]».

والملاحظ أن ما خشيه **موسى بن علي**[2] من الفتنة حدث عند عزل الإمام **الصّلت** لتقدم سنّه أيضا.

فكان هذا العزل سببا لفتنة عصفت بالإمامة من أصلها وقسمت فقهاء عمان وأهلها إلى **رستاقيّة** و**نزوانيّة** هذا مع العزل وذاك ضدّه[3].

ومن **الاحتساب** على الإمام وتنبيهه ما تورده المصادر من نصائح مكتوبة يوجهها هؤلاء الفقهاء إلى الإمام بلهجة لا تعرف المجاملة إليها سبيلا.

---

(١) ن.م: ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) انظر ما سبق ص ١٣٠.

(٣) انظر ما يلي ص ١٤٦

من ذلك ما جاء في نصيحة **هاشم بن غيلان** ومن معه للإمام **عبد الملك** ":

«وذكرت قبول رأينا في الذي نصحنا لك فيه، فذلك الذي أردنا لك، وهو اجتهاد منّا، وقبول ذلك **بالفعل لا بالقول** لأنّه لا ينفع تكلّم بحق لا نفاذ له، وقد أعلمناك عزم رأينا فيما لقيناك به... ◄[١]».

ومن ذلك ما جاء من نصيحة **موسى** للإمام **عبد الملك**: «واعلم رحمك الله أنّا وإخوانك المشفقون عليك، قد قلّت ثقتهم بشأنك اليوم، وأهل أمانتك الّتي أنت عليها اليوم عزيز...[٢]».

ومن **مؤازرة** هؤلاء الفقهاء أن يتولّوا عنه القضاء في مركز الإمامة أو غيره وأن يستفتيهم عندما تشكّل عليه بعض القضايا.

ونمثل لذلك بتولي **محمد بن محبوب بن الرّحيل** القضاء بصحار للإمام **الصّلت** وبحلّه لعديد من المعضلات المطروحة مثل الحكم في من قتل خطأ شخصا مكان آخر وتبيّن له ذلك فيما بعد عندما رأى الشخص الذي تصوّر قتله قصاصا على قيد الحياة[٣].

- **بيـت المـال:**

لا سبيل إلى قيام الإمامة بدون مال لذلك تتعرّض المصادر إلى الحديث عن بيت المال وتقصّي الأخبار يمكّن من معرفة الموارد

---

(١) تحفة: ١/١٤٤.

(٢) ن.م: ١/١٤٨.

(٣) ر. كتابنا: محمد بن محبوب بن الرّحيل. في صدد النّشر.

والمصاريف، ونكتفي بما جاء من إشارات تثبت ذلك.

قال الإمام **غسّان**: «أنا أريد حرب الهند، وبيت المال لا يكفي[١]».

وجاء في أخبار الإمام **مهنّا**: «وقال العلاّمة الصبحي: بلغني أنّه كان عند **المهنّا بن جيفر** تسعة آلاف مطيّة أو ثمانية آلاف مطيّة، ولعلّها لبيت المال فيما يحكى عن الثّقات المسلمين[٢]».

ومن الإشارة الأولى نفهم أنّه للإمام أن يستعين بأموال الموسرين من الأمّة عند الحاجة إلى ذلك وعندما لا تكفي أموال بيت المال، وطبيعي أن هذه المؤسّسة تحتاج إلى جباة ومتصرفين يساعدون الإمام على أداء هذه المهمّة وقد وقعت الإشارة إلى هؤلاء بكلّ وضوح.

ومثال ذلك: "وكان في حياته [الإمام **المهنّا**] قد استعمل على صدقة الماشية **عبد الله بن سليمان**[٣]".

- **هيكل الدولة:**

لم تشر المصادر إلى أن واحدا من هؤلاء الأيمّة اتخذ جهازا لدولته كما هو معروف عند بني أميّة مثلا، فلا حجابة ولا وزارة لا للسيف ولا للقلم، وإنما كانت تدار شؤون الأمة في المسجد أو حيثما يكون الإمام.

---

(١) ن.م: ١/١٢٥.
(٢) ن.م: ١/١٥٠.
(٣) ن.م: ١/١٥٢.

- **القضـــاء:**

يعيّن الإمام من يرى فيه الصّلاح لأداء هذه المهمة في أطراف البلاد وقد ذكرنا من قبل تولي **محمد بن محبوب** القضاء بصحار للإمام **الصّلت** زمن كانت العاصمة بنزوى، كما تذكر المصادر أن **موسى بن علي** تولى القضاء للإمام **عبد الملك** ثم للإمام **المهنا**[١].

"ويحكى أن زاهدا كان يواصل **موسى بن علي بإزكى** فلمّا ولّي القضاء انقطع عنه[٢]".

"فاجتمع إلى **موسى (بن علي)** جماعة من الناس وهو يومئذ قاض[٣]".

ويعلّق أبو إسحاق اطفيش محقق "تحفة الأعيان" بما يلي: "يعني قاضي الإمام **(المهنا)** وهو شيخ الإسلام يومئذ ومرجع الفتوى في الإمامة، ورأس أهل الحل والعقد، ولذا يرجع إليه أهل الرأي والمشورة في أمر الإمام من بيعة وخلع، وكذا كان في إمامة المغرب الرّستميّة قاضي الإمام هو شيخ المسلمين ضافهم[٤]".

- **الـولاة:**

وتذكر المصادر أيضا أن الإمام يستعين بولاة يعينهم على المناطق التابعة للإمامة في أطراف البلاد لإدارة المصالح المدنية.

---

(١) ن.م: ١/١٣٥.

(٢) ن.م: ١/١٣٥.

(٣) ن.م: ١/١٥١.

(٤) ن.م: ١/١٥١ تعليق ١. ولتعريف أبي إسحاق اطفيش. ر. معجم أعلام الإباضيّة عدد٣٧. من علماء وادي مزاب بالجزائر (١٣٠٥-١٣٨٥/١٨٨٦-١٩٦٥).

من ذلك ما جاء في التحفة: "وصل كتاب من والي صحار إلى الإمام **عبد الملك بن حميد**[١]".

وجاء خلال نصيحة للإمام **عبد الملك** في شأن ضرورة التحرّي في اختيار الولاة ما يلي: "والذي نراه لك إذا اهتممت بولاية أن تتبيّن فيها وأكثر من استخارة الله، وتشير على ثقات إخوانك العالمين بالرجل الذي تريد أن توليه، فإنّا عند ذلك نرجو لك التوفيق، ويزول العذر عند الله فيه من مبالغتك في طلب عدله، والله عند نيتك وإرادتك، ولا تستغن في ذلك بقول رجل دون آخر، وإن كان ناصحا فإنك عسى أن تجد عند هذا من العلم بالرجل ما لا تجد عند هذا، فيأتي في ذلك الذي أسلم لك في دينك، وقد يدخل في هذا الأمر رجال يأتونك من طريق النصيحة لك ممن يجوز قوله عندك، يزينون رجالا ويشيرون بولايتهم، فاستوحش رحمك الله من تلك الشورى ولا تعمل بها في الدين إلا من أهله، وليكن الذي تعمل به وتسأل عنه أنت نفسك وتعرفه بمعرفتك[٢]".

وجاء في التحفة أيضا: "وكان **أبو مروان** رحمه الله واليا للإمام **(المهنّا)** على صحار فعزله **الصّلت**، فخرج **أبو مروان** إلى نزوى فأقام بها حتى توفي، وولى **الصّلت بن مالك** صحار **محمد بن الأزهر العبدي**..".

والنّصوص في هذا متعددة تثبت أن الخطة ثابتة في تقاليد الإمامة، والنص الذي أوردنا يثبت ضرورة التحري الشديد لاختيار الولاة لأنهم يمثلون الإمام فإن أخلصوا استفاد الجميع، وإن أساؤوا تحمل الإمام وزر الإساءة..

---

(١) تحفة: ١/١٣٧.

(٢) ن.م: ١/١٦٣.

- **الـــجيـــش:**

تعتمد الإمامة عادة على المتطوعين لإخماد الفتن القبلية الداخلية وللتصدّي للهجومات الخارجية.

ومن ذلك استنفار الإمام **الصّلت** الخيل للتصدي للممتنعين عن أداء الزكاة وعلى رأسهم **وسيم ين جعفر المهري** بعد أن تثبّت في صحة هذا الامتناع:

" فكتب الإمام إلى والي أدم ووالي سناو ووالي جعلان أن إذا ظفرتم **بوسيم بن جعفر المهري** فاستوثقوا منه، وأعلموني فكتب إليه والي آدم: أني قد استوثقت منه وأنه قد حصل، فأنفذ إليه الإمام **يحيى اليحمدي** المعروف "**بأبي المقارش**" مع جماعة من أصحاب الخيل، ثم أنفذ كتيبة أخرى فلقوهم بالمنائف، ثم أنفذ كتيبة أخرى فلقوهم في قرية عز، ثم أنفذ كتيبة أخرى فلقوهم في قرية منح، فلم تزل الكتائب تتراسل والرّماح تحمله حتى وصلوا به إلى نزوى..."[١].

وإلى جانب المتطوعين كوّن الإمام **المهنّا** جيشا استطاع بفضله أن يضبط فوضى القبائل ضبطا محكما.

" واجتمعت له من القوة البرية والبحرية ما شاء الله، قيل إنه اجتمع له في البحر ثلاثمائة مركب مهيأة لحرب العدو، وكان عنده بنزوى سبعمائة ناقة وستمائة فرس تركب عند أول صارخ، فما ظنك بباقي الخيل والرّكاب في سائر ممالكه..."[٢].

---

(١) ن.م: ١/ ١٥٠.

(٢) ن.م: ١/ ١٥٠.

وتذكر المصادر أيضا موقف الإمام **الصّلت** الحازم من خيانة النصارى بجزيرة سقطرى وقتلهم والي الإمام بها وفتية معه.

"فجمع الإمام الجيوش، وجهز المراكب... ويقال إن جملة المراكب التي اجتمعت في هذه الغزوة مائة مركب ومركب، فساروا إليهم، ونصرهم الله عليهم، فأخذوا البلاد وهزموا الأعداء..."[١].

وقد كتب الإمام عهدا للغزاة في هذه الغزوة بيّن فيه جميع المبادئ الإباضية في القتال[٢].

- *سقوط الإمامة الثّانيّة: ٢٧٣-٢٨٠/٨٨٦-٨٩٣*

بعد قرن من الإمامة الشّورية العادلة تحوّلت عمان إلى فوضى سياسيّة كبيرة وذلك إثر خلع **موسى بن موسى**[٣] الإمام **الصّلت** بسبب شيخوخته ٨٨٧/٢٧٣. ورفض هذا الأخير لهذا الخلع، وقد آزره علماء آخرون في ذلك فأدّى هذا إلى اندلاع حروب أهلية دفعت بعض الأطراف إلى الاستعانة **بمحمد بن بور** والي العباسيين على البحرين. وبعد كرّ وفرّ بين الطّرفين تمكّن **محمد بن بور** من عاصمة الإمامة نزوى فعاث فيها فسادا وأحرق كتب الإباضية وخرّب الأراضي الزّراعية وردم الأنهار ونقل مركز العاصمة إلى بهلا. وكان ذلك في نهاية القرن الثّالث/٩. من سنة ٢٨٠/ ٨٩٣. وإزاء هذا تسبب خلع الإمام **الصّلت** في إحداث شروخ في صفّ

---

(١) ن.م: ١٦٨/١ وسقطرى جزيرة ... تقع جنوب عمان، بينها وبين عمان بحر الحبشة: تحفة: ١٦٦/١.

(٢) ر. كتابنا: محمد بن محبوب: ص١٣٧.

(٣) **موسى بن موسى بن علي... بن لؤي** (ق٩/٣): فقيه. وصفه السّيابي بأنّه كان "الوزير الأكبر" لدى **الصّلت بن مالك** في نهاية إمامة الصّلت واستمرت فيما بعد... وقد قتل في إمامة **عزّان بن تميم**. عبيدلي: كشف: ٢٦٤ تعليق٢.

العلماء فانقسموا حزبين عرفا **بالرّستاقية والنّزوانية** استمرا في الصراع ردحا طويلا من الزّمن. ذاك أنّ المدرسة الرّستاقية استمرّت في إدانة جماعة **موسى بن موسى** واعتباره مرتدا، بينما رجّحت مدرسة نزوى بعد حين الاعتدال ودعت إلى الانفكاك من الماضي لإعادة الإمامة الموحّدة.

وبهذا بقي الحوار الدّستوري حول خلع الإمام مفتوحا[١] وبعد عزل الإمام **الصّلت** قامت إمامتان لم تعرف عمان في عهدهما إلا النّزاع القبلي.

إمامة **راشد بن النظر اليحمدي** ٢٧٣-٢٧٧/٨٨٦-٨٩٠[٢].

إمامة **عزّان بن تميم الخروصي** ٢٧٧-٢٨٠/٨٩٠-٨٩٣[٣].

واستمر هذا الوضع إلى سنة ٣٢٠/٩٣٢ حيث استطاعت القوى الإباضية من نزوى أن تحيي الإمامة مع الإمام **سعيد بن عبد الله بن محمد القرشي** ونرى من المفيد أن نقف باختصار عند إمامته وإمامة **راشد بن الوليد** في القرن الرّابع/١٠ لأن المصادر العمانية تجمع على أن إمامتهما أحيت من اندرس وجدّدت العهد مع العدل والاستقامة، مما يصلح شاهدا للتنظير للإمامة.

---

(١) ر. هاشم: الحركة ٢٧٨-٢٨٧. فاروق عمر فوزي: الإمامة الإباضية ٥٣-٧٩. غباش: عمان: ٤٤ – ٤٥، وكلّها تحيل على المصادر.

(٢) **هو راشد بن النّظر الفجعي اليحمدي**: عقد له الإمامة موسى بن موسى ٢٧٣/٨٨٦ ومن هنالك انطلقت الفتنة وانقسم أهل عمان فمنهم من اعترف بهذه الإمامة ومنهم من ظلّ وفيّا لإمامة الصّلت إلى أن توفّي ٢٧٧/٨٩٠. ر. كشف: ٢٦٤- تحفة: ١/٢١٧-٢٤٢.

(٣) **عزّان بن تميم الخروصي**: اشتدّت الفتن في زمان الإمام راشد إلى أن برئ منه موسى الذي بايعه " وفسّقه وضلّله وسار عليه وعزله " كشف: ٢٦٥. وشارك في بيعة الإمام عزّان ٢٧٧/ ٨٩٠. ثمّ قامت الخصومة بينه وبين الإمام عزّان الذي عزله عن القضاء واشتدّت الفتن إلى أن وقعت الاستعانة بمحمد بن بور والي البحرين من قبل العبّاسيين سنة ٢٨٠/٨٩٣ فاستولى على عمان وحوّل عاصمتها إلى بهلا. كشف: ٢٦٥-٢٧٥. تحفة: ١/٢٤٣-٢٦٢.

٩- ما بعد الإمامة الإباضية الثانية ق ٤/١٠:

إن الأوضاع بعمان في القرن الرابع/١٠ تحتاج في الحقيقة إلى تحليل طويل لكنه ليس من مشمولات بحثنا لذلك سنكتفي بالوقوف عند إمامتين تخدمان هذا البحث من قريب.

١) إمامة الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب ابن الرحيل القرشي ٣٢٠-٣٢٨/٩٣٢-٩٣٩[١].

٢) إمامة الإمام راشد بن الوليد ٣٢٨-٣٤٢/٩٣٩-٩٥٣[٢].

تجمع المصادر على أن هاتين الإمامتين بلغتا من المجد ما بلغته الإمامة الأولى والإمامة الثانية بعمان.

---

(١) **الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب بن الرحيل القرشي (٣٢٠-٣٢٨/٩٣٢-٩٣٩)** سليل الأسرة الرّحيلية العريقة في الدّعوة الإباضية. الرّاجح أنّه بويع إمام دفاع. لا تفصّل المصادر الحديث عن هذه الإمامة إلاّ أنّها تجمع على عدل هذا الإمام وإحيائه سيرة السّلف الصالح من الأئمّة. قتل في معركة سعى فيها للفصل بين طرفين متخاصمين وكان ذلك سنة ٢٣٨/٩٣٩. كشف: ٣٠٣-٣٠٥. – تحفة: ١/٢٧٥-٢٧٨.

(٢) **الإمام راشد بن الوليد (٣٢٨-٣٤٢/٩٣٩-٩٥٣)**: بايعه جماعة أهل الحلّ والعقد بيعة دفاع وعلى رأسهم **أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر** ثمّ بايعه النّاس على "اتباع سبيل العدل قبله قسطا وعدلا" كشف: ٣٠٦: "ثمّ بعث الولاة والعمال في القرى والبلدان" كشف: ٣٠٧ واستمرّ مطاعا في إمامته إلى أن دبّ الوهن في الأمّة بدسائس العبّاسيين فخذلت إمامها وانتصر العباسيون فاستسلم الإمام بعد صمود "فوصل إليه رسول السّلطان إلى مكانه يعطيه من الميثاق، فبلغنا أنّه أعطاه ذلك بلسانه ولم يبلغنا أنّه عرّضه ليمين، ولا كان إلى باب السّلطان من الوافدين" كشف: ٣١٠. بهذا زالت إمامته وتوفّي بعد ذلك سنة ٣٤٢/ ٩٥٣. وتجمع المصادر على عدالته وعدله من ذلك: "وممّا لا نعلم أن فيه اختلافا أنّ الإمام المدافع تسعه التّقية إذا خذلته الرّعيّة" كشف: ٣١٠. ر. كشف: ٣٠٥-٣١٢. ر. تحفة: ١/ ٢٧٩-٢٨٤. والمصدران اعتمدا اعتمادا كلّيا على ما نقلاه عن **أبي سعيد الكدمي** في شهادته للإمام راشد (انظر ترجمته فيما يلي ص ١٥١ تعليق ٧٥).

وهذه شهادة تنوّه بفضل الإمام **سعيد**: "قال أبو محمد عبد الله بن أبي المؤثر رحمه الله: لا نعلم في أئمة المسلمين كلهم بعمان أفضل من **سعيد بن عبد الله** إلاّ أن يكون **الجلندى بن مسعود**[١] ".

وأخرى تنوّه بفضل الإمام راشد:

"قال أبو سعيد: "كان رحمه الله لرعيته هينا رفيقا بآرائهم شفيقا غضيضا عن عوراتهم، مقيلا لعثراتهم.. متحملا للأمة حريصا على إصلاح المسلمين رؤوفا رحيما بالمؤمنين، متوشّحا بكريم الأخلاق، صبورا عند مضائق الخناق، مستقيما على الحقيقة، قاصدا قصد الطريقة...[٢]".

ومهما يكن من أمر فلا مزيد في سيرة هذين الإمامين على ما جاء من قبل في شأن التنظير للإمامة.

إنّ النّاظر في سيرة هؤلاء الأئمّة وما ورد حولها من أخبار يتمكّن من إرساء نظريّة الإمامة عند الإباضية بكلّ وضوح وقد كفانا مؤونة ذلك **أبو بكر أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي السّمدي النّزوي** (ق٥-٦/١١-١٢)[٣]،

---

(١) تحفة: ١/٢٧٦.

(٢) ن.م: ١/٢٧٩.

(٣) **أبو بكر أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي السّمدي النّزوي** (ق٥-٦/١١-١٢) ولد في أواخر القرن الخامس/١١ بمدينة نزوى. ينتمي إلى أسرة عريقة في العلم. بدأ حياته العلمية بجمع كتاب بيان الشّرع الذي ألّفه ابن عمه الشيخ **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سليمان الكندي**. ثمّ استمرّ في العطاء فألّف إلى جانب كتاب المصنّف، كتاب التّخصيص في الولاية والبراءة، وكتاب الاهتداء، وقد ألّفه في افتراق أهل عمان إلى **نزوانيّة ورستاقيّة**... وكتاب التّسهيل في الفرائض، وكتاب سيرة البردة، وكتاب التّيسير، وقد ألّفه في النحو، وكتاب الجواهر المقتصر، وقد ألّفه في علم الكلام.

لقد عايش صاحب المصنف الانقسام العماني المذكور ورغم أنّه كان من نزوى فهو أحد أئمّة المدرسة الرّستاقية، وكان له دور في الحياة السّياسيّة، من ذلك يذكر السّالمي في التّحفة أنّه عقد الإمامة للإمام **محمد بن خنبش** بسوني، وهي بلدة العوابي من أعمال=

في الجزء العاشر من كتابه المصنف[١] حيث نقل عن المتقدّمين من علماء الإباضية أقوالهم المتعلّقة بالإمامة.

ونذكر على سبيل المثال أسماء بعض هؤلاء: أبو عبيدة[٢]: ص ١٣. أبو سعيد الكدمي[٣]: ٦، ٢٤، ٣٣. العوتبي ضياء[٤]: ١٠.

= الرّستاق، وأنّه أقام عند الإمام ستة أشهر ثمّ غادره لمرض ألمّ به رجع على إثره إلى نزوى حيث توفّي ١٥ ربيع الأوّل ٤/٥٥٧ مارس ١١٦٢.

(١) **كتاب المصنف**: اشترك في تحقيقه عدة باحثين نذكر منهم عبد المنعم عامر، جاد الله أحمد، سالم الحارثي. ونشرته وزارة التّراث العمانيّة تباعا في ٤٢ جزء من سنة ١٩٧٩ إلى سنة ١٤٠٣/١٩٨٣ وخصّص الجزء الأخير لفهرس بقية الأجزاء دون تحديد الصّفحات، ويتجلى من عرض الأبواب أنّ الكتاب موسوعة فقهية انطلقت ببعض المسائل في أصول في الفقه والآداب ثمّ شملت جميع أبواب الفقه، والمنهج المتّبع تمثّل في جمع آراء المتقدّمين مع عرض وجوه الاستدلال، كما أنّ المؤلّف يحدّد مواقفه في بعض المواطن صراحة. وقد خصّص الجزء العاشر لقضية الإمامة وحسنا فعل إذ هي إلى القضايا الفقهية أقرب من القضايا العقديّة وإن حشرها كتّاب الفرق ضمن مباحثهم. وقد طبع الكتاب بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. (ج١٠) سنة ١٤٠٣/١٩٨٣. ٣٣٣ صفحة وانطلق بباب الإمامة وفضلها والحثّ عليها وانتهى بباب في الخرص وحرم الخراج.

(٢) انظر ما سبق ص٣٩ تعليق ٢٨.

(٣) **أبو سعيد محمد بن سعيد الكدمي الملقب بإمام المذهب** (ق٤/١٠) من مؤلفاته: كتاب المعتبر ٩ أجزاء لم يبق منه إلاّ جزء واحد طبعته وزارة التراث بعمان. الجامع المفيد من أجوبة أبي سعيد ط. ٤ مجلدات. كتاب زيادات الأشراف.

(٤) **سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري** (ق٤/١٠): كتاب الضّياء: ٢٤ مجلدا. خ. كتاب الأنساب جزآن ط. بالمطبعة الشّرقية مطرح عمان ١٤٠٥/١٩٨٤. إخراج نصّ بدون تحقيق علمي، ولم يذكر اسم من قام بهذا التحقيق الأوّليّ. ومع ذلك ينقل كتاب الأنساب ما يلي: «لكنّ مؤلفنا يذكر في كتاب الأنساب أنه تقدم له كتاب يبيّن الحكمة من الحكم والأمثال، وبعده كتاب محكم الخطابة في الخطب والرّسائل، وأنه جعل كتاب موضح الأنساب واسطة، وبعد كتاب ممتع البلاغة في الوفود والوفادات وإليه كتاب أنس الغرائب في النّوادر والأخبار والفكاهات والأسمار. ص٥. وقد عثر له على كتاب في اللّغة وهو معجم.

عن بشير[١]: ١٨, ٣٥. ابن محبوب[٢] ٢٧, ٥١. الشيخ أبو الحسن[٣]: ٦٠, ٦٥, ٦٩, ٨١. الشّـيـخ أبو محمد[٤]: ١٨, ٣٦, ٧٠, ٧٧, ٨٠. الخ...

وهؤلاء جميعا يعتمدون في تقرير المسائل على مصادر الشّريعة عند الإباضية وهي القرآن والسنّة والإجماع والقياس وتطبيقات العمرين وأئمّة الإباضية حيثما كانوا، مع المقارنة ببعض التّطبيقات الأخرى، ومع الاستئناس بأقوال الشّعراء والحكماء التي تؤازر مواقف الشّرع.

وسنورد خلاصة كلّ هذا بعد أن نورد في المبحث الثّاني تجربة الإباضية السّياسيّة في المغرب لنتبيّن أنّ عصارة التّجربة في المشرق والمغرب أفضت إلى نفس النتائج النّظرية مع بعض الفويرقات المرتبطة بالمحيط.

---

(١) **بشير بن محمد بن محبوب بن الرّحيل** (ق٣/٩): من مؤلفاته: كتاب الخزانة ٧٠ جزء مفقود. كتاب المختصر. يزيد على ٢٠ جزء عثر مبارك الرّاشدي على جزء منه بجزيرة جربة بالبلاد التّونسيّة خ. وتوجد بعض أجزائه في عمان. كتاب المحاربة في أحكام الجهاد. وتوجد نسخة منه عند مبارك الرّاشدي. كتاب البستان في الأصول.

(٢) **محمد بن محبوب بن الرّحيل** (١٩٠-٢٦٠/٨٠٥-٨٧٣) عايش مرحلة ازدهار الإمامة الثّانية بعمان. تولّى القضاء بصحار. وبها توفّي ٢٦٠/٨٧٣. من مؤلفاته كتاب في الفقه مفقود. وسيرته لأهل المغرب خ. انظر بحثنا: محمد بن محبوب بن الرّحيل. حيث فصّلنا الحديث عن التّجربة السّياسيّة.

(٣) **أبو الحسن البسيوي** (ق١١/٥) نسبة إلى بسيا من عمان. من مؤلفاته: جامع أبي الحسن البسيوي أو البسياني في الأصول والفروع. ٤ مجلدات ط. وزارة التّراث. مختصر أبي الحسن: مجلد واحد. وهو اختصار للجامع ط. وزارة التّراث.

(٤) **أبو محمد عبد الله بن بركة البهلوي السليمي** (ق١٠/٤) بلغ درجة الاجتهاد. من مؤلفاته جامع ابن بركة. حقّقه عيسى الباروني في مجلدين. وأعادت وزارة التّراث طبعه مرّات. يقال إنّ له جزء ثالثا مفقودا. لذكر مؤلفات هؤلاء العلماء استعنا بمحاضرة مبارك الرّاشدي: ندوة الفقه الإسلامي ط١. ١٤١٠/١٩٩٠. ص ١٨٨-١٩٠.

المبحث الثاني

التّجربة السّياسيّة في المغرب

المحور الأوّل

وصول الإباضية إلى المغرب
ومحاولات الظّهور

تمهيـــد

جزيرة المغرب يحدّها شمالا البحر الأبيض المتوسّط، وجنوبا الصّحراء الكبرى وشرقا البلاد المصرية وغربا المحيط الأطلسي، قد وصلها الإسلام على يد الفاتحين من أصحاب رسول الله عليه السّلام من الرّبع الأوّل من القرن الأوّل للهجرة/٧. ثمّ بعد أن انقسم المسلمون إلى فرق عمل الإباضية كغيرهم من الفرق المعارضة للحكم الأموي بدمشق على إقامة كيان لهم في أطراف هذه البلاد بعيدا عن ثقل ذلكم الحكم الذي رأوا فيه خروجا عن المسلك الإسلامي السّليم مسلك **رسول الله** ﷺ ومسلك **الخلفاء الرّاشديـــن** من بعـده، سوى مسلك الخليفة الرّاشدي الخامس **عمر بن عبد العزيز** الذي آزروه وأرسلوا إليه وفدهم لدعوته إلى الاستزادة من عمل البرّ بإماتة البدع وإحياء السّنن[1].

---

(١) الشّماخي: السّير ١/١٩١-١٩٤. لمّا تولّى **عمر بن عبد العزيز** الخلافة وفد عليه من أهل الدّين والبصيرة والعلم وفد يتكوّن من ستة أعضاء من أعلام الرّجال: **جعفر بن السّمّاك العبـدي، وأبو الحرّ علي بن الحصين العنبري** نزيل مكّة، **وأبو سفيان قنبر المصري، وأبو عبد الله الحتّات بن الكاتب، والحباب بن كليب، وسالم بن ذكوان الهلالي العماني** فكلّموا عمر وكان معه ابنه **عبد الملك**، في جرائم الأمويين وما تركوه من بدعة لعن المسلمين عليّا على المنابر، وما اغتصبوه من أموال النّاس...الخ. فقبل منهم كلّ شيء وعاهدهم على أن يحيي كلّ يوم سنّة ويميت بدعة، فكلّموه في فتنة الصّحابة التي هي علّة العلل في تفريق الأمّة فتوقّف فقال: « تلك دماء طهّرت منها سيوفنا أفلا نطهّر منها ألسنتنا»، فأبى أن يبدي=

- رحلة ابن مغطير إلى البصرة

وفي هذا الظّرف في أواخر القرن الأوّل هـ/٨ تنوّه المصادر الإباضية برحلة أوّل مغربي إلى مركز الدّعوة بالبصرة، وأنّى له أن يعرف ذلك لولا وصول الأخبار من قبل، خاصّة وأنّ مصر هي الأخرى نالت نصيبها من أثر الدّعوة الإباضية. وأوّل من ذكر الشّماخي من مشائخ المغرب **ابن اليسع** من أهل مصر **وأبا إسحاق إبراهيم المصري، وعيسى ابن علقمة المصري**[١].

وهذا المنوّه به وبرحلته هو **محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النّفوسي**، ويقول صاحب السّير في شأنه: "كان شيخا فاضلا فقيها مثقّفا، كان ممّن أخذ عن **أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة** (١٤٥/٧٦٢)، ثمّ قدم بعده الخمسة المذكورون فانتقل عن الفتيا"[٢].

واضح أنّ رحلة ابن مغطير كانت سابقة لرحلة **سلمة بن سعد**[٣] الذي تعتبره المصادر الإباضية أوّل من جاء يدعو إلى الإباضية بالمغرب،

= فيها حكما. فتوقّف الوفد عن ولايته ولكنّهم عرضوا الأمر على الإمام **أبي عبيدة** يومئذ ومن معه من أئمّة الهدى فقال: **هلاّ قبلوا** منه... والحقيقة أنّ عمر في الولاية كما يدلّ عليه قول **أبي عبيدة** رحمهم الله جميعا". تعليق **أبي إسحاق اطفيش** ٩ ص ٧٢ من مقدّمة التوحيد: مصدر سابق.

(١) إن الأخبار ضنينة عن هؤلاء العلماء سوى **عيسى بن علقمة المصري** يقول عنه الشّماخي: "كان من متكلمي الإباضية وحذّاق علمائها". ويذكر أبو عمار عبد الكافي في كتاب شرح الجهالات أنّ له مؤلفا بعنوان "كتاب التّوحيد الكبير" وفيه عارض من قال إن أسماء الله مخلوقة وصفاته محدثة. ر. كتاب شرح الجـهالات: خ. البارونية: ١٥٩. ر. الشّماخي. السير ١/٢٤٠.

(٢) الشّماخي: سير: ٢/٢٧٠-٢٧١. ما يلي يوضح ما جاء هنا. وعن أبي عبيدة انظر ما سبق ص ٣٩-٤٠ تعليق ٢٨.

(٣) انظر ما يلي ص ١٦٠ تعليق ٦.

والرّاجح أنّ هذه الرّحلة كانت على رأس القرن الأوّل لهجرة **الرّسول** ﷺ/ ٨م.

ويصعب أن نحدّد تاريخا مضبوطا لهذه الرّحلة لكن لا شكّ في أنّها كانت بعد سنة ٩٥/٧١٤ سنة خروج الإمام **أبي عبيدة** من السّجن لأن المصادر لا تذكر أنّه أدرك الإمام **جابر بن زيد**.

وواضح من خلال ما يرويه الشّماخي عن تورّع **ابن مغطير** عن الفتوى بعد وصول طلبة العلم، على أساس أنّه أخذ عن **أبي عبيدة** قبل أن يحرّر المسائل، بينما أخذوا عنه بعد أن استقرت عديد من اجتهاداته[1]، أنّ الرّحلة كانت من وقت مبكّر أي حال تولي الإمام **أبي عبيدة** مسؤولية الدّعوة.

I- الاستعداد للظّهور

- سلمة بن سعد وتنظيم البعثات العلميّة

ومن سراديب البصرة وبتأييد من الأزديين العمانيّين والتّميميين يستقرّ الأمر مع أبي عبيدة على السّعي إلى تركيز الدّعاة في أطراف الخلافة الأموية، هذه الخلافة الوراثيّة التي بدأت تتداعى إلى الانهيار، وذلك في بلاد اليمن، وعمان، وبلاد المغرب، وخراسان.

وفعلا ينطلق سلمة بن سعد الحضرمي بحماس الدّاعية المؤمن بقضيّته في نشر لواء العدالة حيثما مرّ، ولا شكّ في أنّه تعاون مع ابن

---

(١) الشمّاخي: السّير: ٢/٢٧٠-٢٧١.

مغطير لنشر أسس الدّعوة في جبل نفوسة، وواصل مسيره ليحطّ الرحال بمدينة القيروان قصبة إفريقية، وهنالك يعمل على تكوين بعثة علميّة منظّمة تكرع العلم من منابعه، ويلبّي الدّعوة أربعة: **عبد الرحمان بن رستم** (فارسي الأصل) ساقته الأقدار إلى القيروان مع زوج أمّه، **وعاصم السّدراتي** من سدراتة غربي أوراس من المغرب الأوسط - أي بلاد الجزائر اليوم - **وأبو داود القبلي النّفزاوي** من نفزاوة جنوب إفريقية - أي البلاد التونسية اليوم - **وأبو درار إسماعيل بن درار الغدامسي** من غدامس جنوب طرابلس، وانضمّ إلى هؤلاء في البصرة **أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري**، وهو عربي من اليمن، وهؤلاء هم حملة العلم إلى المغرب كما تجمع على ذلك المصادر الإباضية[1].

---

(١) ن.م: ٢/٢٤٥.

سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني (٨/٢): الذي جاء إلى المغرب داعيا إلى الله ومعلّما متجشّما الصّعاب، "أوّل من جاء بهذه الصفة - يريد مذهب الإباضية - ونحن بقيروان إفريقية"، وكان من طبقة الرّبيع. وتمنّى سلمة لو يظهر ما يدعو إليه من الصّباح إلى المساء أي في يوم واحد ثمّ لا يبالي بما يقع له بعد ذلك ولو أدّى إلى ضرب عنقه. وكان لوصوله إلى المغرب صدى في أوساط البربر إذ دخل كثير منهم المذهب الإباضي والذي ظلّ قائما إلى يوم النّاس هذا. وقد ذكر أصحاب السّير أن سلمة قدم المغرب ومعه عكرمة مولى بن عباس متعاقبين على بعير واحد، فسلمة يدعو إلى الإباضية وعكرمة إلى الصّفريّة.

لقد أوفده أبو عبيدة من البصرة، والرّاجح أنّ ذلك كان على رأس المائة الأولى/٨ وهو الذي كوّن وفد طلبة العلم من المغرب إلى البصرة. الراشدي: أبو عبيدة: ص ٢٣٥. **أبو عبدالله محمد بن الحميد بن مغطير لنّفوسي الجناوني**: (ق٨/٢) نضيف إلى ما جاء في المتن أن الحياة امتدت بابن مغطير إلى إمامة عبد الوهاب وقد كان شديدا في الحقّ وكان من أهمّ أعوانه. ر.الشّماخي: سير: ٣١٣/٢. كما يستنتج الراشدي: أبو عبيدة ١٣٦ .

عبد الرحمان بن رستم الفارسي الإمام القيرواني التونسي انظر ما يلي: ص ١٧٦. ر. الراشدي: أبو عبيدة: ٢٦٣-٢٦٥. =

وفعلا لقد كان لأمنية **سلمة بن سعد بن علي بن أسد الحضرمي اليمني** "وددتّ أن يظهر هذا المذهب – الإباضي - بأرض المغرب يوما واحدا من غدوّه إلى الزّوال فما أبالي إن ضربت عنقي"[1] أثرها الفعّال في أوساط البربر، ووجدت آذانا صاغية في أطراف متباعدة، ذلك أنّ تركيبة حملة العلم تدلّ على بحث طويل، ولقاءات متنوّعة، إذ ضمّت طالبا من

= **عاصم السدراتي (٨/٢)**: نسبة إلى قبيلة سدراتة على ما يذكر محمد اطفيش. يقول عنه الشّماخي: " جمع العلم والعمل والجهاد وشدّة الحزم والرّأي، وحيد الدّهر وفريد العصر. ٢٦٧/٢-٢٦٨

وقال: "من أئمّة المغرب ومشاهير أشياخها وقادة أهلها". ن.م: ٢٦٧/٢. وكان من خيار المسلمين وأكثرهم نجدة وشجاعة، ومن خيار من صحب الإمام أبا الخطاب المعافري وساعده في سعيه لإظهار دعوة الإسلام: الدّرجيني: طبقات: ٢٨/١. مات مسموما عند حصار الإباضية للقيروان أو عند حصار أبي حاتم لها والرّاجح الحصار الثاني، ر.الراشدي: أبو عبيدة: ٢٦٥-٢٦٦.

أبو درار إسماعيل بن درار الغدامسي الليبي (٨/٢): يقول عنه الشّماخي: " هو أحد الشيوخ المشهورين في العلم والتعليم والعمل السّياسي": ٢٦٨/٢. وكان قاضيا للإمام أبي الخطاب على طرابلس. الدّرجيني الطبقات ٢٠/١. تتلمذ عليه عديد من النّاس نذكر منهم محمد بن يانس الزّركلي النّفوسي. الشّماخي: السّير: ٢٦٨/٢. ر. الراشدي: أبو عبيدة: ٢٦٢.

أبو داود القبلي النفزاوي (٨/٢) من بلاد نفزاوة في الجنوب التونسي. تولّى الإفتاء والقضاء للإمام عبد الوهاب. وتذكر المصادر لتنوّه بغزارة علمه أنّ الإمام عبد الوهاب إذا جلس بين يديه كان كالصّبي أمام المعلّم. الدّرجيني: الطبقات ١٩/١. الشّماخي: السّير: ٢٧١/٢. ر.الراشدي: أبو عبيدة: ص ٢٦٦.

أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني (١٤٠-١٤٤/٧٥٧-٧٦١) التقى مع طلبة العلم المغاربة في حلقات أبي عبيدة فأشار عليهم أن ينتخبوه إماما ففعلوا سنة ٧٥٧/١٤٠ فسلك مسلك الإباضية وأنقذ القيروان من ظلم ورفجومة الصّفريّة وعيّن عليها عبد الرحمان بن رستم واليا وقاضيا. حاربه العباسيون إلى أن تغلبوا عليه سنة ٧٦١/١٤٤. ر. الراشدي: أبو عبيدة ص ٢٣٧. و٣١٠-٣١٧. انظر ما سبق ص ٨٠ تعليق ٥٣.

(١) الشّماخي: السّير: ٢٤٥/٢.

المغرب الأوسط، وثانيا من المغرب الأدنى، وثالثا من البلاد اللّيبيّة، مع عبد الرّحمان بن رستم وهو فارسي الأصل قيرواني المنشأ.

II- الثورات العابرة

أ- ثورة عبد الله بن مسعود التّجيبي ١٢٧/٧٤٥

وقبل أن يصل حملة العلم إلى تنفيذ خطّة إمامهم بدت بوادر تأثير مدرسة أبي عبيدة في قيام عبد الله بن مسعود التّجيبي زعيم الإباضية ورئيسهم في طرابلس على إلياس بن حبيب والي طرابلس من قبل أخيه عبدالرحمان بن حبيب والي القيروان وتمكّن إلياس من إخماد الثّورة وقتل عبد الله بن مسعود التّجيبي سنة ١٢٧/٧٤٥[1].

---

(١) **عبد الله بن مسعود التّجيبي** (١٢٧/٧٤٥): الأخبار عنه ضنينة. تذكر كتب السّير أنّه كان عالما فقيها حسن التّدبير، وقد آزرته قبيلة هوّارة. نقلا عن سالم بن يعقوب: تاريخ جربة: دار الجويني للنشر. ص٦٠. اشتهر بقيامه على والي طرابلس سنة ١٢٧/٧٤٤، انتهت الثّورة بوفاته نفس السّنة كما ذكرنا في المتن.

إلياس بن حبيب (١٣٨/٧٥٥) بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري. أمير شجاع. خدع أخاه عبد الرحمان فقتله بالقيروان واستولى على ولايته فقتله ابن أخيه حبيب بن عبد الرحمان بثأر أبيه. ر. الزّركلي: الأعلام: ٩/٢ ط ٦.

عبد الرحمان بن حبيب (١٣٧/٧٥٥) أخو إلياس سابق الذّكر. أمير، من شجعان الدّهاة. كان مع أبيه بإفريقية. وقتل أبوه سنة ١٢٢/٧٣٩. فسار إلى الأندلس وحاول اقتحامها فلم يفلح فعاد إلى تونس فأقام بها إلى سنة ١٢٦/٧٤٣ فبايعه أهلها، فسار بهم إلى القيروان فملكها. وغزا تلمسان، وصقليّة وسردينيّة، فغنم غنائم عظيمة، ودوّخ المغرب، ولم ينهزم له عسكر قطّ. قصة قتله ذكرت مع أخيه إلياس. وكانت إمارته استقلالا عشر سنين وسبعة أشهر. ر.الزّركلي: الأعلام ٣٠٣/٣ ط٦.

ب- ثورة الحارث بن تليد الحضرمي ١٣١-١٣٢/٧٤٩-٧٥٠

ولم يخمد هؤلاء الإباضية بعد فشلهم هذا، وهم يعلمون أنّ الخلافة الأمويّة تلفظ أنفاسها الأخيرة، بل ما لبثوا أن قدّموا عليهم الحارث بن تليد الحضرمي سنة ١٣١/٧٤٩ مع قاضيه عبد الجبّار بن قيس المرادي، هذين الوافدين من اليمن بعد أن غلبت ثورة طالب الحقّ سنة ١٣٠/٧٤٨، لكن سرعان ما أحسّ عبد الرحمان بن حبيب بخطر هذه الإمامة على ملكه فلجأ إلى الحيلة عندما لم يفلح في استعمال القوّة، وتمثّلت في أن دسّ من يقتل الرّجلين على أن يضع سيف هذا في جثّة الآخر سنة ١٣٢/٧٥٠، وفعلا قد أثارت هذه الحيلة فتنة في صفوف الشّراة، بين من يرى التّبرّؤ منهما، ومن يرى الوقوف فيهما ومن يرى تولّيهما. وبهذا تنتهي هذه الإمامة لتقوم إمامة أخرى[1].

---

(١) **الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي (١٣٢/٧٥٠)**: الأخبار عنهما ضنينة وتتلخص فيما ذكرناه في المتن. إنّ الأخبار متضاربة في شأنهما، وقد أورد محمد حسن تعليقا على نصّ الشّماخي التالي:" وكان عبد الجبار والحارث قاما عام واحد أو اثنين وثلاثين بناحية طرابلس على عامل مروان بن محمد، أحدهما إمام والآخر وزيره أو قاضيه، أخوان لأم، أو ابنا خالة فوجدوهما ميتين في بيت واحد، وسلاح كل واحد منهما في صاحبه. فاختلفوا في ولايتهما..." ابن عبد الحكم، فتوح البلدان ص١٠٦-١٠٨. واجتمعت الإباضية في طرابلس وكان على الإباضية حين اجتمعت عبد الجبار بن قيس المرادي ومعه الحارث بن تليد الحضرمي فحاصروا حميد بن عبدالله في بعض قرى طرابلس... وكانوا يطلبونه بدم عبد الله بن مسعود التّجيبي المقتول، واستولى عبد الجبار على زناتة وأرضها، فكتب عبد الرحمان بن حبيب إلى يزيد ابن صفوان المعافري بولاية طرابلس... فقتل يزيد بن صفوان واستولى عبد الجبار والحارث على طرابلس كلها... ثمّ اختلف أمرهما، وتفاقم ما بينهما فاقتتلا. فقتل عبد الجبار والحارث جميعا.
وذكر ابن الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب ١٢٨-١٢٩ رواية مختلفة عن قتلهما، وكان الذي قتلهما شعيب بن عفان. انظر كذلك: الدّرجيني: طبقات ١/٢٤-٢٥. ابن الأثير: الكامل ٤/ ٢٧٩. ابن خلدون: تاريخ ٦/٢٢٣. سعد زغلول: تاريخ المغرب: ٢٩٢.
الملاحظ أن رواية ابن الرقيق ترجّح الموقف الذي اخترناه في قتل الرّجلين.

III- إمامة الظّهور الأولى

- إمامة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري ١٤٠-١٤٤/٧٥٨-٧٦٢

تريّث الإباضية ثماني سنوات تمكّنوا خلالها من تنظيم صفوفهم وتركيز دعوتهم، وظلّ حملة العلم يطوفون في أطراف البلاد ويتحيّنون الفرصة المناسبة لتحقيق ما أمرهم به الإمام أبو عبيدة في البصرة.

جاء في سير الشّماخي : " ثمّ استشاروا أبا عبيدة في شأنهم إن أنسوا من أنفسهم قوّة أيؤمّرون عليهم أحدا منهم؟ قال: نعم - وأشار إلى أبي الخطاب - فإن أبى فاقتلوه "[١].

١- تولية أبي الخطّاب وعدله

وجاء في السّير أيضا : "فلمّا بلغوا بلادهم وأنسوا من أنفسهم قوّة، اجتمع من اهتمّ بأمر المسلمين ومن له النّظر من الشّيوخ، وتشاوروا بموقع يقال له صيّاد، غربي مدينة طرابلس، فاتّفق رأيهم على تولية **أبي الخطاب المعافري**... فلما رجعوا من المناجاة قالوا لأبي الخطاب: ابسط يدك نبايعك على أن تحكم بيننا بكتاب الله وسنّة نبيّه عليه السّلام وآثار الصّالحين من بعده...

فلما بايعوا أبا الخطاب على الإقامة بحقّ الله، والعمل بما في كتابه، والاقتداء بسنّة نبيّه، واتّباع الأئمّة المهتدين قبله، قبل ذلك، ودخل مدينة طرابلس، ومعه جماعة المسلمين، على حين غفلة من أهلها، وذلك عام أربعين ومائة ١٤٠/٧٥٨... "[٢].

---

(١) الشّماخي: سير ٢/٢٤٦.

(٢) ن.م: ٢/٢٤٧.

وخيّروا العامل على طرابلس من قبل العبّاسيين على البقاء في أمن وسلام أو على الخروج حيث شاء فاختار الخروج إلى المشرق "وأمّنوا أهل المدينة، وأحسن **أبو الخطاب** السّيرة، وأظهر العدل والتّواضع، فسلك عمّاله ورعيته مسلكه "[١].

هكذا استقام الأمر **لأبي الخطاب** ولأهل الدّعوة في أطراف جبل نفوسه، وفي أطراف البلاد الليبية، وجنوب إفريقية، إلى أن استنجد به أهل القيروان لردّ عدوان قبيلة ورفجومة الصّفريّة، فلم يكن منه إلاّ أن يكون أحسن مغيث، وهكذا صارت القيروان إحدى ولاياته. وقد

عيّن عليها **عبد الرّحمان بن رستم** واليا، وهو بالمدينة وبأهلها خبير[٢].

لكن ما كان للعباسيين أن يفرّطوا في هذين الثّغرين في بلاد المغرب: طرابلس والقيروان.

٢- معركة تاورغا وانتهاء إمامته

فكانت معركة **تاورغا** التي عمد فيها محمد بن الأشعث قائد الجيش العبّاسي إلى الحيلة فتظاهر بالانهزام، ثمّ كرّ راجعا بعد أن اطمأنّ على تفرّق

---

(١) ن.م: ٢٤٩/٢.. وعامل طرابلس للعباسيين هو **عمرو بن عثمان القرشي** لم يذكره الزّركلي. ر. الراشدي: أبو عبيدة ص ٣١٢.

(٢) انظر ما يلي ص ١٧٦: وعبد الرحمان بن رستم نشأ بالقيروان كما هو معلوم، ومنها انطلق إلى البصرة.

ورفجومة: قبيلة بربرية صفريّة استولت على القيروان وعاثت فيها فسادا وكان زعيمهم عبد الملك بن أبي الجعد. استطاعت جيوش أبي الخطاب المعافري إمام الإباضية بطرابلس أن تنتصر عليه وأن تقتله سنة ٧٥٩/١٤١ وبذلك صارت واحدة من ولاياته. عين عليها عبدالرّحمان بن رسم واليا وقاضيا. ر.الدّرجيني: طبقات ٢٦/١. محمود إسماعيل: الخوارج ٦٥/٦٤.

الملتفّين حول أبي الخطاب من المتطوّعين، وهكذا تمّ له النّصر، وتمّ لأبي الخطاب وجماعته الاستشهاد[١].

وبذلك انتهت هذه الإمامة لكنّ أتباع أبي الخطاب ظلّوا يتحيّنون فرصة أخرى.

IV- إمامة الدّفاع

-إمامة أبي حاتم الملزوزي ١٤٥-١٥٥/٧٦٣-٧٧٢

إن خسر هؤلاء الشّراة هذه المعركة فإنّهم لم يخسروا الحرب، إذ سرعان ما سلكوا مسلكا آخر من مسالك الدّين، ألا وهو مسلك الدّفاع. " فلمّا أنس المسلمون من أنفسهم قوّة في حيّز طرابلس اجتمعوا... فلمّا أتقنوا رأيهم وحضر كلّ من ينظر إليه، عقدوا الولاية لأبي حاتم عام أربعة وخمسين/ ٧٧٠[٢].

---

(١) الشّماخي: السّير. ٢/٢٥٤-٢٥٦. به إحالات على كلّ المصادر. **محمد بن الأشعث** (١٤٩/ ٧٦٦) بن عقبة الخزاعي: وال، من كبار القوّاد في عصر المنصور العباسي، ولاّه المنصور مصر سنة ١٤١/٧٥٩ ثمّ أمره باستنقاذ إفريقية من بعض المتغلّبة – بعد مقتل حبيب بن عبدالرحمان الفهري – فوجّه إليها جيشا بقيادة أبي الأحوص العجلي، فهزمه الثائر أبوالخطاب، فسار ابن الأشعث في ٤٠ أو٥٠ ألفا (سنة ١٤٢/٧٦٠) فقتل أبا الخطاب سنة ١٤٤/٧٦٢ ودخـــل القيروان سنة ١٤٦/٧٦٤ وانتظم له الأمر في إفريقية، فثار عليه عيسى بن موسى بن عجلان (أحد جنده) في جماعة من قوّاده، وأخرجوه من القيروان سنة ١٤٨/٧٦٦ فعاد إلى العراق. ثمّ غزا بلاد الرّوم مع العباس ابن عمّ المنصور، فمات في الطريق. ر.الزّركلي: الأعلام ط ٦. ٦/٣٩. **تاورغا**: انظر الخريطة

(٢) الشّماخي: السّير. ٢/٢٥٢.

أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي التّجيبي (١٥٥/٧٧٢): الرّاجح أنّه لم يرحل إلى البصرة وإنّما أخذ عن تلاميذ أبي عبيدة ولولا ورعه وحزمه ما بايعه الإباضية إمام دفاع، وفعلا لقد قام بمهمّته أحسن قيام إلى الشهادة في وقعة **مغمداس**. وقول ابن الأثير: " كان=

وفعلا استمرّت المعـــارك ضارية بينه وبين العبّاسيين إلى أن قتل سنة ١٥٥/٧٢٢ بعد أن قتل مؤازره وعضده الأيمن عاصم السدراتي مسموما وهو كما لا يخفى أحد حملة العلم[١].

= بين الخوارج والجنود من الذين قاتلوا عمر بن حفص إلى انقضاء أمرهم ٣٧٠ ثلاثمائة وسبعون وقعة" تاريخ: ٣٣/٥. هذا يثبت بحقّ مدى تصدّي الإمام أبي حاتم لضربات العبّاسيين. ر.الشّماخي: السّير: ٢٥٨/٢-٢٦١. الراشدي: أبو عبيـدة: ٣١٧-٣١٨ وقد أحالا على جميع المصادر. **مغمداس**: انظر الخريطة

(١) عاصم السدراتي: انظر ما سبق ص١٦٤ تعليق ٦.

المحور الثاني

إمامة الظّهور: الإمامة الرّستميّة

الإمامة الرّستميـــة
١٦٠-٢٩٦/٧٧٧-٩٠٨

I- أئمّـة الدّولـة الرّستميّـة وقضيّـة الوراثـة

ما هي إلاّ خمس سنوات بعد انتهاء إمامة أبي حاتم الملزوزي أي سنة ١٦٠/٧٧٧ حتّى يبدأ عهد جديد في أطراف بلاد المغرب الأوسط على يد **عبد الرّحمان بن رستم** الذي مكّنه الإمام **أبو عبيدة** عند عودة حملة العلم من أن يفتي بما سمع منه وبما لم يسمع[1].

وقد استطاعت هذه الإمامة من عاصمتها تاهرت (انظر الخريطة ص ٢٣٢) أن تصارع الزّمن قرنا وثلث قرن، وامتدّت أطرافها من تلمسان غربا إلى سرت شرقا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى تخوم الصّحراء الكبرى جنوبا، باستثناء إفريقية التي كانت إمارة أغلبية.

ولقد تولّى أمر هذه الإمامة الأئمّة الآتي ذكرهم:

١- الإمام عبد الرّحمان بن رستم ١٦١-١٧١/٧٧٧-٧٨٧

---

(١) الشّماخي: السّير. ٢/٢٧١.

٢- الإمام عبد الوهّاب بن عبد الرّحمان بن رستم ١٧١-٢٠٨/ ٧٨٧-٨٢٣.

٣- الإمام أفلح بن عبد الوّهاب بن عبد الرّحمان بن رستم ٢٠٨-٢٥٨/ ٨٢٣-٨٧١.

٤- الإمام أبو بكر بن أفلـح... ٢٥٨-٢٦١/٨٧١-٨٧٤.

٥- الإمام أبو اليقظان بن أفلـح... ٢٦١-٢٨١/٨٧٤-٨٩٤.

٦- الإمام أبو حاتم بن أبي اليقظان ٢٨١-٢٨٦/٨٩٤-٨٩٩.

٧- الإمام يعقوب بن أفلح... ٢٨٤-٢٨٦/٨٩٧-٨٩٩ (فترة اضطراب وتنافس على السّلطة).

٨- الإمام أبو حاتم بن أبي اليقظان ٢٨٦-٢٩٤/٨٩٩-٩٠٦.

٩- اليقظان بن أبي اليقظان ٢٩٤-٢٩٦/٨٩٩-٩٠٨[1].

II- تجربـة الإمـام عبـد الرّحمـان

١- الحرص على إقامة العدل

لقد عرفت هذه الإمامة ما تعرفه الدّول من تطوّر طبيعي، ذلك أنّها مرّت بمرحلة التأسيس، لترتقى إلى طور المجد والسّؤدد. ثمّ تداعت شيئا فشيئا إلى الهرم والشّيخوخة ليدبّ إليها الفناء على يد الثّورة الشيعية التي

(١) بحاز إبراهيم: الدولة الرّستمية ١٦٠-٢٩٦/٧٧٧-٩٠٩ دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الثقافيّة. مطبعة لافوميك الجزائر ١٩٨٥ ط١. وعن حدود الدّولة الرّستمية أنظر الخريطة.

هيمنت على كامل بلاد المغرب، ثمّ اتّجهت إلى مصر لتنطلق من القاهرة المعزّية نحو المشرق، وهدفها الأكبر بغداد عاصمة الخلافة العبّاسية.

وإن بدا هذا الحكم وراثيا على غير مسلك المحكّمة، فإنّه لم يكن كذلك خاصّة طيلة قرن من حكم هؤلاء، ذاك أنّ الإمام عبد الرّحمان بن رستم تمّ اختياره للإمامة عن طريق الانتخاب الحرّ، فلم يكن عربيا ولا قريشيا، - ومن قبل كان شيخه أبو عبيدة إمام أهل الدّعوة ومرجعهم أسود اللّون -، وإنّما كان أعجمي الأصل، وقد اختاره أهل الحلّ العقد من أجل تقواه وعدم انتمائه إلى العصبيّة العربيّة، ذلك حتى لا تكون له عصبيّة تحميه فيستبد[1]، ومن أجل توفّر جميع شروط الإمامة فيه.

لقد ساس الإمام عبد الرّحمان بن رستم الأمّة طيلة عقد من الزّمن سياسة لا تبتعد عن سياسة العمرين والنّصف الأوّل من خلافة عثمان والإمام علي قبل أن يقبل التّحكيم.

إنّها الإمامة بحقّ كما دعا إليها المحكّمة الأول، عدل ومساواة، وإنصاف وتقشّف وحسن تصرّف في أموال المسلمين.

وبذلك استتبّت الطّمأنينة في عاصمة الإمامة تاهرت وفي جميع نواحيها، وحسنت العلاقة مع الجيران، وأقبل النّاس على اختلاف فرقهم يتعايشون متآخين متناظرين يعبّر كلّ عن رأيه بكلّ حرّية، لم يبتن الإمام قصرا ولا جلس على عرش، ولا اتّخذ حاجبا، ولا عيّن وليّا للعهد ولا اتّخذ شارة من شارات الملك صغرت أو كبرت، بل ظلّ واحدا من الرّعية يسهر على راحتها فيحتسب عليه علماؤها من المغرب والمشرق، يفدون على العاصمة متنكّرين فلا يجدون إلاّ ما يرضي الله ورسوله.

---

(١) "لا سيما أنّه ليس له قبيلة تمنعه إذا تغيّر وتبدّل". أبو زكرياء. السيرة. ص ٨٧.

لقد حنّكت التّجربة الإمام عبد الرّحمان، ألم ينشأ في القيروان مع زوج أمّه يتيما؟ ألم يرحل إلى البصرة ليكرع من مدرسة أبي عبيدة في البصرة؟ ألم يرجع من هناك مع أترابه طلبة العلم وهم في أشدّ الشوق لإقامة إمامة عادلة؟ وقد أقاموها فعلا في طرابلس مع الإمام **أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري**، نعم إنّه كان من أهم ركائزها. ألم يختره الإمام واليا وقاضيا على عاصمة إفريقية بعد أن أنقذوها من عبث ورفجومة؟ وبعد ذلك ألم يعرف مرارة الهزيمة والفرار؟ فهل فتّ ذلك من ساعده وثناه عن إعادة الكرّة؟ كلاّ إنّه أعادها بعد أن تهيّأت الأسباب لذلك، وقيّض الله له نصرا مبينا فحقّق الحلم المنشود.

أ- تعيّين مجلس الشّورى واختيار الإمام عبد الوهّاب

لقد فكّر الإمام عبد الرّحمان جيّدا عندما قاربته المنيّة وتقدّمت سنّه في أمر من يخلفه، وشاور في ذلك أهل الحلّ والعقد، فاستقرّ أمرهم على أن تكون شورى بين **سبعة** على مسلك عمر ابن الخطّاب.

وفعلا ما أن توفّي الإمام حتى اجتمع السّتّة **فتدافعوها عوض أن يتنازعوا عليها في البداية**: "فلّما مات عبد الرّحمان ابن رستم، رضي الله عنه وغفر له، اجتمع أهل الشّورى على من يولّونه أمور المسلمين، فتدافع بعضهم إلى بعض، إلاّ أنّ عامّة المسلمين مالت نفوسهم إلى اثنين منهم، أحدهم **مسعود الأندلسي** والآخر **عبد الوهّاب**، رضي الله عنهما. فبعض المسلمين أرادوا تولية مسعود، وبعضهم أرادوا تولية عبد الوهّاب. فمكثوا في ذلك حول شهر يردّون الرّأي فيما بينهم. ثمّ إنّ العامّة مالت إلى مسعود فبادروا ليبايعوه فهرب لهم واختفى، وابتدروا عبد الوهاب ليبايعوه.

فلمّا سمع مسعود بتركهم لمبايعته له وإرادتهم مبايعة عبد الوهاب رضي الله عنه

خرج، فبادر ليكون أوّل من يبايع عبد الوهّاب[١].

ولسنا ندري لما يشكّ بحّاز في هذه الرّواية ولا يشكّ في رواية ابن الصغير التي جاءت في غاية الاقتضاب مع أنّ القرائن ترجّح الرّواية الإباضية المذكورة لأن ما جاء فيها من تفصيل وأخذ وردّ وحوار هو أمر مألوف في السّير الإباضية وهو ناتج عن حرّية الرأي وسعة من يشاورون " العامّة ". مع العلم أنّ زمن المشورة لم يحصر في ثلاثة أيّام كما فعل عمر، وإنّما ترك مطلقا، فاستمرّ الأمر شهرا، وليس غريبا أن يفرّ من يفرّ من الإمامة في محيط أهل الدّعوة.

ولنا أن نتساءل ما الذي منع الإمام **عبد الرّحمان** من أن يهيئ الأسباب كلّها لابنه لو كان يريد أن تكون وراثية؟ وبما أنّ الرّجل لم يفكر في مثل هذا التّوريث لم يستطع واحد من الرّواة أن يثير مثل هذا بما فيهم ابن الصّغير الذي صرّح بنفسه أنّه لمسلك عبد الرّحمان من المخالفين[٢].

ولقائل أن يقول لماذا لم يسلك عبد الرّحمان مسلك عمر بحذافيره فجعل ابنه مشيرا فحسب واعتبره ضمن المرشّحين؟

فهل خرج بها عن مسلك المحكّمة؟

الجواب : لا، ذلك أنّ هؤلاء جميعا و الإباضية منهم قبلوا خلافة **عمر بن عبد العزيز** رغم أنّها وصلت عن طريق الوراثة لأنّ رفضهم للوراثة لم يكن من أجل الوراثة وإنّما كان من أجل أن تحوّل الخلافة إلى من هو ليس أهلا لها، ومن أجل حصرها في قريش فحسب، أو في آل البيت وإن كان الوريث طفلا[٣].

---

(١) ن.م: ٨٩.

(٢) **ابن الصغير** (ق ٩/٣): أخبار الأئمّة الرّستميين. تحقيق وتعليق د. محمد ناصر. الأستاذ إبراهيم بحاز. دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان ١٤٠٦/١٩٨٦. يقول: "وإن كنّا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين، ولمذاهبهم مستقلّين " ص ٣١.

(٣) انظر ما يلي ص ٢٠٧. القرشية.

III- تجربة الإمام عبد الوهاب* ١٧١-٢٠٨/٧٨٧-٨٢٣

(*) عبد الوهاب بن رستم: ثاني الأئمّة الرّستميين، كنّاه ابن عذاري بأبي الوارث، وهو الوحيد الذي أورد هذه الكنية. تلقّى العلم بالقيروان ثم بتاهرت عن أبيه عبد الرحمان وغيره من حملة العلم. عاصر الربيع بن حبيب إمام الإباضية بالبصرة بعد أبي عبيدة وجابر بن زيد. عالم متضلّع من أكبر علماء زمانه، اشترى وقرأ أربعين بعيرا من الكتب من البصرة، فلما تصفّحها وقرأها وأتمّها قال: "الحمد لله الذي علّمني كلّ ما فيها من قبل، ولم أستفد منها إلاّ مسألتين لو سئلت عنهما لأجبت فيهما قياسا". وقد تصدّر للتّدريس، فكانت له حلقات علم بتاهرت وجبل نفوسة، وتخرّج على يديه خلق كثير، منهم ابنه أفلح، فضلا عن كثير من علماء نفوسة، حيث قضى بجبل نفوسة سبعة أعوام يلقي دروس الوعظ على العامّة، وتذكر بعض المصادر أنّها في فقه الصّلاة. كان تاجرا بارعا، لم تشغله تجارته التي مارسها في عهد أبيه، ولا الحكم الذي تولاّه بعد ذلك، عن المطالعة، فكان من عادته إذا فرغ من صلاة العشاء أخذ كتابا ينظر فيه. ولقد ترك عبد الوهاب كتابا وصفه البرّادي بأنّه ضخم وهو سفر تام، ألّفه عبد الوهاب جوابا لأهل نفوسة في مسائل ونوازل استفتوه فيها، يقول عنه ابن الصغير، مؤرّخ الدّولة الرّستميّة: "كان لعبد الوهاب كتاب معروف بـ **"مسائل نفوسة الجبل"**... وكان هذا الكتاب في أيدي الإباضية مشهورا عندهم معلوما، يتداولونه قرنا عن قرن... فأخذته من بعض الرّستميين فدرسته ووقفت عليه"، ولعل الكتاب المعروف اليوم بـ"مسائل نفوسة" (مط) جزء من هذا السّفر. بلغت الدّولة الرّستمية في عهد الإمام عبدالوهاب شأوا بعيدا في الحضارة، فكانت لها علاقات الندّ للندّ مع الأمويّين بالأندلس، ومع الأغالبة في إفريقية، ومع المدراريين في جنوب المغرب الأقصى، وعلاقات تجاريّة وطيدة مع إفريقيا جنوب الصحراء، ومع إباضية المشرق... فإذا كان عبد الرحمان بن رستم قد وضع أسس الدولة، واهتم بسياستها الداخلية، فإن عبد الوهاب أعطى لها أبعادا أخرى، نعرفها من شهادة ابن الصغير، إذ يقول: "... كان ملكا ضخما، وسلطانا قاهرا... قد اجتمع له من أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع قبله، ودان له ما لم يدن لغيره، واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله... حاصر مدينة طرابلس، وملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان...". والإمام عبد الوهاب، هو الإمام الأكثر ذكرا في المصادر – الإباضية وغيرها – ولعلّ ذلك يعود إلى التأثير الكبير الذي تركه في الحياة الدينية، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والثّقافية، والسياسيّة، والعسكريّة... فقد اتّسعت دولته من حدود مصر شرقا، إلى مدينة تلمسان في أقصى المغرب الأوسط غربا، بل إنّ هيمنته شملت في بعض الأحيان دولة بني مدرار في المغرب الأقصى... وفي عهده الذي=

١- فتنــة النّكّــار

أمّا عن قضيّة الفتنة التي قامت إثر مبايعة الإمام عبد الوهاب فهي ليست فريدة من نوعها في مجتمع لا تقمع فيه الحرّيات.

وهي فتنة لها جذورها في البيئة الإباضية من البصرة زمن أبي عبيدة. ألم يتبرّأ المسلمون من شعيب وأبي حمزة الكوفي لخروجهما مع جماعة في قضيّة القدر عن مسلك المسلمين؟[١].

لقد بادر شعيب حالما بلغه خبر الفتنة وآزر ابن فندين وتراجع عن فتواه التي أفتاها للإمام فيما يتعلّق بالشّرط الذي طلبته جماعة ابن فندين وهو "يبايعه بشرط أن لا يقضي أمرا دون جماعة معلومة"[٢] وقولهم: "إنّه لا

= دام سبعا وثلاثين سنة (١٧١-٢٠٨) عرف الرّستميون قمّة مجدهم الحضاريّ في الدّاخل والخارج، نشّطوا الزراعة، ووفّروا أسبابها، وروّجوا التّجارة، ووفروا لها الأمن، وزهت الحياة الثّقافيّة وارتقت، فقصد عاصمة الرّستميين العلماء والطلبة والنّاس من مختلف المذاهب، وسمحوا بحريّة التّعبير والفكر، فتنافست التّجارة والثّقافة في أدوار لا تزال بحاجة إلى البحث والدّراسة من قبل الباحثين والأكاديميين.

وفي عهد عبد الوهّاب انقسم الإباضية إلى فرقها المغربيّة المشهورة مثل فرقة النّكار التي أنكرت إمامة عبد الوهاب، والخلفيّة التي حاولت الانشقاق عن جسم الإمامة، والوهبيّة التي بقيت مخلصة للإمام والإمامة، حتّى قيل: إنّ النسبة في اسم «الوهبيّة» هي للإمام عبد الوهاب، رغم أنّها نسبة على غير قياس. وفي عهد عبد الوهاب ظهرت المعتزلة فناظرها، وحاول دحض أفكارها، واستمدّ العون من نفوسة، لمناظرة هذه الفرقة العقليّة... وقام بعدّة حروب دفاعيّة ضدّ من ناصب الرّستميين العداء، بعد استنفاذ الوسائل السلميّة، فلم ينهزم له جيش، ولم تسقط له راية. كان الإمام عبد الوهاب رجل علم وحكم وقيادة، ساس الرعيّة فدانت له، وناظر المنشقّين فكان الحاكم الحكيم، وقاد الجيوش فكان البطل، وأدار دواليب الدّولة فدرّت له مجدا وتألّقا... دبّر له أعداؤه مكيدة اغتيال باءت بالفشل. وتوفّي سنة (٢٠٨/٨٢٣)، تاركا الدّولة قويّة مهيبة السّلطان، وخلفه ابنه أفلح في الإمامة بلا ولاية للعهد سابقة ولكن بترشيح من أصحاب الحلّ والعقد. أعلام عدد ٦٠٩.

(١) ر. الجعبيري: البعد: ص١٠٦ تعليق ٤٣.

(٢) أبو زكريا: السيرة: ٩٠.

يجوز تولية رجل إذا كان في جماعة المسلمين من هو أعلم منه"[١]، وهذا نصّ فتواه بين يدي الإمام:

١- الإمامة صحيحة والشّرط باطل.

٢- جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل[٢].

وقد اشتعلت الفتنة لكنّ الإمام استطاع أن يقضي عليها خاصّة وقد جاء رأي أهل الدّعوة في البصرة مؤيّدا ومناصرا لموقف الإمام عبد الوهاب[٣].

فهل غفل يزيد بن فندين عن إثارة قضيّة الوراثة، وهي من أقوى الحجج لترجيح كفّته؟ إنّنا لا نتصوّر ذلك. لأنّ الرّجل من الوعي بمكان، وإنّما يعلم يقينا أنّ حجّته مردودة.

وهل غفل فقهاء الإباضية في البصرة وعلى رأسهم الرّبيع بن حبيب عن هذه الحقيقة؟ لا نتصوّر ذلك. وهم ما يزالون على العهد الأوّل في دعوتهم إلى الإمامة الشّورية، وقد كانت إمامة عبد الوهاب عن شورى، فلا حرج إن كان الإمام المنتخب ابن الإمام السّابق مادامت الأمّة قد انتخبته علماء وعامّة بعد مشورة دامت شهرا كاملا[٤].

مع العلم أن الرّوايات تقول إنّ ابن فندين نفسه لم يعثر للإمام ولو على زلّة "ولم ينقم عليه في أموره أحد، لا في حكومة ولا في خصومة حتى يزيد ابن فندين وأصحابه"[٥].

---

(١) ن.م: ٩٢.

(٢) ن.م: ٩٥.

(٣) ن.م: ٩٣-٩٤.

(٤) ن.م: ٨٩.: " فسكتوا على ذلك حول شهر يريدون الرّأي في ما بينهم".

(٥) ن.م: ٩٠. **ويزيد بن فندين** (٨/٢): كان ضمن السّبعة الذين جعل عبد الرّحمان بن رستم الإمامة شورى بينهم، ولهذا الاختيار دلالة على مكانته العلمية ومنزلته الاجتماعيّة. اعترض=

٢- الاستقرار السّياسي

لقد عرفت الإمامة سؤددا مع الإمام عبد الوهاب ولم ترو المصادر صراحة أنّ الرّجل أخذ البيعة لابنه أفلح ولكنّه علّمه فأحسن تعليمه، وحمّله المسؤوليات وذاك حقّ من حقوقه الشّرعيّة ممّا هيأه لتنتخبه الأمّة إثر وفاة أبيه. " ثمّ إنّ جماعة المسلمين بتاهرت لمّا توفّي عبد الوهّاب وقد ألمّ بهم العدوّ بجبال تاهرت كثيرا ابتدروا أفلح فولّوه على أنفسهم من يومهم ذلك فكان ميمون النّقيبة، فسكّن الله به البلاد ووقى به الفساد "[1].

= على ما توصّلت إليه الشورى. وانضمّت إليه جماعة فاشترطوا على الإمام شرطا يتمثل في وجوب ألاّ يقضي أمرا دون جماعة معلومة، وقالوا بعدم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل. فلمّا تبيّنوا بقيادة ابن فندين أنّ موقفهم لم يحجب الإمام عبد الوهاب عن الإمامة أعلنوا الثّورة عليه، وانضمّ إليهم من المشرق شعيب بن المعروف فقالوا بقوله في الكلام. واستطاع الإمام عبد الوهاب أن يخمد ثورتهم لكنّ كيانهم استمرّ في شمال إفريقيا إلى وقت متأخر ق ١٤/ ٢٠. وهم المعروفون بفرقة **النكّار**. ومنهم أبو يزيد مخلد بن كيداد صاحب الحمار الذي ثار على الفاطميين.

ولقد وددنا لو وصلتنا كتاباتهم خاصّة في السّير ورواية الأخبار من منطلق الفتنة لنتمكّن من المقارنة والتّرجيح. وحتى ما وصلنا عنهم جاء عن طريق المدرسة الثانية التي عرفت **بالوهبية** نسبة إلى الإمام عبد الوهاب بن رستم. ولهم آراء كلامية تعرضّنا لها في أطروحتنا عن العقيدة الإباضية حيث أثبتنا أن الخلاف بين النّكّار والوهبية كان أشدّ عداء ممّا كان عليه الخلاف بين إباضيّة المشرق وإباضيّة المغرب.ر.البعد : ص٢١٣-٤١٩. الخ. وهناك نجد تعريفا مفصلا للنّكّار تعليق ٤ ص٢١٣ وقد ترجمنا ليزيد بن فندين ص٤١٩ عند الحديث عن القدر. أما فرقة **الوهبية** فقد اندمج اسمها مع الإباضية وصارت كلمة إباضيّة إذا أطلقت على أهل المغرب تعني غالبا الوهبية. عن هذه الفرق انظر علي يحيى معمر: الإباضية مذهب إسلامي معتدل. قدم له وعلق عليه أحمد بن سعود السّيابي ط٢ مطبعة الألوان الحديثة ١٩٨٨ سلطنة عمان ص٤٠-٤٨.

(١) أبو زكرياء: السيرة: ١٢٩.

IV- تجربة الإمام أفلح* وأوج الازدهار

واصل الإمام أفلح المسيرة على نفس الدّرب فعرفت البلاد كلّ سعتها

(*) **أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (٨٧١/٢٥٨) حكم بين (٢٠٨-٢٥٨/٨٢٣-٨٧١)** أفلح بن عبد الوهاب، ثالث الأيمّة الرّستميين. تلقّى الإمام أفلح العلم بتاهرت عن أبيه عبد الوهّاب (حكم:١٧١-٢٠٨/٧٨٧-٨٢٣)، وعن جدّه عبد الرحمان (حكم: ١٦٠-١٧١/٧٧٩-٧٨٧) وعن غيرهما من مشايخ تاهرت. كان عالما من أكبر علماء زمانه، فقيها وشاعرا، وقد تصدّر صغيرا للتّدريس، وإلقاء العلوم على اختلاف فنونها، فقعدت بين يديه أربع حلق: في الفقه، والأصول، واللّغة، وعلم الكلام، وتخرّج في مدرسته جمع من العلماء منهم: ابناه أبو اليقظان (حكم:٢٦-٢٨١/٨٧٤-٨٩٤)، وأبو بكر (حكم:٢٨٣-٢٨٦/٨٩٦-٨٩٩)، ونفّاث بن نصر النّفوسي، وسعيد بن يونس بن وسيم بن يونس الويغي النفوسي... كان من العلماء المشهورين والمعدودين، انفرد بآراء في علم الكلام، واعتبر لذلك إماما، وترك العديد من الرّسائل العلميّة. له جوبات وفتاوى في النّوازل، كما أنّ له اهتماما بالحديث وروايته. من مؤلّفاته ما طبع والكثير في حيّز المخطوط. وفي سؤالات السوفي روايات فقهيّة وفتاوى رويت عنه، وقد بلغ في حساب الغبار والنجامة مبلغا عظيما، وكان إلى ذلك كلّه شاعرا مجيدا، له قصيدة رائيّة رائعة في التّحريض على طلب العلم مطلعها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا وإبكارا

وبلغت الدّولة الرّستميّة في عهده من الرقيّ مبلغا كبيرا، و وصلت إلى أوجّ ازدهارها، يقول ابن الصغير عن الإمام، وكذا الباروني: «عمّر في إمارته ما لم يعمّره أحد ممّن كان قبله، وأقام خمسين عاما حتّى نشأ له البنون وبنو البنين، وشمخ في ملكه، وابتنى القصور، وعمرت معه الدّنيا، وكثرت الأموال، وأتته الرفاق والوفود من كلّ الأمصار والآفاق بأنواع التّجارات ». لقد أدار أفلح الإمامة بكياسة ومهارة، وعدل ودهاء نصف قرن كامل، وفي رواية ستّين عاما، ولقد عاصر بذلك ستّة من الخلفاء العبّاسيين هم: الرشيد، والأمين، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكّل. ويبدو أنّ هذا هو الذي أدّى بالشّيخ علي يحي معمّر إلى القول: «ولعلّ الإمام أفلح يعتبر أعظم من تولّى الإمامة في المغرب الإسلامي، وأنا حين أطلق هذا الحكم أضع في الاعتبار مراعاة التّطبيق لأحكام الإسلام، وتنفيذها مع طول المدّة، وإقبال الدنيا، وفيضان الثروة بين جميع الطّبقات... كان إذا وعد وفى، وإذا قال عمل، وإذا أمر بالإحسان ائتمر، يقيم الحدود ويقف عند النّواهي للدّين، ولا تأخذه في الله لومة لائم». وفي عهده تمّ القضاء على الثّورة التي قامت في نفوسة، أيّام والده عبد الوهّاب، ثورة خلف بن السّمح، كما ظهرت النفّاثيّة نسبة إلى تلميذه نفّاث بن نصر، الذي انتقده في سيرته، واتّهمه بالبذخ في حكمه... إلاّ أنّ نفّاثا تاب ورجع عن أقواله. كان الإمام أفلح رجل علم وسياسة وقيادة ودولة، وساس الرعيّة فدانت له، وقاد الجيوش فكان البطل، وأدار دواليب الدّولة، فدرّت له المجد وتألّقا وحضارة. توفّي سنة ٨٧١/٢٨٥ على أكبر تقدير، وخلفه ابنه أبو بكر، وكان ابنه الأكبر أبو اليقظان في سجن العبّاسيين آنئذ، قبضوا عليه في موسم الحجّ.-الأعلام عدد ١١٦.

الجغرافية في ربوع بلاد المغرب، ونعمت الرّعيّة بالازدهار الكامل سياسة واجتماعا واقتصادا وثقافة.

فهذه مائة سنة من الإمامة العادلة كان نظام الحكم فيها يختلف اختلافا واضحا عن نظام الأمويين والعباسيين بالمشرق والأغالبة والأدراسة بالمغرب ذلك أنّنا لم يبلغنا عن واحد من هؤلاء أنّه أخذ البيعة لولي عهده أو اتخذ شارة من شارات الملك الوراثي القيصري، وقد أحسن بحّاز باستدراكه حيث ذكر تميّز الرّستميين، و تمسّكهم بمبادئ الإباضية السّمحة[١].

وفعلا كنّا نرى جماعة المسلمين تتحرّك بعد وفاة الإمام الرّاحل لتختار ابنه وذلك في رأينا استئناس بهذا العنصر الفارسي على مسلك سلفهم مع الإمام عبد الرحمان، ومن أجل ضعف عصبيتهم أمام العصبيّات الأخرى، ورغبة في عدم القدرة على الاستبداد إذ مهما قويت عصبيّتهم لا يمكن أن تبلغ قوّة العصبيّات الأخرى.

ولم يشهد واحد أن أحد بني رستم تحوّل إلى الاستبداد والعسف وإن بلغ في دولته ما بلغ من العزّ والسّؤدد.

---

(١) بحّاز: الدولة الرّستمية: ص ١١٧.

V- انحطاط الدّولة الرّستميّة وسقوطها

بقي أمر العقود الباقية من إمامة الرّستميّين، فإنّها قد اختلطت فيها الأحوال، وتشابكت الرّوايات، وكثرت الفتن، فترى النّاس يفضّلون الوريث على الدّخيل وإن كان ضعيفا سوى **إمامة أبي اليقظان*** التي يشبّهها

(*) **محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (أبو اليقظان) (حكم : ٢٦١-٢٨١/٨٧٤-٨٩٤)**: خامس الأيمّة الرّستميين، وواسطة العقد عددا، ولد بتاهرت ونشأ بها. تلقّى العلم عن أبيه أفلح، وجدّه عبد الوهاب، وكان كما وصفه ابن الصغير – أحد معاصريه -: «مربوع القامة، أبيض الرّأس واللّحية، زاهدا ورعا ناسكا ». وكانت له حلقات علم بتاهرت الرّستمية، فتخرّج على يده الكثير من المشايخ الأعلام، وكان من المكثرين في التّأليف، له «**رسالة في خلق القرآن**»، **وكتب في الردّ على المخالفين**، وألّف في **الاستطاعة** وحدها أربعين كتابا، وله **رسائل** عديدة، و **جوابات** مختلفة، منها ما وصلنا، وأغلبها عبثت به يد الأيّام. تولّى الإمامة سنة ٢٦١/٨٧٤، وهو الرّاجح، وبعض قال ٢٤١/٨٥٥، ليجعل من حكمه أربعين سنة، لأنّ ابن الصّغير أكّد وفاته سنة ٢٨١/٨٩٤. وقد ابتلي بالإمامة في ظروف صعبة جدّا، إذ ترك له أخوه أبو بكر الأمّة متناحرة، بعد أن عصفت بها فتنة ابن عرفة، لذلك لم تستقرّ له الإمامة إلاّ سبع سنين قضاها في تنظيم وتصفية صفوف المجتمع من آثار الفتنة، فإليه يرجع الفضل في القضاء عليها وبثّ الأمن والسّلم والطّمأنينة. لم يدخل أبو اليقظان تاهرت منتصرا، ومعلنا نهاية فتنة ابن عرفة، ورافعا شعار «عفا الله عمّا سلف » إلاّ في سنة ٢٦٨/٢٨١، حيث عقد صلحا مع القبائل كلّها، وشمّر عن ساعد الجدّ، ليواصل مسيرة أبيه أفلح وجدّيه عبد الوهاب وعبد الرحمان، وينقذ البلاد من الفوضى، ويعيد لها هناءها وازدهارها. وتذكر المصادر أنّه سجن ببغداد مع أخ لخليفة عبّاسي قبل تولّيه الحكم سنة ٢٦١/٨٧٤، قبض عليه عيون بني العبّاس في موسم الحجّ أثناء أدائه للفريضة، وقضى في سجن بغداد سنين عددا، وتعلّم خلالها الكثير من فنون السّياسة والكياسة، خاصّة وأنّه كان مع أمير استدعي بعد خروجه من السّجن لتولّي الخلافة – لعلّه المعتمد العبّاسي -، الأمر الذي جعل الأمير يطلق سراح أبي اليقظان، وسهّل له العودة إلى وطنه بالمغرب، ليتولّى هو الآخر الإمامة في دولته. وكانت أيام أبي اليقظان لا تشبّه إلاّ بأيام جدّه عبد الرحمان بن رسم في الحكم والعلم، والعدل والورع، واتّفاق الكلمة بعد اختلافها. وعرفت الدّولة الرّستمية في عهده انفتاحا كبيرا على العلم والعلماء، حيث اهتمّ فقهاء المذاهب المختلفة بالمناظرات الفقهيّة والكلاميّة، وكثرت المجالس والحلقات. توفي=

الرّواة بالإمامات السّابقة: "حدّث غير واحد من أصحابنا أنّ **محمد بن أفلح** (أبا اليقظان) اجتمع عليه عامّة النّاس فولّوه على أنفسهم ولم يكن منهم في توليته اختلاف. وبلغ في الفضل والعدل غاية عظيمة "[١].

ثمّ تدرّجت الإمامة بعد ذلك إلى الانحدار ثمّ إلى الهرم والفناء على يدي الشّيعة، ويعسر جدّا أن نعتبر أن عنصر الوراثة - إن قبلناه - هو العنصر الأساسي في هذا الزّوال[٢].

ومن أهم أسباب انهزام الرّستميين الضّربة القاسية التي نالت مصدر عزّهم ودرعهم الواقي جبل نفوسة في واقعة مانو ٨٩٦/٢٨٣ حيث قتل الأغالبة هؤلاء الإباضية شرّ تقتيل "فأريقت دماؤهم في البحر حتى غلبت حمرة الدّم على الماء كما يذكر ذلك الشّماخي نقلا عن الرّقيق القيرواني "[٣].

ومهما يكن من أمر فإنّ هذه المرحلة من تاريخ الإباضية في المغرب هي أزهى مرحلة على الإطلاق إذ بانتهاء إمامة الظّهور هذه تحوّل الإباضية إلى الكتمان واستمروا على هذا الكتمان إلى اليوم، يتضاءل عددهم يوما بعد يوم، إلى أن صاروا قلّة موزّعة في جبل نفوسة وزوارة ووارجلان وجزيرة جربة ووادي مزاب.

= سنة ٢٨١م، ولم تتجاوز تركته سبعة عشر دينارا، وخلّف من الأولاد الذكور عددا منهم: ابنه اليقظان الذي يكنّى به، ويعقوب أحد الأيمّة الرّستميّين من بعد، ويوسف وأبو خالد وعبد الوهاب ووهب. أعلام عدد ٧٨٤ .

(١) أبو زكرياء: السيرة: ١٤٤.

(٢) انظر ما يلي وقد أصاب بحاز في ضبط بقية العوامل التي أدت إلى انتهاء الدّولة الرّستمية.

(٣ الشّماخي: السّير ٢/ ٤٢٤.

المحور الثالث

القرن الرّابع

ومحاولات إعادة إمامة الظّهور

I- ثورة أبي يزيد مخلّد بن كيداد ٣٢٦/٩٣٨

لم يمض ربع قرن على امتداد النّفوذ الفاطمي في بلاد المغرب حتّى تحرّك الجناح الثّاني من أجنحة الإباضية، ألا وهو الطّرف النّكّاري - وإن كان على غير وفاق مع الجناح الوهبي - بقيادة **أبي يزيد مخلّد بن كيداد النّكّاري** راغبا في إمامة الظّهور، وفعلا لقد حقّق من الانتصارات على الشّيعة الكثير حتى كان قاب قوسين من تحقيق غرضه، وهذا حسن حسني عبد الوهّاب (١٣٨٨-١٩٦٨) مؤرّخ البلاد التونسية المعاصر يلخص أحداث هذه الثورة كما يلي: "وثار على **القائم بأمر الله** (٣٢٢-٣٣٤/٩٣٤-٩٤٦) سنة ٣٢٦/٩٣٨ رجل من الخوارج يسمى **أبا يزيد مخلد بن كيداد** ويدعى صاحب الحمار. ظهر هذا الثّائر بالجريد وهو من أبنائه، ثمّ تحوّل إلى جبل أوراس لمناعتها وكان نكّاريّا يستحلّ الدّمّاء[1]، فأخذ يدعو إلى السّنّة والإنكار على مذهب الشّيعة إلى أن استمال أمما من البربر وتلقّب بشيخ المؤمنين. ولمّا تمكّن من القبائل زحف إلى إفريقيّة في جيش يبلغ مائة ألف، ووالى الهزائم على اتباع الخليفة العبيدي، وامتلك تونس والقيروان، وضيّق على القائم، وفي الأخير حاصر المهدية، فاستعان أبو القاسم بكتامة وصنهاجة فأبلوا في الدّفاع عن ملكه الكبير.

وفي هذه الأثناء توفّي أبو القاسم في شوال ٣٣٤/ماي ٩٤٦ والحرب قائمة على ساق.

---

(١) هذا ادعاء من المؤلف ليس له عليه دليل لأنّ ما علمنا عن النّكّار أنّهم يستحلّون الدّماء.

فتولّى ابنه إسماعيل المنصور بعده. "وشمّر عن ساعد الجدّ واتّبع أثر الثّائر أبي يزيد الخارجي إلى أن أوقع به بأرض كتامة، فطهّر منه البلاد سنة ٩٤٧/٣٣٦ بعد اقتحام مشاقّ لا تحصى دلّت على ثباته "[١].

هذا نصّ يثبت أنّ هذه الثّورة دوّخت الدّولة الفاطميّة رغم تحامل صاحبه على أبي يزيد واعتباره خارجيا يستحلّ الدّمّاء، ولمّا غلب اعتبره نجسا طهّرت منه البلاد، وفي هذا الكلام نظر، ما كان يحسن أن يصدر من مؤرّخ مثل حسن حسني عبد الوهاب الذي عرف برصانته وموضوعيّته.

المهمّ إنّها عشر سنوات حرص فيها هذا الجناح من أجنحة الإباضية على تحقيق الظّهور فلم يفلح وبهذا يدخل هؤلاء أيضا مرحلة الكتمان.

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس. ط ١٩٨٣. ص٩٩.

مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث الزّناتي النّكاري، أبو يزيد. ثائر من زعماء الإباضية وأئمّتهم. بربري الأصل. كان يغلب عليه الزّهد والتّقشّف، ويلبس جبّة صوف قصيرة ضيّقة الكمّين. ولد ونشأ في قسطيلية وكانت تابعة لتوزر، ونشأ بتوزر، وخالط النّكّارية بتشديد الكاف، وهم من الصّفريّة (الصحيح أنّهم من الإباضية)، وسافر إلى تاهرت معلّما للصبيان فيها، وانتقل إلى " تقيوس ". قال ابن خلدون: " ثمّ أخذ نفسه بالحسبة على النّاس وتغيير المنكر سنة ٩٢٨/٣١٦ فكثر أتباعه". ولما مات المهدي الفاطمي (سنة ٣٢٢) خرج بناحية جبل "أوراس" وتلقّب بشيخ المؤمنين. ثمّ ذكر أخبار الثّورة باختصار. ر.الزّركلي: الأعلام: ط٦. ١٩٤/٧ ولزيادة التّفصيل عن ثورة أبي يزيد. ر.عامر ونيّس:أبو يزيد مخلد بن كيداد: أطروحة دكتوراه دولة نوقشت بالجامعة الزيتونة السّنة لم تذكر.

II- ثورة أبي خزر يغلا بن زلتاف وأبي نوح سعيد بن زنغيل ٣٥٨/٩٦٨ :

لئن انفلت أمر الدّولة من أيدي الإباضية فإنّهم لم يستسلموا للركود، بل ظلّوا في حركية دؤوب في أطراف البلاد، وخاصّة في بلاد الجريد التي كانت تسمّى قسطيلية[١]، وقد سلكوا مسلك التّقيّة الذي يتماشى مع مرحلة الكتمان، ومعلوم أنّ الكتمان يأخذ من الظّهور والعكس لا يكون، فلمّا أنسوا من أنفسهم بعض القدرة تجلّى ذلك على مسلك عالم من علمائهم ألا وهو **أبو القاسم يزيد بن مخلد**، فكان يدخل مدينة القيروان في شيء من الأبّهــة كما جاء في كتاب الطّبقات: "وكان **لأبي القاسم** مطيّة عظيمة يسافر بها إلى القيروان بزيّ عظيم، وحلّة سنيّة، واشتهر بذلك مع ما اشتهر به من العلم والأدب والدّين والحسب، وكان إذا دخل مدينة القيروان اضطربت المدينة، وكثرت السّؤالات والمباحث في معضلات يدّخرونها له، فلا يقف في شيء منها، فعظمت بها منزلته وارتفع ذكره "[٢].

وهكذا كانت بينه وبين المعزّ لدين الله الفاطمي ٣٤١-٣٦٥/٩٥٢-٩٧٥ ألفة دامت ردحا من الزّمان إلى أن كدّر صفوها الوشاة وانتهت بأمر المعزّ عامله على حامّة الجريد موطن أبي القاسم بقتله.

هنالك تحرّك تلميذاه وأقرب النّاس إلى فكره **أبو خزر يغلا ابن زلتاف وأبو نوح سعيد بن زنغيل** ليأخذا بثأره، فكانت ثورة عارمة تمكّنت فيها جموع الإباضية من الغلبة في البداية رغم أنّ جموعهم كلّها لم تصل بعد.

---

(١) انظر الخريطة.

(٢) الدّرجيني: الطبقات ١/١٢٤.

وما أن بلغ الخبر **أبا تميم المعزّ لدين الفاطمي** حتى تحرّك بنفسه في ٢٣ شوال ٩ سبتمبر ٩٦٩ نحو **باغاي** فوافاه جيش **أبي خزر** قريبا منها بعد أن قتل **طيّان** قائده هناك.

وما أن تواصلت المعارك حتى عمد جيش المعزّ إلى الخدعة والحيلة، وبذلك تمكّنوا من تشتيت جيش **أبي خزر** قبل أن يأتيه المدد من بقية الأطراف الإباضية.

ولم يكن من **أبي خزر** إلاّ أن لجأ إلى الاختفاء، وكذا فعل صنوه **أبو نوح** الذي خرج في طلب المدد، فبلغه خبر هزيمة **باغاي** قبل الوصول إلى هناك. فلم يكن من هذا المدد إلاّ أن رجع أدراجه، وكان من بين هؤلاء الشيخ **فصيل ابن أبي مسور** سيّد أهل الدعوة في جربة، وشيخ **أبي عبد الله** وصاحب فكرة التّحول إلى الكتمان وإقامة نظام الحلقة[١].

---

(١) **أبو خزر يغلا بن زلتاف** (٣٨٠/٩٩٠) من بني واسين. سكن الحامّة مع أبي القاسم يزيد بن مخلد حيث تعلّما هناك الأصول عن سحنون ابن أيوب وتزوج الغاية. حاصر عامل أبي تميم الفاطمي في باغاي (انظر الخريطة) ٣٥٨/٩٦٩ إثر مقتل أبي القاسم الحامّي، وانهزم أبو خزر في هذه المعركة. ثمّ تمّ الصلح بينه وبين أبي تميم سنة ٣٥٩/٩٧٠. وتحوّل معه إلى القاهرة حيث توفّي سنة ٣٨٠/٩٩٠. عدّه أبو يعقوب الوارجلاني ضمن الأئمّة العشرة الذين انفردوا بآراء في علم الكلام. وقد استقرّ بمصر، وبها توفّي، وتذكر المصادر أنّ المعزّ كان يباهي به علماء المشرق. وقد حقق النّامي رسالته التي جاءت بعنوان: "في الرّد على جميع المخالفين" وما تزال مرقونة. ر. البعد ١١٣.

أبو نوح سعيد بن زنغيل (ق٤/١٠): أصله من بلاد الجريد. وقد أخذ العلم عن شيوخ الإباضية في القرن الرّابع وخاصّة في علم الكلام. قام مع أبي خزر في ثورته على أبى تميم الفاطمي فاختفى زمانا في وارجلان عند انهزام الثّورة، فأكرمه أهلها حيث ترك أثرا علميا واضحا. ثمّ وقع التّصالح بينه وبين أبى تميم إذ أمّنه عن طريق صديقه أبي خزر. لكن تمارض عند رحيل المعزّ إلى مصر وبقي في المحيط الإباضي. كانت له براعة في علم الكلام وهو يقول عن نفسه "ناظرت عن هذه النّحلة بين يدي أبي تميم الشّيعى وأبي منصور الصّنهاجي، وأبي الخطّاب (عامل زويلة) سائر الفرق، ولم يبق مذهب إلاّ غلبته". ر.البعد ١١٢. =

أمّا في ما بقي من القرن الرّابع حيث قامت الدّولة الصّنهاجية فلم تكن للإباضيّة إلاّ مواقف دفاعية. وقد استمرّت هذه الدّولة إلى أواسط القرن السّادس/١٢ أي من ٣٦٢ إلى ٥٤٣/٩٧٢-١١٤٨.

وفي عهدها استطاع الإباضية إقامة نظام الحلقة مع **أبي عبد الله محمد بن بكر** سنة ٤٠٩/١٠١٩ أي زمن إمارة **المعزّ بن باديس** ٤٠٦-٤٥٣/ ١٠١٦-١٠٦١.

= **أبو القاسم يزيد بن مخلّد اليهراسني** ٣٥٨/٩٦٧: ينتسب إلى بني وسيان التي هي من بني يفرن أو إخوة لهم. وبنو يفرن ترجع إلى زناتة من البتر. ولد بحامّة قسيطلية. تفوّق بسرعة على أقرانه وشيوخه في حلقات العلم، ورزقه الله مالا كثيرا. أخذ الكلام عن سحنون ابن أبي أيوب واللغة وسائر العلم عن أبي الرّبيع سليمان بن زرقون النّفوسي. تزوّج المرأة الصالحة المعروفة بالغاية فازدان بها بيته علما وصلاحا. ومن رفاقه في الدراسة أبو خزر يغلا بن زلتاف. وقد تتلمذ عليهما وصحبهما أبو نوح سعيد بن زنغيل فكوّنوا ثلاثيا غاية في العبقرية والعطاء ممّا جعلهم يقتربون من مرحلة الظّهور.وكانت لأبي القاسم علاقة حميمة مع المعزّ لدين الله الفاطمي دفعته إلى التّردّد على القيروان حيث يكون محلّ احترام من أهل العلم والنّاس جميعا "فكان إذا دخل مدينة القيروان اضطربت المدينة وكثرت السّؤالات والمباحث والمعضلات يدّخرونها له فلا يقف في شيء منها فعظمت بها منزلته وارتفع ذكره "(الدّرجيني: الطبقات ١/١٢٤). فأثار كلّ هذا حسد الحساد فخشي أبو تميم جانبه وأمر واليه على الحامّة أن يقتله، فحرص الوالي على اجتناب ذلك ولكن انتهى به الأمر إلى أن عيّن من قتله.

وبذلك انطلق رفيقاه أبو خزر وأبو نوح للثأر له فكانت ثـورة أبي خزر التي انتهت بالفشل والصّلح مع المعزّ وكان ذلك سنة ٣٥٨/٩٦٩. الدّرجيني: الطبقات ج١/١٢٨ وما يليها. الشّماخي: ٢/٥٢٧.

المبحث الثالث

التنظير للإمامة

I- تعريف الإمامة

١ - معنى الإمامة

-**لغة**: الإمام الذي يؤتمّ به، ويقتدى بقوله وفعله، وهو القدوة والمثال. قال النّابغة :

أبوه قبله وأبو أبيه بنوا مجد الحياة على إمام

أي على مثال من آبائهم يهتدون به.

وكان الإمام سمّي إماما، لأنّه نظام النّاس، وقصد لهم، ومثال يحتذون على قوله، ويأتمرون بأمره.

والإمام : النّظام الذي يؤلّف بين المختلفين، ويجمع بين المتفرّقين قال لبيد:

وكنت إماما ولنا نظاما وكان الجزع يحفظ بالنّظام

-**اصطلاحا** : يقول صاحب المصنف: "إنّ أفضل ما أنعم الله على العباد، واختصّهم به ليوم الميعاد، نعمتان: إحداهما: الرّسول الهادي الذي لا يصاب علم الدين إلاّ مِن قِبَلِه.

والأخرى: **الوالي العادل الذي لا تصلح الدنيا إلاّ على يده.**

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء ٧٣].

وقال لإبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة ١٢٤] تنزيها للإمامة، ورفعا لقدرها وتعظيما لخطرها أن ينالها عات ظالم أو يتحلّى باسمها باغ غاشم[١].

فالإمام هو الذي لا تصلح الدّنيا إلاّ على يده، سمته العدل، فإن جار لن يعتبر إماما وإن كان في مركز القيادة[٢].

ويميّز الإباضية بين الملك والخلافة كما يلي:

أبو عبيدة المغري - عن عمر بن الخطاب: **الخلافة**: ما أؤتمن عليها، يعني ما كان عن مشورة أهل العلم والصّلاح. و**الملك**: ما أخذ بالسّيف، فكلّ من كانت إمامته من غير مشورة من أهل العلم والصلاح، فهي **ملك**.

وكذلك من عقد له الأشرار إمامته فهو **ملك**[٣].

٢ـ حكـــم الإمامة

الإمامة فرض بالدليل من الكتاب والسّنة والإجماع.

فالدّليل من الكتاب قولـه تعـالـــى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النّساء ٥٩] وهم الأئمـة. وقال تعالى: ﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ ﴾ [النّور ٨] هو الإمام الذي يقيم الحدّ.

---

(١) المصنف: ٣/ ١٠.

(٢) تذكّر هذه المعاني بالتعريف الخلدوني للخلافة وقد جاءت صياغة ابن خلدون أكثر دقة حيث يقول:"فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا به". ابن خلدون المقدمة. دار الكتاب اللبناني بيروت ط٣. ١٩٦٧. ص٣٣٨. لاحظ الفرق بين الموقف الاباضي من الجور وبين الموقف الأشعري بالنسبة إلى الجور.

(٣) المصنف: ٣/ ٦٠.

ومن السنّة أن رسول الله ﷺ كان إذا افتتح بلدا أمّر عليه أميرا مرضيّا...

وروي عنه عليه السّلام: "أطيعوا ولاة أموركم". وقال لمعاذ: "ولا تعص إماما عادلا". وقال: "السمع والطاعة ولو كان حبشيا مجدعا". فبيّن ﷺ أن لا بدّ للأمة من قائم تجري على يديه أحكامهم وآراؤهم...

وأمّا **إجماع الأمة** على وجوبها ففعل المهاجرين والأنصار فيها وقولهم على الاجتماع لها، وإن اختلفوا فيمن يقوم بها، فلم يختلفوا أنّها واجبة أو غير واجبة[١].

وللإباضيّة قول آخر: وهو أنّ الإمامة سنّة قبل أن يثبت العقد، فإذا ثبت العقد كانت فريضة، كما أن التّزويج سنّة قبل عقد التّزويج فإذا وقع عقد التزويج كان فرضا[٢].

٣ ـ أنواع الإمامة أو مسالك الدّين : الظهور والشراء والدفاع والكتمان[٣].

يقول غباش : "والواقع أنّ الغرض المؤسّسي لهذه الحالات ومن بينها حالة الكتمان يرمي إلى استمرار الإمامة. فالحركة الإباضية تحرص على أن لا تبقى الأمّة دون مرجع حاضر، دون إمامة، وهكذا تكون الصّلة بين الشّعب وقادته الدينيين والرّوحيين، والعلماء - أهل الحلّ والعقد - دائمة في كلّ الحالات وعبر الزّمن"[٤].

---

(١) ر.ن.م: ٢٣. يقول ابن خلدون "إن نصب الإمام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصّحابة و التابعين" المقدمة: ٣٣٩.

(٢) المصنّف: ٣/٢٧.

(٣) انظر ما سبق ص٤٨.

(٤) غباش: عمان: ص٧٠.

٤ ـ شـــروط الإمـــام

"والإمام لا تجوز له الإمامة إلاّ إذا كان عادلا، وليّا قويّا على أمر المسلمين[١]".

بهذا نفهم أنّهم يشترطون سلامة الإمام العقلية والجسديّة والرّوحية.

- شـرط القرشيـة

جاء في المصنّف: "تنازع النّاس في قول النبي ﷺ. **فقول**: "لا تكون إلاّ في قريش".

وقول: "إنّه لم يكن ذلك حتى وصله بيان ما حكمت فعدلت، وقسمت فأقسطت، وما أقامت فيكم كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ. فإذا لم يفعلوا ذلك، فضعوا سيوفكم على عواتقكم، وأبيدوا خضراءهم".

وقول: "ليس معناه أنّها لا تصلح إلاّ في قريش. ولكن معناه: إنّما تصلح في قريش وغيرها، لئلاّ يبطل فرضها مع من لا يصلح لها من قريش. وأحسبه عن أبي بكر الأصمّ: إذا اتّفق لنا القرشي والنّبطي، لنكون على عزله أقدر.

وجاء فيه أيضاً: "مُناظر قال لك: قال النّبي ﷺ: "الأئمّة من قريش. "فلا يكون إماما تلزم طاعته إلاّ منهم".

الجواب: إنّ قوله دعوى، لأنه سبحانه وتعالى يقـول: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النّساء ٥٩].

---

(١) المصنّف: ٥٥/٣. لا نريد أن نطيل في ذكر الشّروط فهي تتلخّص في ما ذكره ابن خلدون من علم وعدالة وكفاية وسلامة الحواس والأعضاء. المقدمة ٣٤٢.

خاطب المؤمنين كافّة، وثبت بالإجماع أنّهم الأئمّة والعلماء. ولو ثبت ما قال ثبت أنّ المخاطبة وقعت في قريش خاصّة، وأنّ غيرهم خارج من معنى الطّاعة. وإنّما ذلك في أيام عدلها على غير المعارضة. ومما يبطله قول النّبي ﷺ: "لو وليكم حبشي مجدّع، فأقام فيكم كتاب الله وسنتي، فاسمعوا له وأطيعوا". ومحال أن يكون الحبشي من قريش[١].

٥ ـ جواز إمامة المفضول مع وجـود الأفضل

"وعن الإمام، هل تجوز إمامته، وفي المسلمين من هو أفضل منه؟".

قال: نعم. وقد يكون في المسلمين من هو أفضل وأعبد ولا يضبط الأمر كما يضبط من دونه.

قـال: وقد رأينا أصحابنا (يعني علماء الإباضية) يقدّمون الإمام، وفي المسلمين من هو أفضل منه بدرجات ولا تكون إمامة الإمام إلاّ في الأفضل ممّن يرجى إقامة الحقّ به وإنكاء للعدو، وأقوى على إقامة الأمر. وقد قدّم أهل الشّورى في الصحابة، من قد كان في القوم من هو أفضل، وأكثر علما على ما بلغنا[٢].

---

(١) المصنّف: ٣/٥٦/٥٧. ر.ابن خلدون: المقدمة٣٤٣ يناقش القضية ويحولها إلى العصبية ويذكر قول الباقلاني بنفي اشتراط القريشيّة.

(٢) المصنّف: ٣/٦٤. يشير هنا إلى ما يحتجّ به الزّيدية أيضا في شأن هذه القضيّة وهي تقديم أبي بكر وعمر رغم شهادة النبي عليه السّلام بالأفضليّة لغيرهما. جاء في رسالة أئمة الإباضية بالمشرق للإمام عبد الوهاب بن رستم ومن معه: " وما ذكرتم من تولية رجل وفي جماعة المسلمين من هو أعلم منه فذلك جائز إذا كان في القناعة والفضل بمنزلة حسنة. وقد ولي أبو بكر الصّديق ﷺ، وزيد بن ثابت أفرض منه، وعلي بن أبي طالب أقضى منه، ومعاذ بن جبل ﷺ أعلم منه. وهذا ليس فيه خلاف لقول رسول الله ﷺ «أفرضكم زيد، وأقضاكم علي وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل» وقوله ﷺ: "معاذ بن جبل سيد العلماء. فإنه سيحشر غدا يوم القيامة أمام العلماء ببنده ". أبو زكرياء: السيرة ٩٤.

٦ـ اختيـــار الإمـــام

تشابهت الرّوايات الواردة عن اختيار الإمام وملخّصها يتمثّل في أنّه حال وفاة الإمام القائم أو خلعه تجري المشاورات بين أهل الحلّ والعقد في اختيار الإمام المناسب حسب الشّروط المعروفة وغالبا ما يقع اختياره وتنصيبه في نفس اليوم الذي يتوفّى فيه الإمام السّابق وذاك حتّى لا تبقى الأمّة بدون إمام وقد تطول مدّة المشاورات.

وقياسا على مجلس الشّورى الذي عيّنه عمر لا يعتبر الإمام متّفقا عليه إلاّ إذا تحصّل على موافقة ستّة من أهل الحل والعقد وقد يكتفون بخمسة[١].

هنالك تتمّ المراسم التّالية :

" وإذا أراد المسلمون عقد الإمامة للإمام حضر العلماء الثقاة، فيتقدم أفضلهم ويمدّ يده اليمنى فيصافح بها الإمام بيده اليمنى فيمسكها.

- ثم يقول: قد بايعتك على طاعة الله وطاعة رسوله محمد ﷺ، وعلى الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله.

فيقول الإمام: نعم. ثم يقال ذلك الثّاني والثّالث إلى السّبعة وما كان أكثر كان أفضل.

- ثم يجعل الكمّة على رأسه، والخاتم بيده، وينصب العلم بحذائه[٢]."

---

(١) هؤلاء الستة هم: سعد بن أبي وقّاص. علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، عبد الرحمان بن عوف. الزّبير بن العوام، طلحة بن عبيد الله. انظر في شأن هذه الروايات عن اختيار الإمام بداية بيعة كلّ واحد منهم في كتب التاريخ العماني. السّالمي: التّحفة مثلا.

(٢) المصنف: ٣/٩٣.

- **ويحدّد نوع الإمامة : ظهورا أو شراء أو دفاعا.** ثم يصافحه البقية، وبعد ذلك تؤخذ البيعة العامّة في المسجد الجامع إثر فريضة.

٧ـ خلــع الإمــام

أبو قحطان : "واجتمعت الأمّة على تحريم عزل أئمّتها من فرق الأمة، من لم ير عزلها ولا قتالها، جارت أو عدلت، ودان لها بالسّمع والطّاعة كما فعلت.

وأمّا أهل هذه الدّعوة التي فرقوا بها عمّن ضلّ عنها، فإنهم وافقوا الأمة في تحريم عزلها، إذا عدلت، وخالفوهم فيها **إذا جارت وبدّلت.**

فقول: ليس للرعيّة أن تخلع إمامها، ولا للإمام الشّاري أن يخلع نفسه إلاّ بإحدى العاهات التي يأتي ذكرها.

وقول : إنّ ممّا يعزل به إذا ركب معصية مكفّرة من الكبائر المكفرات، وشهر ذلك في أهل الدّار، كان عليهم أن يستتيبوه في حدثه، فإن تاب رجع إلى إمامته وولايته معهم.

قال غيره : "فإن أصرّ ولم يتب من حدثه ذلك. كان للمسلمين عزله، فإن كره أن يتوب ويعتزل، حل دمه وجهاده، فإن تاب، قال قائلون من المسلمين: قد قبلنا توبتك، ولا نرضى بك إماما فاعتزِلْ فكره فأرادوا جهاده، فليس لهم ذلك، فإن فعلوا ذلك به، فأرى أنَ يكون المسلمون معه ولا يسلمونه، ومن قاتله على هذا فهو باغ"[١].

وجاء في المصنّف أيضا: "ليس للإمام أن يخلع نفسه ولا للرعية أن تخلع إمامها بغير حدث"[٢].

---

(١) ن.م: ٢١٥.
(٢) ن.م: ٢٢٩.

II- مؤسّسات الإمامة

- تمهيد :

يقول غباش: " **للدولة عموما مفهومان متميّزان :**

الأوّل: هو مفهوم الدّولة التّاريخي والتّقليدي.

والثّاني: هو مفهوم الدّولة الحديثة بالمعنى الحقوقي والدّستوري كما ظهرت مع بداية القرن السادس عشر ميلاديّا.

الدّولة الإباضية دولة الإمامة تأخذ استثنائيا من المفهومين، فعلى الرّغم من أنّ مؤسّساتها لا تعمل، مثلا بموجب نصوص دستورية، أو قوانين مكتوبة فإنّها، مع ذلك، تقوم وتعمل طبقا لقواعد دستورية وأعراف تقليدية بل شبه مقدّسة لا يمكن تجاوزها واختراقها، ولقد ضمنت هذه المؤسسة، كما هي، عبر قرون الاستقرار والأمن الاجتماعي، كما ضمنت علاقات انسجام وتعاون بين الشّعب وحكامه، وأكثر من ذلك فقد ضمنت هذه المؤسّسات دوام نظام الإمامة واستمراره لأكثر من ألف عام" [١].

وتتمثل هذه المؤسسات في ما يلي [٢]:

١- العلمـــاء والمجالـــس

أ- مجلس أهل الحلّ والعقد : يتكوّن من ١٥ عضوا يزيد عددهم

---

(١) غباش: عمان ٧٨.

(٢) استنتج هذا المبحث من كتاب المصنف ج١٠ من جهة ومن التطبيقات العملية لسير الأئمة كما ورد في السير العمانية وفي كتب التاريخ العماني والمغربي. الكشف. الفتح. التحفة. الطّبقات. السّير. إلخ... وقد أحسن غباش استغلال هذه النصوص لصياغة هذا المبحث في كتابه عمان: ص ٧٨-٨٥.

وينقص فلا يكون دون الخمسة من علماء البلاد. يمثّلون السّلطة التشريعية العليا والمرجع الحقوقي والمذهبي والسّياسي.

وظيفتهم: انتخاب الإمام وخلعه والاحتساب عليه وعلى الأمّة.

ب- **المجلس العام**: أعضاء مجلس الشّورى مع الولاة ورؤساء القبائل، يلجأ إليه الإمام عند الضّرورة.

٢- لم يقع الحديث عن **الوزارة** في المشرق وإن كانت إمامة المغرب عرفت هذه الخطّة بشكل واضح[١].

٣- **الولاّة**: يعيّنهم الإمام في المناطق حسب الضّرورة ووظيفتهم الإشراف على مصالح الأمّة وربطها بمركز الإمامة، وفي إمكان الأمّة رفض الوالي المعيّن من قبل الإمام والطّلب بتعيين آخر.

- يستعين الوالي بوجهاء محلّيين وعلماء ورؤساء قبائل قد ينضمّون في مجلس يساعد الوالي على أداء مهامه.

٤- **القضـــاة** :

- يختار الإمام القضاة من خيرة العلماء.

- يتمتّع القاضي باستقلال تام في اتّخاذ أحكامه.

- ينظر في القضايا بين الأفراد بما فيهم الإمام.

---

(١) راجع عدّون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش ١٢٣٦-١٣٣٢/١٨١٨-١٩١٤. جمعية التّراث، القرارة الجزائر. "الوزير في الإمامة الإباضية هو المستشار للإمام ومساعده وناصحه... وقد لا يقدر الوزير الواحد على هذه الأعباء فللإمام أن يتخذ أكثر من وزير واحد إن احتاج إليه "ص ٢١٨-٢٢٠. والراجح أن العلماء وأهل الحل والعقد هم الذين يقومون بهذا الدور دون أن يستوزروا فيما نعلم.

وقد يكون قاضي العاصمة بمثابة قاضي القضاة تستأنف عنده القضايا وتعقّب.

٥- بيت المال :

مصادره: - الزّكاة.

- رسوم على الصّادرات.
- ضريبة تفرض على التّجّار غير المسلمين.
- الغنائم.

النّفقات: يشرف عليها الإمام ولأهل الحلّ والعقد الاحتساب عليه.

٦- الجيش :

لم تتّخذ الإمامة جيشا نظاميّا وإنّما هو التّطوّع. جاء في المصنّف:" إذا ثبتت الإمامة للإمام وقام بالحقّ فعليهم (أي رعاياه) إجابته إذا دعاهم ونصرته إذا استنصرهم"[١].

٧- العلاقات الخارجية :

لقد اختار الإباضية عن وعي مبدأ القعود في انتظار القدرة على إقامة إمامة الظهور.

فعندما أقاموا إماماتهم أقرّوا مبدأ حسن الجوار، فلا هجوم ولا حرب ضدّ طرف آخر ما لم تتعرّض الإمامة للهجوم.

وعلى الإمام نشر الدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان ذلك عن

---

(١) المصنف: ١٢٧/٣.

طريق رحلة العلماء وحركة التّجّار فوصل الفكر الإباضيّ إلى شرقي إفريقيا وإلى الهند وما بعدها وإلى شمال إفريقيا و جنوب الصحراء الكبرى.

وقد استمرّت علاقة هؤلاء الأئمّة بين البلدان، ونذكر خاصة العلاقة مع شمال إفريقيا[١] وتتمّ خاصّة عن طريق المراسلات واللقاء في موسم الحج وتبادل الزيارات، وقد بيّنّا كيف يتفاعل كلّ طرف بما يقع عند الطرف الآخر[٢].

وبهذا نتبيّن أنّ مؤسّسة الإمامة مؤسّسة روحيّة زمنيّة، يبقى الإمام على رأسها ما أطاع الله ورسوله فتعينه الأمّة وينعم الجميع بالازدهار، أمّا إن خالف أمر الله فلا سمع ولا طاعة ويبدأ الاضطراب، وقد عرفت الإمامة في عمان في القرون الأربعة الأولى مرحلتي ازدهار عرفت بالإمامة الأولى والإمامة الثانية، وعرفت مرحلة انحطاط شهدت فيها البلاد حروبا أهلية وتبعيّة للدولة العباسية عرفت فيها من الضيم الكثير. كما عرفت ازدهارا زمن قوّة الإمامة الرّسميّة بالمغرب ثمّ تداعت للانهيار فتبعتها محاولات لإحياء إمامة الظّهور انتهت بالفشل فتبعها تبنّي إمامة الكتمان.

وبالوقوف عند هذا الجانب النّظري نصل إلى خاتمة بحثنا.

---

(١) عمان في التّاريخ: ثمرة ندوة عقدت بعمان. ط لندن ١٩٩٩. ص ٢١٥-٢٣١. والبحث من تأليفنا.

(٢) ن.م: خاصة ص ٢٢٢.

الخـاتمـة

إن الإباضية كغيرهم من الفرق الإسلامية تنطلق تجربتهم السّياسيّة من النّصوص المؤصّلة للفكر الإسلامي عامّة وهي القرآن والسنة يضيفون إليهما الإجماع والقياس عند غياب النّصّ.

ومعلوم أنّ هذه النّصوص تفهم بالاعتماد على التّجربة النبوية، ذاك أنّنا نعتبر أن الرسول عليه السلام هو مؤصل الفكر السّياسي عند المسلمين باعتماد مبدأ الشورى وعقد العقود مع المتعايشين في المدينة مسلمين وأهل كتاب وغيرهم، وإقامة معاهدات أو حروب مع من هم خارج المحيط الذي ترجع قيادته إلى الرّسول عليه السّلام.

فدولة الإسلام بدأت مع الرّسول عليه السّلام لا كما يريد البعض أنّها بدأت بخلافة أبي بكر.

والفكر السّياسي عند الإباضية يكرع إلى جانب التّجربة النّبوية من تجربة الشّيخين والستّ سنوات الأولى من خلافة عثمان ومرحلة إمامة علي قبل قبول التّحكيم.

ولقد خلصت التجربة الإباضية لذاتها من مطلع العقد السّادس من القرن الأوّل حيث أعلن إمامها عبد الله بن إباض القعود، عند انقسام المحكّمة، مع المحافظـــة على الأصل المشترك المتمثل في أن لا حكم

إلاّ لله وهي كلمة حقّ أريد بها حقّ، وفي أنّ الإمامة شورى بين المسلمين يتولاّها من توفّرت فيه شروطها بقطع النّظر عن لونه وعرقه.

فجذور هذا الفكر السّياسي حينئذ ضاربة في عمق الفكر الإسلامي من منطلقه.

وفي حلقات الإمام جابر وأبي عبيدة والربيع تبلور ما سمّي بمسالك الدين من ظهور وكتمان وشراء ودفاع ممّا دلّ على مرونة هذا الفكر السّياسي وزمنيته ومراعاته لأحوال الجماعة الإباضية وأحوال بقية الجماعات الإسلامية.

وقد ثبت مع الزمن أن لكلّ مسلك أحكامه الخاصّة به وذلك عن طريق الممارسة العمليّة، وكثيرا ما يتداخل النّظري مع العملي إلاّ أنّ التّنظير يكون غالبا تابعا للعملي في المرحلة الأولى، ثم العكس بعد ذلك.

وقد مرّت التّجربة السياسية الإباضية بهذه المسالك كلّها في المشرق والمغرب قبل أن تدخل في المشرق إلى الكتمان من مطلع القرن الرابع/ ١٠م تقريبا، لتعود إلى الظّهور بعد قرون، وقبل أن تدخل إلى الكتمان بصورة نهائية في المغرب لتكرّس النظام الداخلي أي نظام الحلقة أو نظام العزّابة الذي يستمدّ أصوله من سيرة الرسول عليه السلام قبل الجهر بالدعوة، ومن حلقات الإمام جابر والإمام أبي عبيدة طيلة نصف قرن تقريبا في البصرة زمن الدّولة الأمويّة ثم العباسية.

وفعلا لقد عرف طرفا المدرسة الإباضية ضربتين موجعتين لم تدفعهما إلى الاستسلام والذّوبان، وإنّما دفعتهما إلى مسلك مشروع في المذهب هو مسلك الكتمان تمكّن المشارقة من الخروج منه بعد حين ولم يتمكّن المغاربة إلاّ من تجذيره للمحافظة على الكيان.

وهاتان الضربتان هما :

١- استيلاء العبّاسيين على عاصمة الإمامة العمانية نزوى على يدي قائدهم محمد بن بور ٢٨٠/٨٩٣.

٢- واقعة مانو ٢٨٣/٨٩٦ تلك التي تمكّن فيها الأغالبة من سحق إباضيّة نفوسة المدد الأساسي للدّولة الرّستمية فتبعها بعد عقد من الزّمن سقوط الإمامة نفسها على يد الشيعة سنة ٢٩٦/٩٠٨.

وهنا يحسن أن نبدي بعض الملاحظات حول هذه الإمامات الإباضية في المشرق والمغرب ملحّين خاصّة على العوامل التي تمكّن من نشأتها وازدهارها وانحطاطها ثم فنائها ونجملها في ما يلي:

عامل خارجي: يتجلى خاصة عند نشأة الدّولة ويتمثّل خاصّة في تداعي الدّولة السّابقة إلى الانهيار، أو وجود فراغ في المحيط الذي تولد فيه الدّولة الجديدة.

ويتجلّى هذا في سعي الإباضية حثيثا إلى إقامة إمامتهم عندما تداعت الدّولة الأمويّة إلى السّقوط لكنّهم لم يتمكّنوا من تحقيق الأمل المنشود، وإنّما آزروا بذلك بطريقة غير مباشرة الدولة العباسية الناشئة لأنها دولة طلب مؤسسوها الملك وجهّزوا له العدة الكاملة وأساسها سياسة دهاء وجيش مرتزق.

وبما أنّ الأمل لم يتحقّق مع إمامة طالب الحقّ حوّلوها إلى إمامة جزئيّة وأجازوا قيام إمامين إذا كانا في قطرين متباعدين على أنّه لا يحقّ لأيّ منهما أن يدّعي إمرة المؤمنين إلاّ إذا خضعت له الأمّة كلّها كما كان الشّأن مع أمير المؤمنين عمر.

وبذلك أقاموا إمامة الجلندي في عمان ثم إمامة أبي الخطّاب في طرابلس لكن كلا من هاتين الإمامتين لم تتمكّن من الصّمود أمام الدّولة العبّاسيّة النّاشئة وهي في عنفوان صلفها فكانت حيل قوّادها العسكريّة سببا في الانتصار.

وهكذا شهد الطّرفان عودة مؤقّتة إلى الكتمان وتحيّن الفرصة المناسبة فكانت تقريبا في نفس الفترة في العقد السّابع من القرن الثّاني/٨م مع **محمد بن أبي عفان** وهو منطلق ما يعرف بالإمامة الثّانية في عمان في نزوى ومع **عبد الرّحمان بن رستم** في المغرب الأوسط بتاهرت حيث أعلن كل منهما إمامة الظّهور، وقد كانت السّلطة العبّاسيّة غير قادرة على المجابهة، فكان للعامل الخارجي حينئذ دوره الفعّال إلى جانب عوامل أخرى.

لقد عمّرت كلّ من الإمامتين زيادة على القرن ومرجع ذلك إلى ما يلي:

أ- **قوة شخصية الإمام وصلاحه**: وقد تجلّى هذا في سيرة **الوارث وغسان وعبد الملك والمهنّا والصّلت** (قبل ثلاث سنوات من وفاته) في عمان **وعبد الرحمان وعبد الوهاب وأفلح ثمّ اليقظان** في تاهرت.

وهذا بقطع النّظر عن الاختلاف بين الإمامتين فإن كانت الإمامة العمانية شورية غير سلاليّة بأتمّ معنى الكلمة وكانت الإمامة المغربيّة شورية يبدو عليها الطّابع السّلالي في الظّاهر وإن كان الواقع غير ذلك كما بيّنا من قبل[1].

ونتّخذ هذا دليلا على أنّ الجانب الوراثي ليس هو السبب الرئيسي في

---

(١) انظر ما سبق ص ١٧٥ و ما يليها.

تداعي الدّولة وإن كان له بعض الدّور في ذلك خاصّة إذا آل الأمر إلى صبيّ أو فاسق.

فهذه الإمامة العمانية الثانية لم تكن سلاليّة قطّ ومع ذلك تداعت إلى الانهيار مع إمامها الخامس إنّها شبيهة في هذا بالخلافة الرّاشدة في تداعيها للانهيار بسبب شيخوخة الخليفة **عثمان** فتجاذبت أطراف أخرى أحوال القيادة وتدرّجت بها شيئا فشيئا نحو الفتنة وكذا كان الأمر بالنّسبة إلى الصّلت فقد كان طيلة عقود غاية في العزم، لكنّ تقدّم سنّه جعل أهل الحلّ والعقد يختلفون في شأنه، ومن هنالك اشتعل فتيل الفتنة.

وهنا تغلب نظرية ابن خلدون التي تشبه أعمار الدّول بعمر الإنسان فإذا تقدّمت سنّ الدّولة حتّى وإن كانت إمامة عادلة يدبّ إليها الوهن شيئا فشيئا لتتدرّج إلى الفناء[1].

ومن المفروض أنّ إمامة كهذه غير وراثيّة مثل الخلافة الرّاشدة ألاّ يدبّ إليها الوهن.

ب- العلاقة بين الإمام وأهل الحلّ والعقد

لقد بينت التجربتان أنّ المرحلة الأولى من قيام الإمامتين شهدت حركة علمية غاية في النّضج كانت مخلصة للأئمّة تحتسب عليهم لتؤازرهم لا لترهقهم.

---

(١) ابن خلدون المقدمة: الباب الثالث من الكتاب الأوّل: الفصل الرابع عشر: في أنّ الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص ص ٣٠٠-٣٠٤. " فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التّزيّد إلى سنّ الوقوف، ثم إلى سنّ الرجوع. ولهذا يجري على ألسنة الناس في المشهور أن عمر الدّولة مائة سنة، وهذا معناه فاعتبره" ٣٠٣. وهذا ينطبق عمليا على الدولة الرّستمية والإمامة الثانية في عمان إذ تداعت كلّ منهما إلى الانهيار بعد مائة سنة.

ثم تقلّص شيئا فشيئا هذا الجيل ليحلّ محلّه جيل آخر يحتسب على الأئمة ليلتقط سقطاهم، والقضيّة في عمان سال في شأنها مداد ومداد ذلك أنّها استقرت عمّا يعرف **بالرّستاقيّة والنّزوانيّة**. وكذلك الأمر في تاهرت حيث انتهت الطبقة الأولى التي نشأت على البداوة والتفاني وحلّت محلّها طبقة أخرى فعلت الحضارة فيها أفاعيلها وقصّة **ابن عرفة** في هذا معروفة[1].

ج- أمّا إذا دبّ الهرم للدولة فإنّها تتظافر عليها **العوامل الداخليّة** التي ذكرناها مع عوامل أخرى عصبية واجتماعية واقتصادية لتتحول بها إلى الفناء.

د- وهنا يأتي **العامل الخارجي** وهو العنصر الذي يتربّص لهذه الدّولة ليجهز عليها وكذا كان العنصر الشّيعي بالنسبة إلى الإمامة الرّستميّة والعنصر العبّاسي مرّة أخرى بالنّسبة إلى الإمامة العمانية الثّانية.

هـ- وفي الأخير لا ينبغي أن نغفل عن عنصر آخر بالنّسبة إلى الإمامتين الإباضيتين وهو اعتمادهما على **المتطوّعين** في حروبهما، فهذا العامل بقدر ما يكون عنصر قوة في البداية وزمن الازدهار يكون عامل ضعف في مرحلة قرب الانهيار إذ ينادي المنادي فلا مجيب، فيجد العدوّ الساحة فارغة فيفعل فعله.

وبعد هذه التّأملات التي حاولنا أن نبيّن فيها أهمّ العوامل التي تؤثّر في سيرورة الدّول نشأة وازدهارا ثم انحدارا وفناء رأينا من المفيد أن نورد ملحقا يبرز أهمّ الأصول السّياسيّة عند الإباضية ليدرك القارئ حقيقة هذه المبادئ وعراقتها ومرونتها.

---

(١) ر. ابن الصغير: أخبار الأئمّة الرّستميين.

وفي الختام يجدر أن نلاحظ أنّ هؤلاء الذين مارسوا السّياسة إنّما كانوا فقهاء وعلماء وكان إلى جانبهم علماء آخرون تمحّضوا للنّظر والتّأليف فلنجتهد في تقييم ما خلّفوه من رصيد فكريّ.

الخـــاتمة العامة

يسّر الله تعالى تحرير هذه الدراسة المتواضعة عن التجربة السياسية عند الإباضية – مرحلة النشأة زمن الاستبداد بتونسنا الأبية، وقد عرض على لجنة الارتقاء - مع أعمال أخرى – إلى درجة أستاذ تعليم عال بالجامعة التونسية، ولولا حرّية اللجان العلمية بجامعتنا المتحرّرة من القيود السياسية المدمّرة والمتمسكة بالموضوعية العلمية الثابتة لزج بنا في غياهب السّجون، وما ذلك إلا من فضل الله تعالى.

وقد عرضنا على عديد من دور النشر في بلادنا وغيرها آنذاك –يعني قبل ١٤ جانفي ٢٠١١ فلن نلق إلا الإعراض والتعبير عن الخوف من عواقب هذا النشر.

وها هي نسمات الحرية تهبّ على تونسنا بأطيب الرياحين وإن كان كثير من أهل بلادي تونس –سامحهم الله- فهموا أنّ الحرية تهوّر وتنمّر واعتصام وإضراب، عوض أن يعوا دلالتها الإيمانية الفلسفية على أنها حقوق وواجبات والتزام بأعلى القيم الإسلامية الانسانية.

لذلك نغتنم هذه الفرصة التاريخية الغالية لننشر هذه الدراسة الّتي ألينا الجهد أن تكون قيمة وأقرب ما يكون إلى الموضوعية الإيمانية العلمية الراسخة ولا ندعي في ذلك الكمال لأنّ الكمال لله تعالى والعصمة لأنبيائه

ورسله عليهم السّلام، بل هو عمل انساني قد يكون صوابا يحتمل الخطأ أو خطأ يحتمل الصواب، وهي قاعدة إنسانية نرجو أن تكون أساس كل حوار بين الأنا والآخر أو الآخر والأنام هما كان هذا الأنا ومهما كان هذا الآخر.

ولا أريد أن أطيل في هذه الخاتمة حتى لا أقع في التكرار لأنني أعتقد أنّي لم ألو جهدا في جوهر النصّ وفي مقدّمته في عرض تجربة أئمتنا الأول معاشر أهل الحق والاستقامة –الإباضية- هؤلاء الأئمة الّذين نصب أعينهم وهم يمارسون السياسة بكل مداخلها، زمن خلافتين اسلاميتين الأموية والعباسية شهد عليهما عبد الرحمان بن خلدون في عبره بأنهما من قبل الملك العضوض لا من قبل الخلافة الراشدة مستثنيا منها عمر بن عبد العزيز الذي أغتيل مسموما بخروجه عن قاعدة الخلافتين.

دولة الرسول عليه السّلام، ولا عبرة عندنا بتفكير بعض من أبناء تونسنا الماديين بأنه عليه السلام لم يؤسس دولة، لأن من أبناء تونسنا أيضا من نفس التيار المادي يقرّ بأنه عليه السلام أسس دولة قمّة في العدل والرقي الحضاري، ودولة العمرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وستّ من خلافة عثمان وخلافة الإمام علي قبل أن يقبل التحكيم.

وإني لأعتقد أنّ هؤلاء الأئمة وفقوا بقدر الإمكان البشري المخلص - الذي لا يخلو من زلل بشري مهما كان- في إقامة إمامات بالمشرق -اليمن وعمان- والمغرب –طرابلس وتاهرت بالمغرب الأوسط، الجزائر حاليا، التزم أئمتها المبايعون بيعة شورى صارمة بسياسة إسلامية عادلة ديدن الإمام فيها السهر على أفراد الرعية سهر عمر بن الخطاب احتسابا لله تعالى فلا قصر ولا أبهة.

كما التزمت مجالس الحل والعقد فيها بالتشريع والاحتساب على

الإمام ومن معه من أعوان بحيث لا تخفى عليهم الكبيرة والصغيرة والوقائع في هذه كثيرة تزخر بها كتب السير والطبقات.

أمّا الوزراء والولاة والقضاء والحراس فحدّث عن حرصهم بملء فيك وإن كان لم يخل البعض من الانحراف لكن الرّعية له بالمرصاد، إنها الولاية والبراءة ثم الحدود التي أقرتها النصوص المؤسسة قرآنا وستة وما تبعها من رأي والمدرسة الإباضية في كل أحوال تجمع بين العقل والنقل لا تغلب هذا على ذاك وكل طرف سند للآخر والعلاقة الجدلية بينها انتجت وسطية يشهد لها من سافن علمائها عبر الزمن في كل فنون العلوم الإسلامية لأنها نصوص لم يؤجر عليها أصحابها ولم تكتب لأصحاب القصور وإنما كتبت للأمّة قاطبة وللأمّة وللأئمة أيضا الذين كانوا يخشون عذاب القبور وهم يعتقدون جميعا أن من يموت مرتكبا للكبائر غارقا في غيّه وأي كبير كبير أشدّ من ظلم العباد مخلّد في جهنّم وبئس المصير وذلك من عدل الله المطلق.

وتبعا لذلك لم يكن من الأمة إلاّ أن تكون الأمّة المثال ولا أقول المثالية، تعتقد أنّ الإيمان عقيدة بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان أطاعت أمر أئمتها ما أطاعوا الله فيها عرفت بلادهم ازدهارا سياسيا واجتماعيا وتعليميا واقتصاديا، وعن التعليم فحدث ولا حرج لأنّه ورد في كتب السير والطبقات أنّ أهمّ القرى أدركت ألا تحتاج أسرة إلى أخرى في الفتوى، وهذا مستوى لعمري لا يدرك إلا بالتناغم بين الإمام ومن معه وأفراد الرعية ضمن منظومة يسودها الاحتكام إلى الله ورسوله.

وقد مكنتنا هذه التجربة الفريدة من نوعها في اليمن وعمان مشرقا وطرابلس وتاهرت مغربا من أن ننظر لها الأمر الذي به اعتنى بعض علماء

المذهب كصاحب المصنف في جزء كامل من كتابه، حتى توضح للقارئ الكريم أنّ هؤلاء الأئمة ساسوا البلاد والعباد سياسة شرعية واضحة المعالم وإن لم تكن لهم نصوص قانونية لأنّ الخطّ الفاصل وبين أفراد الرعية قال تعالى وقال عليه السلام وإعمال الرأي فيما يجب أن يعمل فيه الرأي.

ولا أريد أن أكرر عناصر التنظير فهي واردة قبل هذه الخاتمة وإنما نقول إننا بذلنا كل ما في وسعنا بأن نكون أمناء بقدر الإمكان في الربط بين التجربة العملية والتنظير، ونرجو أن لا نكون قد جانبنا الصواب.

وفي آخر المطاف أترك للقارئ الكريم أن يجتهد معي في النظر في أعمال الإمامات وعوامل الازدهار فيها والعوامل المؤدية إلى الانحطاط والفناء، وبين يديه نظرية ابن خلدون التي تشبه أعمار الدول بأعمار البشر : صغر فشباب فكهولة فشيخوخة فهرم ففناء.

هكذا كان الأمر بالنسبة إلى الإمامتين الأولى والثانية بعمان وكذلك إمامة طرابلس وعمرها قصير أربع سنوات والإمامة الرّستمية بتاهرت بالمغرب الأوسط، ولعلني أضيف أمرا هو أنّ فناء الدول لا تسهله الدول السلالية كما يعتقد كثير من الباحثين وإن كان لها دور في ذلك وإنّما هي أمور أخرى تتشابك لأنني ألححت على أنّ الإمامة الرّستمية ليست سلالية بالمعنى المعروف عند الأمويين والعباسيين وغيرهم وإن كانت فيها رائحة الوراثة، إن أقررنا بهذا فماذا نقول عن الإمامة الثانية بعمان فلا توجد رائحة علاقة نسب عند أئمتها لكنها انتهت بالانحلال والفناء.

لعلّ نظيف عاملا آخر يحتاج إلى من ينظر في بإمعان وهو شخصية الإمام ذاته فانظر إلى ابن العزيز في سنة ونيف استطاع أن يرجع الأمر إلى نصابه بشهادة القاصي والداني بمن فيهم الإباضية لأنهم أوفدوا إليه وفدهم

وأقروا خلافته رغم أنها وراثية لأنها خلافة عادلة واتفقوا وإياه على أن يحيي كل يوم ويميت بدعة وعلى أن يحذف لعن الإمام علي من على المنابر في خطبة الجمعة ويعوض ذلك بقوله تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل آية ٩٠).

وانتظر في التجربة العمانية الثانية إمامة الصلت بن مالك الخروصي ذلك أنه لما كان في أوج مداركه وعطائه كانت الإمامة معه على أحسن حال وعندما داهمته الشيخوخة انقسم أهل الحل والعقد.

وانطلقت سلسلة من الفتن أفضت إلى تغلّب الدولة العباسية على الإمامة بعمّان[1].

(١) ر. كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمة. مصنّف مجهول، تحقيق ودراسة وتعليق، إعداد أحمد عبيدلي، دلمون للنشر، قبرص، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م، ص ٢٦٤ - ٢٧٥.

ملحق
أهم الأصول السياسية عند الإباضية

من أصولهم في العلاقات السياسية :

العلاقات السياسية بين الإباضية أنفسهم وبينهم وبين غيرهم تجمعها كلمة رائعة جاءت في خطبة "أبي حمزة المختار بن عوف" وهي قولة: "الناس منّا ونحن منهم، إلاّ مشركا عابد وثن، أو كافرا من أهل الكتاب، أو ملكا جبارا مقيما على جوره) ويمكن تفصيل ذلك باختصار في فقرتين :

الفقرة الأولى : العلاقة بين الأفراد والدولة

أ- إذا كانت الدولة ملتزمة بالمذهب الإباضي فإن معاملتها لمن يكون تحت سلطانها من مخالفيها تجري على النحو التالي :

١. تدعوهم بالحسنى إلى ترك ما خالفوا فيه (ما به ضلوا) فإن استجابوا صاروا منها وصارت منهم، وإن امتنعوا دعتهم إلى أن تجرى عليهم حكم الله تعالى من دفع الحقوق، والخضوع لواجب الأحكام، فإن استجابوا تركوا على ما هم عليه، ووجب لهم من الحقوق والأحكام ما يجب لبقية المواطنين من أهل مذهبها.

٢. يسعهم جميعا العدل كما يسع غيرهم.

٣. لهم حقوقهم من الفيء والغنائم والصدقات على وجوهها.

٤. لهم على الدولة دفع الظلم عنهم كما يجب لسائر المسلمين.

٥. لهم عليها حق الحماية في النفس والمال والأهل.

٦. إذا اشتركوا معها في الغزو فلهم سهامهم كما لغيرهم.

٧. لهم أن يتولوا جميع المناصب والأعمال في الدولة حسب كفاءاتهم ومؤهلاتهم مثل غيرهم.

٨. من امتنع منهم مما وجب عليه من الحقوق أدب بما يردعه ويردّه إلى سواء السبيل.

٩. من أظهر الفتنة ودعا إليها وتجاوز ذلك إلى العمل جاز قتاله وحل سفك دمه.

١٠. إذا اعترفوا بسلطان الدولة ثم انفردوا ببلادهم وأجروا فيها أحكامهم، تركوا على ذلك (ما دام يجري على أسلوب القضاة كلهم) ما لم يكن رد لآية محكمة أو سنة قائمة.

١١. يختار منهم من يقضي بينهم، ويقوم بواجب الحقوق عليهم ولهم ويسمع قوله في ذلك ما دام يجري على أسلوب القضاة كلهم.

١٢. يؤخذ منهم كل ما يجب من الحقوق ويرد في فقرائهم وذوي الحاجة منهم.

١٣. إن اتهمتهم الدولة بحركة عصيان اعذرت إليهم.

١٤. لا تتركهم يظهرون منكرا بين الناس إذا كان ذلك منكرا عندهم أيضا.

ب- إذا كانت الدولة ملتزمة بغير المذهب الإباضي فإن الإباضية الذين يكونون تحت سلطانها يجري تعاملهم معها على النحو التالي :

١. يشتركون معها في الغزو والجهاد والقتال لجميع المشركين هجوما ودفاعا.

٢. يقومون معها بالدفاع عن الوطن ولو كان المهاجمون دولا إسلامية، ما لم تكن الإمامة الشرعية العادلة.

٣. لهم أن يتولوا جميع الأعمال ما لم تكن فيها مساعدة على إبطال حق أو إظهار معصية.

٤. يجوز لمن يأنس منهم في نفسه قوة، ولا يخشى أن يستغل أن يتولّى أعمال القضاء والإدارة أو أي عمل آخر بشرط أن لا ينجر إلى ارتكاب محظور.

٥. لهم أن يتولوا جميع الأعمال التي لا تتعلق بها حقوق كأمور المساجد والمدارس والصحّة وما شابهها.

٦. إذا كلف أحدهم بأي عمل فيه إقامة حد من حدود الله، فعليه أن يقوم به إذا تأكّد أنّ ذلك حق.

٧. لا تجوز طاعة الحاكم في معصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٨. تسري عليهم جميع الأحكام، وتترتب لهم وعليهم جميع

الحقوق الصادرة بمقتضى أقوال فقهية معمول بها في مذهب الدولة ولو كانت مخالفة لمذهبهم.

٩. ما يترتب من حقوق على أحكام صدرت وفق مذهب الدولة لا يسقط ولو تغيرت الدولة.

١٠. النظر – في تعاون مع الدولة – إلى العدالة والتزام أحكام الإسلام لا إلى المذهب.

أكثر الشروط والاحترازات السابقة واردة عندما تكون الدولة حائزة، اما إذا كانت عادلة متمسكة بأي مذهب فعلى المواطنين – وان اختلفوا معها في المذهب – أن يتعاملوا معها في جميع المرافق دون تحرز.

الفقرة الثانية : العلاقة بين الأفراد

نستطيع أن نلخّص العلاقات بين الأفراد فيما يلي :

١. حقوق الوالدين، وذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وأبناء السبيل، والصاحب، والجار – واجبة – أبرارا كانوا أو فجارا، موافقين كانوا أو مخالفين.

٢. الأمانة يجب أداؤها إلى أصحابها موافقين كانوا أو مخالفين.

٣. الوفاء بالعهد واجب للجميع.

٤. من استجار بهم وجبت إجارته موافقا أو مخالفا.

٥. الكاف عن القتال المعتزل بسيفه له عليهم حق الأمن وتوفير الحماية.

٦. النكاح والميراث، والمساجد، والإمامة في الصلاة، والصلاة على موتى المسلمين، وغسلهم وتكفينهم، ودفنهم، والذبائح، والمقابر، هذه كلها حقوق ومرافق يشترك فيها جميع أهل القبلة دون نظر إلى مذاهبهم وان اختلفت في الفروع أو في بعض الأصول.

٧. من حل دمه من المسلمين – سواء كان بحد من حدود الله أو لبغي على الدولة القائمة أو بفتنة بين دول المسلمين – لا يحل غنيمة ماله، ولا سبي نسائه وقتل أطفاله ولا قطع الميراث عنه.

٨. لا يحل الفتك بالمخالف ولا يجوز اغتيال الخصوم.

٩. لا يحل لأحد قذف أحد من أهل القبلة وهو يعلم براءته.

١٠. لا يحل فرج امرأة متزوجة على كتاب الله وسنة رسوله حتى يطلقها زوجها أو يتوفى عنها ثم تعتد عدة الطلاق أو عدة الوفاة.

١١. لا هجرة بعد الفتح ولا يجوز الخروج من دار المخالفين إلى دار الموافقين باعتقاد الهجرة.

١٢. الولاية (وهي الحب في الله) حق لكل مؤمن موف بدين الله.

١٣. البراءة (وهي البغض في الله) واجب على كل مؤمن إزاء كل عدو لله من مشرك وكافر ومصر على المعصية.

١٤. الولاية لأهلها من اللذين سبقونا في الزمن تثبت بشهادة المسلمين العدول وكذلك البراءة.

١٥. الولاية والبراءة للمنصوص عليه واجبة.

١٦. مرتكب الكبيرة ليس مشركا فلا تجوز معاملته معاملة المشركين وإنّما هو مسلم له كل حقوق المسلمين ما عدا الاستغفار مادام مصرا ولم يتب.

١٧. مخالفوهم في المذهب ليسوا كفارا وإنما هم مسلمون لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات مثل ما على صاحب المذهب نفسه إلا في شيء واحد وهو الاستغفار فإنه لا يكون إلا للموفي من أهل المذهب.

١٨. الأحوال الشخصية من نكاح وطلاق وحضانة ونفقة تجري بينهم وبين مخالفيهم حسب الأصول الفقهية المعروفة ومقتضيات العرف فيما يرجع فيه إلى العرف.

١٩. لا يجوز الجمع بين امرأة وعمتها والمرأة وخالتها.

٢٠. الزاني والزانية المحصنان حدهما الرجم وقد ثبت عليهما هذا الحكم بالسنة وليس بقرآن منسوخ.

٢١. من زنى بامرأة حرمت عليه على التأبيد.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- **ابن الصغير (ق ٣/٩)**

- أخبار الأئمّة الرّستميين. تحقيق وتعليق د. محمد ناصر. الأستاذ إبراهيم بحاز. دار الغرب الإسلامي. بيروت لبنان ١٤٠٦/١٩٨٦.

- **أبو عمار (عبد الكافي)**

- شرح كتاب الجهالات.خ بالبارونية جربة. ١٧٨ص بكل صفحة٢٥ سطرا (١٦،٥/١٢،٥صم) نسخ يحي القنّاص اليفرني: (١١٢٣/١٨٠٨). حققه عامر ونيس دكتوراه مرحلة ثالثة بالكلية الزيتونية. ١٩٨٠. مرقون.

- **السالمي (نور الدين)**

- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان نسخة مصورة عن الطبعة الأولى التي حققها أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، نشر مكتبة الاستقامة د. ت مجلد في جزأين.

- **الشماخي (أبو العباس أحمد)**

- كتاب السير، دراسة وتحقيق الدكتور محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان، طبعة أولى، ٢٠٠٩

- **الدرجيني (أحمد بن سعيد)**

- طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق وطباعة الشيخ إبراهيم محمد طلاّي، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة.

- **الوارجلاني يحيى بن أبي بكر (أبو زكرياء)**

- كتاب " السّيرة وأخبار الأئمّة " تحقيق عبد الرّحمان أيّوب: الدّار التونسيّة للنّشر.

المراجع:

- **إبراهيم (بحاز) :**

- الدولة الرّستمية ١٦٠-٢٩٦/٧٧٧-٩٠٩ دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الثقافيّة. مطبعة لافوميك الجزائر ١٩٨٥ ط١.

- **ابن الأثير (عز الدين بن الحسن) :**

- الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٨.

- **ابن خلدون (عبد الرحمان)**

- المقدمة، بيروت ١٩٧٠.

- كتاب العبر، بيروت ١٩٥٦.

- **ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمان)**

- فتوح البلدان، القاهرة ١٩٦١.

- **ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد) :**

- العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين، ط مكتبة النّهضة المصريّة، القاهرة ١٣٨١/١٩٦٢.

- **ابن يعقوب (سالم)**

- تاريخ جربة، دار الجويني للنشر، تونس.

- **الأصفهاني (أبو الفرج)**

- الأغاني، بيروت ١٣٨٠/١٩٦١

- **الجعبيري (فرحات بن علي) :**

- عوامل نشأة الفرق الإسلامية وتسمياتها وألقابها من خلال كتاب الملل والنحل للشهرستاني، الجويني للنشر، تونس ٢٠٠٠.

- البعد الحضاري للعقيدة الإباضيّة، مطبعة الألوان الحديثة سلطنة عمان، نشر السّلطان قابوس، ١٤٠٨هـ/٢٠٠٠م.

- **جهلان (عدّون) :**

- الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش ١٢٣٦-١٣٣٢/١٨١٨-١٩١٤. جمعية التّراث، القرارة الجزائر

- **الحموي (ياقوت) :**

- معجم البلدان، خمسة مجلّدات دار صادر للطّباعة والنّشر ودار بيروت للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٣.

- **خليفات (عوض) :**

- نشأة الحركة الإباضيّة، الطّبعة الأولى (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان.

- **الرقيق القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم) :**

- تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم، القاهرة ١٩٩٥.

- **الزركلي (خير الدين) :**

- الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢.

- **زغلول (عبد الحميد سعد) :**

- تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، مصر ١٩٩٠.

- **الطالبي (عمار) :**

- آراء الخوارج الكلامية، تحقيق كتاب الموجز لأبي عمّار عبد الكافي، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٨/١٩٧٨، مطابع الشروق، بيروت، القاهرة.

- **عبد الرزاق (محمود إسماعيل) :**

- الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، الدار البيضاء ١٩٧٦.

- **عبد الوهاب (حسن حسني) :**

- خلاصة تاريخ تونس، ط ١٩٨٣.

- **غباش (حسين عبيد) :**

- عمان. الدّيمقراطية الإسلاميّة. تقاليد الإمامة والتّاريخ السّياسي الحديث (١٥٠٠-١٩٧٠) ط. دار الجديد ١٩٧٧. ص٥٧. والبحث أطروحة دكتوراه دولة بالفرنسيّة نوقشت في جامعة نانتير باريس العاشرة بإشراف الأستاذ موريس روبان أستاذ العلوم السّياسيّة بنفس الجامعة وترجمها للعربيّة د. أنطوان حمصي.

- **فوزي (فاروق عمر) :**

- الإمامة الإباضية في عمان: دراسة تاريخيّة لأحوال عمان في ظل الأئمة الإباضية في الحقبة من منتصف القرن الثاني هجري/الثامن الميلادي، حتى منتصف القرن السّادس الهجري/الثّاني عشر ميلادي. المفرق الأردن. نشر جامعة آل البيت. ١٤١٧/١٩٩٧

- **معمّر (علي يحيى) :**

- الإباضيّة في موكب التّاريخ: الحلقة الثّالثة الإباضيّة في تونس، نشر وتوزيع دار الثّقافة، بيروت، لبنان.

- **هاشم (مهدي طالب) :**

- الحركة الإباضية في المشرق، دار الحكمة، ط ١، ٢٠٠١.

- **اليماني (تاج الدين) :**

- تاريخ اليمن المسمّى. بهجة الزّمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي. دار الكلمة. صنعاء. ط٢. ١٤٠٥/١٩٨٥.

- **عمان في التاريخ** : مجموعة من المؤلّفين. ثمرة ندوة عمان في التّاريخ المنعقدة بسلطنة عمان بإشراف وزارة الإعلام سبتمبر ١٩٩٤. طبعة أولى من نشر وزارة الإعلام بعمان ودار إميل للنّشر. لندن. ١٩٩٥ وطبعة ثالثة من نشر مطابع النهضة، مسقط، سلطنة عمان، ٢٠١٠.
- **كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمة** : مصنّف مجهول، تحقيق ودراسة وتعليق، إعداد أحمد عبيدلي، دلمون للنشر، قبرص، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

فهرس الموضوعات

التقديم..... ٧

المقـدمـة..... ١١

المبحث الأول: التجربة السياسية في المشرق..... ٢٥

تمهيد..... ٢٧

المحور الأوّل: نشأة الفرقة الإباضية وتصورها للإمامة..... ٢٩

المحور الثاني: أبو عبيدة ومسلكه في التنظيم السياسي..... ٤١

I- تنظيم المجالس..... ٤٤

١- مجالس الشيوخ..... ٤٤

٢- مجالس العامة..... ٤٥

٣- مجالس الطلبة..... ٤٥

II- مسالك الدّين..... ٤٧

المحور الثالث : إمامة طالب الحقّ والسعي إلى إمرة المؤمنين جميعا..... ٥١

تمهيد..... ٥٥

I- الإجراءات العملية..... ٥٤

II- تحليل خطب أبي حمزة في الحجاز..... ٥٦

تمهيد..... ٥٦

١- المنهج المرفوض..... ٥٧

أ- السياسة العامة..... ٥٧

ب- السياسة المالية..... ٦٤
٢- المنهج المقترح..... ٦٦
أ- السياسة العامة..... ٦٦
ب- السياسة المالية..... ٧١
خلاصة..... ٧٢
المحور الرابع : الإمامة بعمّان..... ٧٥
١- الإمامة الإباضية الأولى في عمان..... ٧٧
أ- التحديد الجغرافي..... ٧٧
ب- لمحة تاريخية عن عمان قبل قيام الإمامة..... ٧٨
٢- عمان والرسول عليه السلام..... ٧٩
٣- عمان زمن الخلفاء..... ٨٠
٤- عمان والدولة الأموية (جدول)..... ٨٢
٥- الإمامة الإباضية الأولى بعمان..... ٨٨
أ- إمامة الشراء..... ٨٩
ب- أبرز سمات هولاء الشراة..... ٩٠
ج- الشراة ومورد الرزق..... ٩١
د- من أين مصدر هذا الرزق..... ٩١
هـ- التقسيم التنظيمي العملي للشراة..... ٩٢
و- الالتزام بالسنة حتى بالنسبة إلى المظهر الخارجي..... ٩٣
٦- الفوضى السياسية عند سقوط هذه الإمامة..... ٩٤
٧- عمان والدولة العباسية (جدول)..... ٩٥
٨- الإمامة الإباضية الثانية في عمان..... ١٠٤
-مؤسسات الإمامة..... ١٠٨

- الإمام..... ١٠٨
- الأحكام وإقامة الحدود..... ١١٠
- الفقهاء أهل الحل والعقد..... ١١١
- بيت المال..... ١١٢
- هيكل الدولة..... ١١٣
- القضاء..... ١١٤
- الولاة..... ١١٤
- الجيش..... ١١٦

سقوط الإمامة الثانية..... ١١٧

٩- ما بعد الإمامة الإباضية الثانية ق ١٠/٤..... ١١٩

المبحث الثاني : التجربة السياسية في بلاد المغرب..... ١٢٣

المحور الأوّل : وصول الإباضية إلى المغرب ومحاولات الظهور..... ١٢٥

تمهيد..... ١٢٧

- رحلة ابن مغطير إلى البصرة..... ١٢٨

I- الاستعداد للظهور..... ١٢٩

- سلمة بن سعد وتنظيم البعثات العلمية..... ١٢٩

II- الثورات العابرة..... ١٣٢

أ- ثورة عبد الله بن مسعود التجيبي..... ١٣٢

ب- ثورة الحارث بن تليد الحضرمي..... ١٣٣

III- إمامة الظهور الأولى..... ١٣٤

- إمامة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري..... ١٣٤

١- تولية أبي الخطاب وعدله..... ١٣٤

٢- معركة تورغا وانتهاء إمامته..... ١٣٥

IV- إمامة الدفاع..... ١٣٦
- إمامة أبي حاتم الملزوزي..... ١٣٦
المحور الثاني : إمامة الظهور : الإمامة الرّستمية..... ١٣٩
I- أئمة الدولة الرّستمية..... ١٤١
II- تجربة الإمام عبد الرحمان..... ١٤٢
١- الحرص على إقامة العدل..... ١٤٢
٢- تعيين مجلس الشورى واختيارالإمام عبد الوهاب..... ١٤٤
III- تجربة الإمام عبد الوهاب بن رستم..... ١٤٦
١- فتنة النكار..... ١٤٧
٢- الاستقرار السياسي..... ١٤٩
IV- تجربة الإمام أفلح وأوج الازدهار..... ١٥٠
V- انحطاط الدولة الرّستمية وسقوطها..... ١٥٢
المحور الثالث : القرن الرابع ومحاولات إعادة إمامة الظهور..... ١٥٥
I- ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد..... ١٥٧
II- ثورة أبي خزر بن زلتاف وأبي نوح سعيد بن زنغيل..... ١٥٩
المبحث الثالث : التنظير للإمامة..... ١٦٣
I- تعريف الإمامة..... ١٦٥
١- معنى الإمامة..... ١٦٥
- لغة..... ١٦٥
- اصطلاحا..... ١٦٥
٢- حكم الإمامة..... ١٦٦
٣- أنواع الإمامة أو مسالك الدين..... ١٦٧
٤- شروط الإمام..... ١٦٨

- شرط القرشية..... ١٦٨
٥- جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل..... ١٦٩
٦- اختيار الإمام..... ..... ١٧٠
٧- خلع الإمام..... ..... ١٧١
II- مؤسسات الإمامة.... ..... ١٧٢
تمهيد..... ١٧٢
١- العلماء والمجالس.. ..... ١٧٢
أ- مجلس أهل الحل والعقد..... ١٧٣
ب- المجلس العام..... ١٧٣
٢- الوزارة..... ١٧٣
٣- الولاة..... ١٧٣
٤- القضاة..... ١٧٣
٥- بيت المال..... ١٧٤
٦- الجيش..... ١٧٤
٧- العلاقات الخارجية..... ١٧٤
الخـــاتمة..... ١٧٧
الخـــاتمة العامة..... ١٨٥
المحتويات..... ٢٠٣

مكتبة الضامري للنشر و التوزيع
ص ب 2. الرمز البريدي 121 . السيب . سلطنة عمان
البريد الإلكتروني: t.k.aldhamri@gmail.com
الهاتف : 00968/96444669